جيف ليندسي

دكستر

المُتفاني بإخلاص

مكتبة

DEXTER

DEARLY DEVOTED

ترجمة محمد عصمت

كيان
Kayan
KAYAN PUBLISHING

ديكستر

المتفاني بإخلاص

ليندسي ، جيف
ديكستر المتفاني بإخلاص : رواية /جيف ليندسي.
ترجمة : محمد عصمت.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2023.
344 صفحة، 20 سم.
تدمك : 978-977-820-127-7
ا- القصص الأمريكية
أ- محمد عصمت (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 2022 / 19047
الطبعة الأولى : يناير 2023.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

مكتبة
t.me/soramnqraa
5 6 23

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

DARKLY DREAMING DEXTER

Copyright © 2004 by Jeff Lindsay

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com
• إن الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى **الناشرين.**

مكتبة | 1194

ديكستر المُتفاني بإخلاص

تأليف: جيف ليندسي

ترجمة: محمد عصمت

رواية

شُكر وتقدير

لم يكُن أي من هذا ليتحقَّق بدون هيلاري

أود أيضًا أن أشكُر خوليو، عاشِق البروكلي، الشمَّاس، وآينشتاين، وكالعادة بير، بوك، وتينكي.

بالإضافة إلى ذلك.. أنا مَدين لجيسون كوفمان الذي لطالما أرشدني للحكمة، ولنيك إليسون.. الذي صَنَع الفارِق.

من أجل تومي وجاس..

اللذين انتظرا لفترةٍ طويلةٍ بما فيه الكفاية.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الأول

إنه ذلك القمر مرة أخرى، سمين للغاية وقريب من الأرض في تلك الليلة الاستوائية، ينادي عبر السماء المُتخثِّرة إلى الآذان المُرتعِدة على ذلك الصوت القديم العزيز الكامِن في الظلال، الراكِب المُظلِم، المنزوي في المقعد الخلفي للسيارة الدودج الافتراضية التي تُمثِّلها روح ديكستر.

ذلك القمر الوغد، ذلك الشيطان الشبِق الصاخِب، ينادي عبر السماء الفارِغة على القلوب المُظلِمة للوحوش الليلية القابِعة بالأسفَل، يدعوهم للعودة إلى ملاعبهم المُبهِجة، يناجي -في الواقِع- ذلك الوحش هناك، خلف نبتة الدفلي، التي غزل القمر من ضوئه خيوطًا انسلت من بين أوراق الشجر لتكسو جسده كالنمر، كُل حواسّه متأهِّبة وهو ينتظِر اللحظة المُناسِبة ليقفز خارج الظل، إنه ديكستر القابع في الظلام، يستمِع إلى همسٍ من الاقتراحات الرهيبة التي تتدفَّق خالية من الأنفاس إلى مخبئه الغارق في الظلال.

نفْسي الأخرى المُظلِمة العزيزة تجادلني للانقضاض -الآن- لأنشب أنيابي الغارِقة في ضوء القمر في الضحية الضعيفة للغاية الموجودة على الجهة الأخرى من السياج، لكن الوقت ليس مُناسبًا بعد، لذلك أنتظِر، أراقِب ضحيتي المُطمئِنة بحذرٍ وهو يمُر بجواري، جاحِظ العينين، يعلَم أن هناك شيئًا ما يُراقِبه، لكنه لا يعلم أنني هُنا، أبعُد ثلاثة أقدام فقط

عن السياج، كان بإمكاني الانزلاق مثل نصل السكين، لأؤدي سحري الرائع، لكنني انتظرت، كان مُشتَبهًا في وجودي، لكنني كُنت غير مرئي.

تتسلَّل اللحظات الطويلة واحدةً تلو الأخرى على أطراف أصابعها بينما أطفق منتظرًا الوقت المُناسِب، الانقضاض، اليد الممدودة، والفرحة الباردة حينما أرى الرعب وهو ينتشِر في وجه ضحيتي..

لكن لا، شيء ما ليس على ما يُرام.

والآن حان وقت ديكستر ليشعُر بوخز العيون المُزعِجة على ظهره، اضطراب الفزع عندما أصبحت مُتيقِّنًا للغاية أن هناك شيئًا ما يُلاحقني في الوقت الراهِن، مُطارِد ليلي آخر يشعُر بلعابه يسيل بشدةٍ وهو يُراقبني من مكانٍ قريبٍ.. أنا لا أحِب هذه الفكرة.

ومثل هزيم رعد مُنخفِض، تهبط اليد المرحة من العدم وتمسكني بسُرعةٍ شديدةٍ، ألمح الأسنان اللامعة لابن الجيران البالغ من العُمر تسع سنوات، أمسكتك! واحد، اثنان، ثلاثة على ديكستر! وبُسرعةٍ وحشيةٍ.. أصبح بقية الصغار هنا، يضحكون بقوةٍ ويصرخون في وجهي وأنا أقف وسط الشجيرات شاعرًا بالإهانة، انتهى الأمر، حدَّق بي كودي البالغ من العمر ست سنوات، مُحبَطًا، كما لو أن ديكستر إله الليل قد خَذَل كاهنه الأكبَر، بينما انضمَّت استور –شقيقته ذات التسع سنوات– إلى الأطفال الصائحين قبل أن ينطلقوا نحو الظلام مرة أخرى، نحو أماكن اختباء جديدة أكثر تعقيدًا، ليتركوني وحيدًا غارقًا في عاري.

لم ينجَح ديكستر في القبض على أحدهم، والآن ها هو ديكستر يُحَوَّل بالبحث عنهم، مرة أخرى.

قد تتساءل.. كيف لهذا أن يكون؟ كيف يُمكن اختزال مُطاردة ديكستر الليلية إلى هذا الحد؟ دائمًا كان هناك بعض المُفترسين المُخيفين

من قبل في انتظار اهتمام خاص من ديكستر المُخيف.. والآن ها أنا ذا، أطارد علبة رافيولي من نوع الشيف بوياردي التي لم تُسبِّب شيئًا أسوأ من بعض الصلصة اللطيفة، ها أنا ذا، أضيع وقتي الثمين في خسارة لعبة لم ألعبها منذ كان عُمري عشر سنوات، والأسوأ من ذلك.. أنا المخوَّل بالبحث عنهم.

صحت بصوتٍ عالٍ: «واحد.. اثنان.. ثلاثة».

دائمًا كُنت مثالًا للاعب العادل الصادق.

كيف لهذا أن يكون؟ كيف يُمكن أن يشعُر ديكستر الشيطان بثِقَل هذا القمر ويظل بعيدًا عن الأحشاء، ينزع الحياة من شخص ما يحتاج بشدةٍ ليشعُر بحُكم ديكستر القوي؟ كيف يُعقَل في مثل هذا النوع من الليالي أن يرفُض المُنتقِم البارد اصطحاب الراكب المُظلِم للخروج في جولة؟

«أربعة.. خمسة.. ستة».

علَّمني هاري -والدي بالتبني- التوازن الدقيق بين الحاجة والسكين، لقد أخذ صبيًّا رأى فيه الحاجة التي لا يُمكِن كبحها للقتل -دون أن يغيِّر ذلك- وصقله هاري إلى رجل يقتل القتلة فقط، ديكستر المُطارِد، الذي يختبئ خلف وجه يبدو بشريًّا ليتعقَّب القتلة المُتسلسلين الأشقياء الذين يقتلون بلا داعٍ، والذين كُنت لأصبح واحدًا منهم، لو لا

خطة هاري، هناك الكثير من البشر الذين يستحقون هذا يا ديكستر، هذا ما أخبرني به الشرطي الذي كان والدي بالتبني.

«سبعة.. ثمانية.. تسعة».

كان قد علَّمني كيف أعثر على زملاء لعبي المُميَّزين، كيف أتيقَّن من استحقاقهم لزيارة خاصَّة مني ومن راكبي المُظلِم، بل والأفضَل من ذلك.. أنه علَّمني كيف أتخلَّص منهم، بالطريقة التي بإمكان شُرطي فقط أن يُعلِّمها لك، ساعدني في بناء حياة معقولة أختبئ بداخلها، وأوعَز إليّ بوجوب التماشي معها، عليك دائمًا أن تتعامَل مع كُل الأمور بطريقةٍ طبيعيةٍ لأقصى الحدود.

وهكذا تعلَّمت كيف أرتدي ملابس أنيقة، وأبتسِم، وأغسِل أسناني، أصبحت إنسانًا مُزيَّفًا مثاليًّا، أردِّد الأشياء الغبية والعبثية التي لا ينفَك البشر يردِّدونها إلى بعضهم بعضًا طوال اليوم، لم يشُك أي شخص في ما يختبئ خلف ابتسامتي المثالية المُقلَّدة، باستثناء ديبرا -أختي بالتبني- بالطبع، لكنها كانت على وشك أن تتقبَّل حقيقتي، ففي النهاية.. كان من المُمكِن أن أصير أسوأ بكثير، كان من المُمكِن أن أصير وحشًا هائجًا شرسًا يقتل بلا هوادة ويترك خلفه أبراجًا من اللحم المُتعفِّن، لكن بدلًا من ذلك، ها أنا أقِف بجانب الحقيقة، والعدالة، والطريقة الأمريكية، ما زلت وحشًا بالطبع، لكنني في النهاية أقوم بالتطهير، كُنت وحشَنا، الذي يرتدي ثوبًا مصبوغًا بالألوان الأحمر، والأبيض، والأزرق، ومصنوعًا من الفضيلة الصناعية بنسبة مائة في المائة، وفي تلك الليالي،

التي يكون فيها القمر صاخبًا، أجد هؤلاء الآخرين، أولئك.. الذين يفترسون الأبرياء ولا يلتزمون بالقوانين، وأجعلهم يختفون على هيئة قطع صغيرة ملفوفة بعناية.

وكانت هذه الصيغة الفريدة قد نَجَحَت بشكلٍ جيدٍ على مدار سنوات من السعادة الوحشية، ومن بين مواعيد اللعب، حافظت تمامًا على نمط حياتي المتوسِّط عن طريق السكن في شقة عادية طوال الوقت، لم أتأخَّر على العمل أبدًا، ألقيت النكات الصحيحة على زملائي بالعمل، لطالما كُنت مُفيدًا وغير مُزعِج في كُل الأمور، تمامًا مثلما علَّمني هاري، كانت حياتي كإنسان آلي أنيقة، متوازنة، ولها قيمة اجتماعية تعويضية حقيقية.

وحتى الآن -بطريقةٍ ما- ها أنا ذا في ليلة مثالية تمامًا ألعب الغُميضة مع حشد من الأطفال، بدلًا من لعب (قطِّع السفَّاح) مع صديق تم اختياره بعنايةٍ، وبعد فترة قصيرة.. عندما ستنتهي اللعبة، سأصطحب كودي واستور إلى منزل -ريتا- والدتهما، وستجلب لي عبوة بيرة ريثما تضع الأطفال في سريريهما، ثم ستجلِس إلى جانبي على الأريكة.

كيف يُعقَل هذا؟ هل سيُجبَر الراكِب المُظلِم على التقاعُد المُبكِّر؟ هل أصبح ديكستر مُسترخيًا؟ هل ضللت طريقي -بطريقةٍ ما- عبر الزاوية المؤدية إلى القاعة المُظلِمَة الطويلة لأخرُج من الجهة الخاطِئة كديكستر الأليف؟ هل سأضع تلك القطرة من الدماء على قطعة الزجاج النظيفة -مثلما كُنت أفعل دائمًا- مُعتبرًا إياها كتذكار من الصيد؟

«عشرة! سواء كُنت جاهزًا أو لا، ها أنا قادم!».

أجل، بالفعل ها أنا قادم.
لكن إلامَ؟

بدأ الأمر مع الرقيب دوكس بالطبع، يجب أن يكون هناك عدو لدود لكُل بطل خارق، وكان هو عدوي، لم أفعل له أي شيء على الإطلاق، ورغم ذلك.. اختار أن يلاحقني، أن يهاجِم عملي الجيد، أنا وظلي، ولسُخرية القدر: كُنت مُحلِّلًا مُجتهِدًا مُتخصِّصًا في تحليل بُقع الدم في نفس قسم الشرطة الذي عُيِّن به، أي أننا كُنا في نفس الفريق، هل كان من العدل أن يلاحقني بهذه الطريقة، لمُجرَّد أنني بين الحين والآخر أقوم ببعض العمل الإضافي؟

كُنت أعرِف الرقيب دوكس أفضل مما أردت أن أعرفه حقًّا، أكثر بكثير من مُجرَّد تواصلنا على المستوى المهني، كُنت قد اهتممت حقًّا بمعرفة الكثير عنه لسببٍ واحدٍ بسيطٍ: أنني لم أعجِبه قط، على الرغم من حقيقة أنني فخور جدًّا بكوني ساحرًا ومُبهجًا طوال الوقت، لكن يبدو أن بإمكان دوكس معرفة أن كُل شيء مُزيَّف، ارتدّ كُل ما فعلته بعيدًا عنه مثلما ترتد الحشرات عن زجاج السيارات الأمامي في شهر يونيو.

وبطبيعة الحال.. جعلني هذا أشعر بالفضول، أعني.. أي نوع من الأشخاص يُمكِن أن يكرهني حقًّا؟ ولذلك.. قرَّرت أن أدرسه قليلًا، واكتشفت الأمر، كان ذلك النوع من الأشخاص الذي يُمكِن أن يكره ديكستر الكيِّس هو أمريكي من أصول إفريقية، يبلغ من العُمر ثمانية وأربعين عامًا، يحمل الرقم القياسي في تمرينات الأوزان، ووفقًا للشائعات التي سمعتها عرضًا، كان قد سَبَق أن خدم في الجيش قبل

أن يُسرَّح في ظروف غير مُشرِّفَة، ومنذ التحاقه بالقسم وهو يتورَّط في العديد من حالات إطلاق النار القاتلة، التي يعتبرها قسم الشؤون الداخلية صحيحة تمامًا.

لكن الأهم من كُل ذلك، أنني اكتشفت بنفسي أنه في مكانٍ ما خلف ذلك الغضب العميق الذي دائمًا ما يعتمِر في عينيه يقبَع صدى ضحكة مكتومة من الراكِب المُظلِم الخاص بي، كان مُجرَّد رنين صغير جدًّا من جرس صغير جدًّا، لكنني كُنت مُتأكِّدًا أن هناك شيئًا مُشتركًا بيني وبين دوكس، كان مثلي، ليس تمامًا، لكنه مُشابه للغاية، مثل وجه الشبه بين الفهد والنمر، كان دوكس شرطيًّا، لكنه كان قاتلًا بدم باردٍ كذلك، ليس لديّ دليل حقيقي على ذلك، لكنني كُنت مُتيقِّنًا تمامًا دون أن أضطَر لرؤيته وهو يسحَق حنجرة أحد مُخالِفي قوانين المُشاة.

قد يظن أحد العاقلين أن بإمكاننا إيجاد أرضية مُشتركة بيننا، أن نتناول معًا فنجانًا من القهوة ونُقارِن بين راكبينا، نتبادل وجهات النظر ونُثرثِر حول تقنيات التشريح، لكن لا؛ يريدني دوكس ميتًا، وأجد صعوبة في مُشاركته وجهة النظر.

كان دوكس يعمل مع المُحقِّقة لاجويرتا وقت أن وافتها المنية بطريقةٍ مشبوهةٍ، ومُنذ ذلك الحين.. ومشاعري تجاهه تنمو لتُصبح أكثر من مُجرَّد اشمئزاز، كان دوكس مُقتنِعًا أن لي علاقة -بطريقةٍ أو بأخرى- بموت لاجويرتا، وهذا لم يكُن صحيحًا أو عادلًا على الإطلاق، فكُل ما فعلته هو المُراقبة.. وكيف يكون ذلك مُضِرًّا؟ بالطبع كُنت قد ساعدت القاتِل الحقيقي على الهروب، لكن ماذا كُنت تتوقَّع؟ أي نوع من البشر قد ينقلِب على شقيقه؟ خصوصًا عندما يقوم بمثل هذا العمل الأنيق.

حسنًا.. عِش ودع غيرك يعيش، هكذا أقول دائمًا، أو في كثير من الأحيان، على أي حال.. بإمكان الرقيب دوكس أن يشُك بأي مما يشاء، كان ذلك جيدًا بالنسبة لي، فهناك عدد قليل جدًّا من القوانين التي تُعارِض الشك، على الرغم من تيقُّني من أنهم يعملون بجدٍ على ذلك في واشنطن، لا.. مهما كانت شكوك الرقيب الصالِح عني، فلديه مُطلَق الحُرية، لكن الآن.. بعد أن قرَّر التصرُّف وفقًا لأفكاره الملوَّثة، أصبحت حياتي على المَحَك، وسُرعَان ما سيخرُج ديكستر عن مساره ليتحوَّل لديكستر المجنون.

ولماذا؟ كيف بدأت كُل تلك الفوضى السيئة؟ فكُل ما فعلته هو محاولة أن أكون على سجيتي.

الفصل الثاني

هناك ليالٍ بين الحين والآخر، عندما يجب أن يخرج الراكِب المُظلِم للعِب، الأمر أشبه بتمشية الكلب، بإمكانِك أن تتجاهل النباح والخدش على الباب لفترةٍ طويلةٍ فحسب، ومن ثمَّ سيتحتَّم عليك أن تصطحِب الوحش للخارج.

لم يمض وقت طويل بعد وفاة المُحقِّقة لاجويرتا، حتى جاء وقت بدا فيه الاستماع إلى الهمسات القادمة من المقعد الخلفي أمرًا معقولًا، ووَجَب البدء في التخطيط لمُغامرة صغيرة.

كُنت قد عثرت على زميل لعب مثالي، بائع عقارات عادي للغاية يُدعى ماكجريجور، رجل سعيد ومُبهِج يُحِب بيع المنازل للعائلات التي لديها أطفال، خصوصًا الصبية الصغار، كان ماكجريجور مولعًا بالأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة والسابعة، كان مولعًا بشكلٍ قاتلٍ بخمسةٍ منهم، هذا كُنت مُتيقِّنًا منه، لكن من المُحتمَل أن يكونوا أكثر من ذلك بكثير، كان ذكيًا وحَذِرًا، ومن المُحتمَل أن يظل محظوظًا لفترةٍ طويلةٍ، ما لم يحظ بزيارة من المُستكشِف المُظلِم ديكستر، من الصعب أن تُلقي باللوم على الشرطة، على الأقل هذه المرة، ففي النهاية.. عندما يختفي طفل صغير، قلة قليلة من الناس فقط هي من ستقول: «حسنًا! من باع لهذه العائلة منزلهم؟».

لكن بالطبع ديكستر يُمثِّل تلك القلة القليلة من الناس، هذا شيء جيد في العموم، لكن في هذه الحالة كان من المُفيد أن أكون أنا، فبعد أربعة أشهر من قراءة خبر في الصحيفة عن طفل مفقود، قرأت خبرًا آخر مُشابِهًا، كان الصبيان في نفس العُمر، تفاصيل مثل تلك دائمًا تدُق جرسًا صغيرًا ليُرسِل السيد روجرز همسات تدغدغ عقلي قائلًا: «مرحبًا أيها الجار».

ولذلك بحثت عن القصة الأولى وقارنتهما، ولاحظت أن في كلتا القضيتين أشارَت الصحيفة لحُزن العائلتين عن طريق الإشارة لكونهما انتقلتا لتوِّهما لمنزلين جديدين، سمعت ضحكة صغيرة مكتومة آتية من الظلال، لذلك نظرت عن قُرب.

كان الأمر مخفيًا بعنايةٍ، وتحتَّم على المُحقِّق ديكستر أن يبحث أكثر قليلًا، لأنه في البداية.. لم يبدُ أن هناك أي شيء مُشترَك، كانت العائلات المعنيَّة في أحياء مُختلِفة، مما استبعدَ الكثير من الاحتمالات، يرتادون كنائس ومدارِس مُختلِفة، ويستخدمون شركات نقل مُختلِفة، لكن عندما يضحَك الراكب المُظلِم، فإن هذا يعني أن أحدهم يقوم بشيءٍ طريفٍ، في النهاية.. وجدت شيئًا مُشتركًا، تم إدراج كلا المنزلين مع نفس الوكالة العقارية، وهي وكالة صغيرة في جنوب ميامي، يعمل بها وكيل واحد فحسب، رجل مرح وودود يُدعى راندي ماكجريجور.

بحثت أكثر من ذلك بقليل، كان ماكجريجور مُطلَّقًا ويعيش وحيدًا في منزلٍ صغيرٍ مبني من الخرسانة قبالة طريق أولد كاتلر في جنوب ميامي، كما أنه يحتفظ بمركِب يبلُغ طولها ستة وعشرين قدمًا في ميناء ماثيسون هاموك، الذي كان قريبًا نسبيًا من منزله، فبغض النظر عن كون القارِب مكانًا مُريحًا، فإنه أيضًا كان الطريقة التي ينفرِد بها بأصدقائه

الصِغار بعيدًا حيث لن يتم رؤيته أو سماعه أثناء رحلة استكشافه المؤلِمة، وبهذه الطريقة.. سيوفِّر طريقة رائعة للتخلُّص من البقايا الفوضوية، على بُعد أميال قليلة من ميامي، حيث يمثِّل الخليج مَكَب نفايات لا نهاية له تقريبًا، لا عَجب إذًا أنه لم يتم العثور على أجساد الأطفال أبدًا.

بدت هذه التقنية منطقية للدرجة التي جعلتني أتساءل لماذا لم أفكِّر في إعادة تدوير البقايا الخاصّة بي، يا لسذاجتي؛ أستخدم قاربي الصغير من أجل الصيد والتجوُّل في أنحاء الخليج فقط، بينما ابتكَر ماكجريجور طريقة جديدة للغاية للاستمتاع بأمسية فوق المياه، كانت فكرة رائعة للغاية، وبفضلها.. قُمت بنقله لأعلى قائمتي على الفور، بإمكانك أن تعتبرني غير عقلاني، أو غير منطقي حتى، لأنه على الرغم من كوني لا أعتبِر البشر ذوي فائدة كبيرة، فإنني ولسببٍ ما أهتم بشأن الأطفال، وعندما أجد شخصًا يتصيَّد الأطفال، يبدو لي الأمر كما لو أنه دفع لأحد النادلين رشوة قدرها عشرون دولارًا من أجل الانتقال لمُقدّمة الصف، كُنت سعيدًا بفك حبل الانتظار المخملي والسماح لماكجريجور بالدخول، هذا بافتراض أنه كان يفعل ما يبدو أنه يفعله، فبالطبع.. كان عليّ أن أكون مُتأكِّدًا للغاية، لطالما حاولت تجنُّب تقطيع الشخص الخاطئ، وسيكون من العار أن أبدأ في هذا في الوقت الحالي، وخصوصًا مع سمسار عقارات، خَطَر لي أن أفضل وسيلة للتأكُّد ستكون زيارة القارب المقصود.

من حُسن حظي.. أمطَرت في اليوم التالي، بشكلٍ عام.. كانت تُمطِر في كُل يوم من أيام شهر يوليو، لكن اليوم بدا وكأنه سيكون يومًا عاصفًا، مما جعله يبدو تمامًا مثلما تَمَنى ديكستر، تركت عملي في مُختَبر الطب الشرعي التابع لقسم شُرطة ميامي وتوجَّهت إلى طريق ليجون،

سلكته وصولًا لطريق أولد كاتلر، استدرت يسارًا إلى حديقة ماثيسون هاموك، ومثلما تمنّيت.. بدت مهجورة، لكنني كُنت أعلم أن هُناك كشك حراسة على بُعد مائة ياردة تقريبًا، بداخله شخص ما يتوق بفارغ الصبر لأخذ أربعة دولارات مني في مُقابِل منحي امتيازًا ضخمًا بدخول الحديقة، بَدَت فكرة جيدة ألا أظهَر أمام كُشك الحراسة، بالطبع كان توفير الدولارات الأربعة أمرًا هامًا للغاية، لكن الأهم من ذلك.. أن ظهوري في وسط يوم مُمطِر في مُنتصَف الأسبوع سيجعلني مكشوفًا بعض الشيء، وهو الشيء الذي سأحِب تجنُّبه، خصوصًا مع سياق هوايتي.

على الجانب الأيسَر من الطريق كان هناك موقَف سيارات صغير يخدِم منطقة التنزُّه، وقفت كابينة قديمة مُغطاة بالشعاب المُرجانية بجوار البحيرة ناحية اليمين، صففت سيارتي وارتديت سُترة صفراء فاتِحة خاصة بالطقس السيئ، جعلني هذا أشعر بشعور البحّارة، كانت الشيء المُناسِب لأرتديه وأنا على وشك اقتحام قارِب قاتِل أطفال شاذ جنسيًا، جعلني هذا واضحًا للغاية، لكنني لم أشعُر بالقلق الشديد حيال ذلك الأمر، كُنت أسلك طريق الدراجات الموازي للطريق، الذي كانت تحده نباتات المانجروف، وفي أسوأ الحالات -غير المُحتَمل حدوثها- سيُخرِج الحارس رأسه من كشك حراسته وسط المطر، ولن يرى سوى ضباب أصفر فاتِح يتحرَّك سريعًا، مُجرَّد عدَّاء مُصمِّم على الهرولة بعد الظُهر، سواء كان الجو مُمطرًا أو صافيًا.

هرولت، مُتحرِّكًا لمسافة رُبع ميل على الطريق، وكما كُنت آمل.. لم يكُن هناك أي مظهر من مظاهِر الحياة بالقُرب من كُشك الحراسة، ركضت إلى ساحة الانتظار الكبيرة الموجودة بجوار الميناء، كان الصف

الأخير ناحية اليمين موطنًا لمجموعة قوارب أصغر قليلًا من أن تكون قوارِب رياضية كبيرة أو وسائل تسلية خاصَّة بالمليونيرات مربوطة بالقُرب من الطريق، كان قارِب ماكجريجور المُسمَّى العُقاب البالِغ من الطول ستة وعشرين قدمًا قريبًا من النهاية.

كان الميناء خاليًا من البشر، عبرت البوابة الموجودة في وسط السياج دون اهتمام يُذكَر، مُتجاهلًا لافتة تقول «مسموح لأصحاب القوارب فقط التواجُد على الأرصفة»، حاولت أن أشعُر بالذنب لأنني تجاهلت مثل هذا التحذير الهام، لكن الأمر كان يفوقني، كان الجزء السُفلي من اللافتة يقول: «ممنوع صيد الأسماك على الأرصفة أو في منطقة الميناء»، وعدت نفسي بأنني سأتجنَّب الصيد بأي ثمن، وهو الأمر الذي جعلني أشعُر بالراحة قليلًا تجاه خرق القاعدة الأخرى.

كان عُمر العُقاب خمس أو ست سنوات تقريبًا، رغم ذلك لم تظهَر عليه سوى القليل من علامات التآكل بفعل طقس فلوريدا، تم تنظيف سطح القارِب وسوره بعنايةٍ، لذلك كُنت حريصًا على عدم ترك أي آثار أقدام وأنا أتسلَّقه، ولسببٍ ما.. عادة لا تكون أقفال القوارِب مُعقَّدة للغاية، ربما لأن البحارة أكثر أمانةً من هؤلاء الذين يعملون على الأرض، على أي حال.. لم يستغرق الأمر مني سوى ثوانٍ قليلة لأفتَح القفل وأنزِل داخل القارِب، لم تكُن المقصورة تنضَح برائحة عَفِنة من تلك التي يُسبِّبها العفن الفطري الذي يُصيب العديد من القوارِب عندما يتم إغلاقها حتى ولو لبضع ساعات في الشمس شبه الاستوائية، بدلًا من ذلك.. طَفَت هناك غيمة خافِتة من أحد مُنتجات المُنظِفات المنزلية، كما لو أن شخصًا ما قام بتنظيفها تمامًا بحيث تفقِد الجراثيم والروائِح أي أمل في النجاة.

كانت هناك منضدة صغيرة، مطبخ، وواحد من تلك التليفزيونات الصغيرة مُعلَّق على رف، وبجواره كومة من الأفلام؛ الرجل العنكبوت، أخي الدُب، والبحث عن نيمو، تساءلت عن عدد الأطفال الذين أسقطهم ماكجريجور من على جانب القارِب للبحث عن نيمو، أرجو بشدةٍ أن يتمكَّن نيمو من إيجاده قريبًا، تحرَّكت إلى محيط المطبَخ، وبدأت في فتح الأدراج، كان واحد منهم مليئًا بالحلوى، بينما المجاور له مليئًا بالتماثيل البلاستيكية، والثالث كان مُكتظًا عن آخره بلفَّات الشريط اللاصِق.

الشريط اللاصِق شيء رائع، وكما أعلَم يقينًا.. يُمكِن استخدامه في العديد من الأمور الرائعة والمُفيدة، لكنني أعتقِد أن وجود عشر لفَّات منه مُخزَّنة في درج مطبخ قارِبك أمر مُبالغ فيه قليلًا، ما لم تكُن -بالطبع- تستخدمه لغرضٍ مُعيَّنٍ يتطلَّب وجود الكثير منه، مثل مشروع علمي يُشارِك فيه العديد من الصبية الصغار! هذا مُجرَّد حدس مبني بالطبع على الطريقة التي أستخدمها، لكن ليس على الصبية الصغار بالطبع، لكن على المواطنين الشُرفاء، على سبيل المثال، ماكجريجور، بدا تورّطه في الأمر جليًا للغاية، بينما لَعَق الراكِب المُظلِم شفتيه بلسانه الجاف بترقُّب.

نزلت السلم إلى المنطقة الأمامية الصغيرة التي ربما أطلَق عليها سمسار العقارات لقب القاعة الفخمة، لم يكُن الفراش أنيقًا للغاية، مُجرَّد مرتبة رقيقة من المطَّاط الإسفنجي تُعلَّق على رفٍ مُرتفعٍ، لمست الملاءة وسرعان ما عادت تختبئ تحت المرتبة، ملاءة ذات طرف مطاطي، رفعت المرتبة من جهةٍ واحدةٍ، كانت هناك أربعة مسامير حلقية مُثبَّتة على الرف، واحد لكُل طرف من أطرافها، فتحت الباب الصغير الذي كان مُختبئًا تحت المرتبة.

من المعقول أن يتوقَّع المرء العثور على قدرٍ مُعيَّن من السلاسل المعدنية على متن قارِب، لكن الأصفاد المُصاحِبة لها لم تصدمني للغاية كونها خاصَّة بالعمل البحري، بالطبع قد يكون هناك تفسير جيد للغاية، من المُمكِن أن يكون ماكجريجور يستخدمهم للقبض على الأسماك العدوانية.

تحت السلاسِل والأصفاد كانت هناك خمس مراسٍ، قد تكون هذه فكرة جيدة للغاية على متن يخت من المُفترض به أن يُبحِر حول العالم، لكن بدا الأمر مُبالغًا فيه قليلًا بالنسبة لقارب صغير لا يُستخدَم سوى في عطلة نهاية الأسبوع، فيم يستخدمهم بحق السماء؟! إذا كُنت سأبحِر بقاربي الصغير نحو المياه العميقة ومعي مجموعة من الجُثث الصغيرة التي أرغَب في التخلُّص منها بطريقةٍ نظيفةٍ وبشكل نهائي، فماذا سأفعَل بكُل هذه المراسي؟ لكن بالطبع.. عندما تصوغ الأمر على هذا النحو، فمن الواضح أن الرحلة البحرية المُقبِلة التي سيذهَب فيها ماكجريجور مع صديق صغير، سيعود بأربع مراسٍ فقط تحت الفراش.

كُنت وبكُل تأكيد أجمع ما يكفي من التفاصيل الصغيرة لتكوين صورة مُمتِعة للغاية، لا أزال لم أجِد علامة على وجود أي أطفال، لكن حتى الآن.. لم أجِد كذلك أي شيء لا يُمكِن تفسيره على أنه مُجرَّد مُصادفة كبيرة، وأنا بحاجة لأن أكون متأكِّدًا للغاية، كان عليّ أن أحصل على دليلٍ دامغٍ بشكلٍ ساحق، الذي يجب أن يكون أمرًا لا لبس فيه أبدًا إذا أردت إرضاء قانون هاري.

وهو الذي وجدته في الدرج الموجود على يمين الفراش.

كان هناك ثلاثة أدراج مدمجة في حاجز القارب، بدا الجزء الداخلي من الدرج السفلي أقصر من نظيريه ببضع بوصات، كان من المُمكِن أن

يكون هذا بسبب تقصيره لتفادي منحنى هيكل القارب، لكنني درست البشر لسنواتٍ عديدةٍ حتى الآن، وهو الأمر الذي جعلني أشعر بريبةٍ شديدةٍ، سحبت الدرج بأكمله للخارج، وبالطبع.. كان هناك جزء سري صغير في الجزء السفلي من الدرج، وبداخل ذلك الجزء..

نظرًا لأنني في الواقِع لست إنسانًا حقيقيًا، فبشكلٍ عامٍ.. تقتصر ردود أفعالي العاطفية على ما تعلَّمت تزييفه، لذلك لم أشعُر بالصدمة، الثورة، الغضب، أو حتى بالمرارة، كُلها مشاعِر يصعُب للغاية القيام بها بشكلٍ مُقنعٍ، ولم يكُن هناك جمهور للقيام بها، فلماذا أتكبَّد عناء الأمر؟ لكنني شعرت برياحٍ باردةٍ بطيئةٍ تهب من المقعد الخلفي المُظلِم لتجتاح عمودي الفقري وتنفخ أوراق الشجر الجافة من على أرضية عقلي.

تمكَّنت من التعرُّف على خمسة أطفال عاريين مُختلفين وسط كومة الصور الفوتوغرافية، كانوا مربوطين في وضعيات مُختلِفة، كما لو أن ماكجريجور لا يزال يبحَث عن أسلوب مُحدَّد، وأجل.. كان مُسرِفًا في استخدامه للشريط اللاصق بالفعل، في إحدى تلك الصور.. بدا الصبي وكأنه داخل شرنقة رمادية فضيَّة، مع وجود مناطق بعينها فقط مكشوفة، ما تركه ماكجريجور مكشوفًا أخبرني بالكثير عنه، كما كُنت أظن، كان من ذلك النوع من الرجال الذي لا يرغَب مُعظَم الآباء في تعيينه كقائد للكشافة.

كانت جودة الصور جيدة، مُلتقطة من عدة زوايا مُختلِفة، في مجموعة من تلك الصور وقف رجل عارٍ شاحِب وضعيف يرتدي غطاء رأس أسود بجوار صبي مربوط بإحكام، بدت وكأنها صورة للذكرى، وبناءً على شكل الجسد ولونه، كُنت قادرًا على التأكُّد من كونه ماكجريجور، على الرغم من كون غطاء الرأس يُغطي وجهه، وبينما كُنت أتصفَّح

الصور خطرت لي فكرتان مُثيرتان للاهتمام، الأولى: ها أنت ذا! وهو الأمر الذي يعني وبلا أدنى شك أن ماكجريجور متورِّط بالقيام بالأمر، وأنه الآن الفائِز المحظوظ في مُسابقة يانصيب الراكِب المُظلِم الكُبرى.

والفكرة الثانية، التي كانت أكثر إثارةً للقلق، كانت: من الذي كان يقوم بالتقاط تلك الصور؟

كان هناك الكثير من الزوايا المُختلِفة بحيث يُصبح التقاط الصور تلقائيًا أمرًا غير مُمكِن، وعندما تصفَّحت الصور مرة ثانية لاحظت أن صورتين منهما تم التقاطهما من الأعلى، ظهرت مقدمة قدم المصوِّر الذي كان يرتدي حذاء رعاة بقر أحمر اللون.

كان لماكجريجور شريك، بدت الجُملة وكأنها تُقال في برنامج تليفزيون المحكمة، لكنها كانت حقيقية تمامًا، ولم أستطع التفكير في طريقة أفضل لقولها، لم يفعل كُل هذا بمفرده، كان برفقته شخص ما، وحتى لو لم يفعل شيئًا آخر.. فقد اكتفى بالمُشاهدة والتقاط الصور.

أكاد أحمر خجلًا لأعترف أن لديّ معرفة متواضِعة وموهبة فطرية في مجال الفوضى شبه المُنظَّمة، لكنني لم أصادِف شيئًا من هذا القبيل قبل ذلك، صور للذكرى، وأجل -في النهاية- لديّ صندوق الشرائح الزجاجية الصغير، بكُل منها قطرة دماء واحدة، لتخليد ذكرى كُل مُغامرة من مُغامراتي، من الطبيعي تمامًا الاحتفاظ ببعض التذكارات.

ولكن أن يكون هناك شخص آخر حاضرًا، يُراقِب ما يحدُث ويلتقِط الصور، هذا يحوِّل عملًا خاصًا جدًّا إلى استعراض من نوع ما، وهذا غير لائِق على الإطلاق.. هذا رجل مُنحرِف، لو كُنت قادرًا على الشعور بنوع من أنواع الغضب الأخلاقي، فأنا مُتأكِّد أنه سيكون عارمًا

وسيملأني، ورغم ذلك.. وجدت نفسي أكثر حرصًا على التعرُّف على ماكجريجور أكثر من أي وقت مضى.

كان الجو حارًا بشكلٍ خانقٍ على متن القارب، ومعطفي الأنيق الرائع الخاص بالطقس السيئ لم يكُن يُساعِد، شعرت وكأنني كيس شاي أصفر لامِع، التقطت عددًا من الصور الواضِحة ووضعتها في جيبي، أعدت الباقي إلى المخبأ السري، رتَّبت السرير، وعدت إلى المقصورة الرئيسية، وبقدر ما أستطيع أن أقول حين أنظر من النافذة، أم تراني يجب أن أطلق عليها كوَّة؟ لم يكُن هناك أحد يتربَّص بي أو يراقبني بطريقةٍ خفيةٍ، خرجت من الباب، تأكّدت من إغلاقه خلفي، ومشيت عبر المطر.

من بين العديد من الأفلام التي شاهدتها على مر السنين، كُنت أعلم يقينًا أن المشي في المطر هو التصرُّف الصحيح للتأمُّل في غدر البشر، وهذا ما فعلته تمامًا، ماكجريجور الشرير وصديقه السيئ، كيف يُمكِن لهما أن يكونا بمثل هذه الحقارة والخسَّة، بدا هذا صحيحًا، وكان هو كُل ما استطعت الوصول إليه، كُنت آمل أن تكون هذه صيغة مُرضية، لأنه كان مُمتعًا أكثر بكثير من التفكير في غدري، وكيف يُمكنني إرضاءه عن طريق تحديد موعد لعب مع ماكجريجور، كان بإمكاني الشعور بموجة مُتصاعِدة من البهجة المُظلِمة تتدفَّق من أعلى الأبراج المُحصَّنة بقلعة ديكستر للتراكم عند قنوات الصرف، وسُرعان ما ستدُك حصون ماكجريجور.

بالطبع.. لم يعُد هناك مجال للشك، كان هاري نفسه ليعترِف أن تلك الصور كانت دليلًا كافيًا، بينما كانت الضحكة المكتومة الصادرة من المقعد الخلفي كافية لإضفاء هالة من القدسية على المشروع، لنذهب

أنا وماكجريجور للاستكشاف معًا، ثم الحصول على المُكافأة المُتمثِّلة في العثور على صديقه صاحِب حذاء رعاة البقر، يجب أن يُتبَع ماكجريجور في أقرب وقت مُمكِن، وبالطبع.. لا راحة للأشرار، كان الأمر مثل عرض لبيع اثنين بسعر واحِد، أمرًا لا يقاوَم على الإطلاق.

كُنت مُنتشيًا بأفكاري السعيدة للدرجة التي جعلتني لا ألاحظ حتى المطر بينما أسير بسُرعةٍ وثباتٍ عائدًا إلى سيارتي، كان لديّ الكثير لأفعله.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الثالث

لطالما كان اتِّباع روتين اعتيادي فكرة سيئة، خاصةً إذا ما كُنت قاتلًا مُشتهيًا للأطفال قام بلفت نَظَر ديكستر المُنتقِم، من حُسن حظي.. أنه لم يُخبِر أي شخص ماكجريجور بهذه المعلومات الحيويَّة الهامَّة، وبفضل هذا.. كان من السهل جدًّا أن أجده يُغادِر مكتبه في الساعة السادسة والنصف مساءً، تمامًا كما يفعل كُل يوم، خَرَجَ من الباب الخلفي، أغلقه، وصَعَد إلى سيارته الفورد SUV الكبيرة، سيارة مثالية لنقل العديد من الأشخاص لإلقاء نظرة على المنازل في الجوار، أو لنقل الأطفال الصغار المُقيَّدين إلى رصيف الميناء، سرعان ما اندمَجَ في الحركة المرورية، تبعته وصولًا إلى منزله الخرساني المتواضع الموجود في الشارع رقم ثمانين.

كان هناك قدر لا بأس به من الزحام المروري حول المنزل، استدرت نحو شارع جانبي صغير على بُعد نصف وحدة سكنيَّة وصففت سيارتي بشكلٍ غير ملحوظ في مكان حظيت فيه برؤيةٍ جيدةٍ، كان هناك سياج طويلٌ وسميك يؤطِّر الجانب البعيد من أرض ماكجريجور، الذي كان من شأنه أن يمنَع الجيران من رؤية أي شيء يحدُث في فناء منزله، جلست في سيارتي وتظاهرت بالبحث في خريطة لنحو عشر دقائق، كانَت مُدَّة كافية للتخطيط وللتأكُّد من عدم مُغادرته لأي مكان، عندما خَرَج من منزله وبدأ بالتجوُّل في الفناء، كان بلا قميص ويرتدي سروالًا قصيرًا، عَرِفت من فوري كيف سأفعلها، وتحرَّكت إلى منزلي كي أستعِد.

على الرغم من أن شهيتي عادةً ما تكون مفتوحة وصحيَّة، فإنني دائمًا ما أجد صعوبة في تناول الطعام قبل أي مُغامرة من مُغامراتي الصغيرة، يرتجِف رفيقي الداخلي وترقُّبه يزداد، يعلو صَخَب القمر أكثر وأكثر في عروقي بينما ينزلِق القمر فوق المدينة، وبدأت فكرة تناول الطعام تبدو عادية للغاية.

وبدلًا من الاستمتاع بعشاءٍ غني بالبروتين على مهلٍ، أسرَعت نحو شقتي، مُتلهِّفًا للبدء لكنني وفي الوقت ذاته ما زلت باردًا بما يكفي للانتظار، سامحًا لديكستر العادي بالذوبان بهدوءٍ في الخلفية وشاعرًا بالاندفاع المسكر، بينما يتولى الراكب المُظلِم عجلة القيادة ببطءٍ شديدٍ وهو يفحص إعدادات التحكم، طالما كان السماح لنفسي بالانسحاب إلى المقعد الخلفي وترك الراكب المُظلِم يتولى القيادة شعورًا مُبهِجًا، بدا وكأن حواف الظلال تبدو أكثر حدةً بينما يتلاشى الظلام في اللون الرمادي النابِض بالحياة الذي يُزيد من تركيزي في كُل شيء، حيث تُصبِح الأصوات الصغيرة عالية ومُميَّزة، يَخُزُّني جلدي، تزأر أنفاسي شهيقًا وزفيرًا، حتى الهواء ذاته ينبُض بالحياة ويمتلئ برائحة لم تكُن ملحوظة أثناء اليوم العادي والمُمل بالتأكيد، لم أشعُر أنني على قيد الحياة أكثر مما كُنت أشعُر به والراكب المُظلِم يتولى القيادة.

أجبرت نفسي على الجلوس في مقعدي المُريح وتمالكت نفسي، شعرت بالرغبة تزداد لتملأني وتترُك خلفها موجة عالية من الاستعداد، بدت أنفاسي وكأن كُلًّا منها هو انفجار من الهواء البارِد يجتاحني ليملأني بشكلٍ أكبر وأكثر إشراقًا حتى أصبحت مثل منارة هائلة من الصلب لا تُقهَر تستعِد للتوغُّل في المدينة المُظلِمة في الوقت الراهِن، ثُم أصبَح مقعدي شيئًا صغيرًا وغبيًا، ليس أكثر من مكان تستخدمه الفئران للاختباء، بينما كانت الليلة فقط كبيرة بما يكفي.

حان الوقت.

خرجنا.. إلى الليل الساطع، صدمني ضوء القمر، وهبَّ نسيم من رائحة الورود الميتة المُميِّز لليالي ميامي عبر بشرتي، وفي وقتٍ لا يُذكَر تقريبًا.. كُنت قد وَصلت، في الظلال التي يُلقي بها سياج ماكجريجور، قبع يُراقِب، ينتظِر، ويُنصِت السمع في الوقت الحالي، يلتف بحذر حول معصمي ويهمس لي بالصبر، بدا الأمر مُثيرًا للشفقة.. كونه لا يستطيع رؤية أي شيء يتلألأ بشدةٍ مثلما أستطيع، أعطتني هذه الفكرة دفقة أخرى من القوة، ارتديت قناعي المصنوع من الحرير الأبيض، وكُنت مُستعِدًا للبدء.

ببطء.. وبشكلٍ خفي.. انتقلت من ظُلمة ظلال السياج لأضع لعبة أطفال بلاستيكية على شكل لوحة بيانو أسفل نافذته، وضعتها تحت شجيرة زنبق بحيث لا يُمكِن رؤيتها بوضوح، كانت ذات ألوان حمراء وزرقاء زاهية، طولها أقل من قدم، وتحتوي على ثمانية مفاتيح فحسب، ورغم ذلك تُكرر نفس الألحان الأربعة إلى ما لا نهاية حتى نفاد البطارية، قُمت بتشغيلها.. وانسحبت عائدًا إلى مكاني بجوار السياج.

على الفور عُزِفَت Jingle Bells، وبعدها Old MacDonald، لسببٍ ما.. كانت هناك نغمة رئيسية مفقودة بكُل أغنية، لكن اللعبة الصغيرة استمرَّت وصولًا إلى London Bridge بنفس النغمات الجنونية المُبهِجة.

كان ذلك كافيًا لإثارة جنون أي شخص، لكن ربما كان له تأثير إضافي عند شخص ما مثل ماكجريجور الذي يعيش من أجل الأطفال، على أي حال.. هذا ما أتمنَّاه بالتأكيد، كُنت قد اخترت لوحة المفاتيح عن عمد لإغرائه بالخروج، وتمنيت بصدقٍ.. أن يعتقِد أن سره انكشف،

وأن تلك اللعبة أتت من الجحيم مُباشرةً لتُعاقِبه، فبعد كُل شيء.. لماذا لا أستمتِع بما أفعله؟

وبدا أن الخطة تعمل، كانت أغنية London Bridge تتكرَّر للمرة الثالثة فحسب حين خَرَج مُتعثِّرًا من منزله، كانت عيناه مفتوحتين عن آخرهما، بينما تعلو وجهه نظرة مليئة بالرعب، وقف هناك للحظةٍ، يتلفَّت حوله، بينما بدا شعره المُتراجع المائل للون الأحمر وكأنه قد مرَّ لتوه بعاصفةٍ، بينما تدلى بطنه الشاحب قليلًا فوق خصر بنطال بيجامته القذرة، لم يبد خطيرًا للغاية بالنسبة لي، لكن بالطبع.. لم أكن طفلًا في الخامسة من عُمري.

بعد دقيقة.. وقفها فاغِر الفاه وهو يحك جلده، ليبدو وكأنه تمثال لإله الغباء الإغريقي، تمكَّن ماكجريجور من تحديد مصدر الصوت، كانت Jingle Bells تُعزَف في الوقت الحالي، تقدَّم خطوة للأمام وهو ينحني قليلًا ليلمس لوحة المفاتيح البلاستيكية الصغيرة، ولم يكُن لديه الوقت الكافي حتى ليتفاجأ قبل أن ألفَّ مشنقة من خيط الصيد القادِر على حمل خمسين رطلًا حول عنقه، استقام وفكَّر في المقاومة لوهلة، جذبت الخيط أكثر فغيَّر رأيه.

قُلنا بصوت الراكِب البارِد المُسيطر: «توقَّف عن المقاومة، ستعش لفترةٍ أطول».

رأى قدره بين حروف هذه الكلمات، وظنَّ أن بإمكانه تغييره، شددت الخيط بقوةٍ وأمسكته بهذه الطريقة حتى تحوَّل وجهه للون الداكِن وهو يجثو على رُكبتيه.

خفَّفت الضغط قليلًا قبل أن يفقد وعيه مُباشرةً، قُلنا: «والآن.. افعل ما أُمِرت به».

لم ينطق ببنت شفة، اختنق فحسب في عدة أنفاس طويلة ومؤلِمة، قُمت بتعديل الخيط بلمسةٍ واحدةٍ، قُلنا: «هل تفهم؟».

أومأ برأسه فسمحت له بالتنفُّس.

لم يعُد يحاول المقاومة بعد الآن، دفعته نحو المنزل دفعًا ليأتي بمفاتيح سيارته، قبل أن نعود لسيارته الضخمة، ركبت في المقعد الخلفي، مُمسِكًا بالخيط بقبضةٍ مُحكمةٍ للغاية، سامحًا له بالتنفُّس بمقدارٍ كافٍ لتركه على قيد الحياة.. على الأقل في الوقت الحالي.

أمرناه: «ابدأ بتشغيل السيارة».

توقَّف، قبل أن يقول بصوتٍ خشنٍ وكأنه مليء بالحصى: «ماذا تُريد؟».

قُلنا: «كُل شيء.. ابدأ بتشغيل السيارة».

قال: «لديّ نقود».

جذبت حبل مشنقته بقوةٍ ونحن نقول: «إذا اشترِ لي طفلًا صغيرًا».

استمررت بالجذب لثوانٍ قليلةٍ، كان الخيط ضيقًا لدرجة أنه لم يستطِع التنفُّس، بينما كان الوقت كافيًا ليعرِف يقينًا أننا من نتولى المسؤولية هنا، وأننا نعرف ما فعله، وأننا سنتركه ليتنفَّس من أجل مُتعتنا من الآن فصاعدًا، وعندما قُمت بإرخاء الخيط مرة أخرى.. لم يكُن لديه ما يقوله.

قاد سيارته كما قُلنا له، خروجًا من شارع الثمانين، مرورًا بشارع أولد كاتلر، ثم إلى الجنوب، لم يكُن هناك زحام مروري يُذكَر، ليس في مثل هذا الوقت من الليل، توجَّهنا نحو مشروع تطوير جديد كان يجري في الجانب البعيد من قناة سنابر كريك، توقَّف البناء بسبب إدانة

المالِك بغسيل الأموال، لن يُقاطعنا أحد هنا، أمرنا ماكجريجور بالتوجُّه نحو كشك حراسة نصف مبني، مرورًا بطريق دائري، قبل أن يتوجَّه شرقًا نحو المياه، ثم التوقُّف بجوار شاحنة صغيرة، مكتب إدارة الموقع المؤقَّت، تُرِك من أجل المُراهقين الباحثين عن الإثارة، وغيرهم من هؤلاء الباحثين عن قليل من الخصوصية.. مثلي.

جلسنا للحظةٍ فحسب، نستمتِع بمنظر القمر فوق المياه، مع مُشتهي أطفال تلتف مشنقة حول عنقه في المقعد الأمامي، جميل للغاية.

نزلت وجذبت ماكجريجور خلفي، جذبته بقوة لدرجة أنه جثا على ركبتيه وهو يحاول الإمساك بالخيط المُلتَف حول عنقه، شاهدته للحظة وهو يختنِق ولعابه يسيل ليختلِط مع التُراب، صُبغ وجهه باللون الداكِن مرة أخرى وعيناه تتحوَّلان للون الأحمر، قبل أن أجذبه لأجبره على الوقوف، دفعته فوق درجات المقطورة الخشبية الثلاثة إلى الداخل، بحلول الوقت الذي تعافى فيه بما يكفي ليفهم ما يحدُث.. كُنت قد قيدته فوق المكتب، وقُمت بربط يديه وقدميه بشريطٍ لاصِق.

حاول ماكجريجور التحدُّث لكنه سعل بدلًا من ذلك، انتظرت، فالآن.. لديّ ما يكفي من الوقت، في النهاية قال بصوتٍ أجشٍ: «أرجوك.. سأعطيك كُل ما تريد».

قُلنا ونحن نرى تأثير كلماتنا فيه: «بالتأكيد ستفعل».

وعلى الرغم من عدم قدرته على رؤية ذلك، فإننا ابتسمنا تحت القناع الحريري الأبيض، أخرجت الصور التي كُنت قد أخذتها من قاربه وعرضتها عليه.

توقَّف عن الحركة تمامًا فاغِر الفاه، قال بحدةٍ لا تُناسِب شخصًا على وشك أن يتم تقطيعه لقطعٍ صغيرةٍ: «من أين أتيت بهذه؟».

«أخبرني من قام بالتقاط تلك الصور».

قال: «ولماذا سأفعل؟».

استخدمت كمّاشة من هذه التي تُستخدم لقطع القصدير لأقطع أول أصبعين من يده اليُسرى، صرخ وهو ينزف، وهو الأمر الذي لطالما أثار غضبي، لذلك وضعت كرة تنس في فمه قبل أن أقطع أول أصبعين من يده اليُمنى، قُلت: «دون سبب».

انتظرته ليهدأ قليلًا، وعندما حَدَث ذلك أخيرًا، وجه أنظاره نحوي، كان وجهه مليئًا بذلك الفهم التي يُصيبك بعد تجاوزك للألم ليُخبرك أن هذا سيدوم للأبد، أخرجت كُرة التنس من فمه، سألناه: «من الذي قام بالتقاط تلك الصور؟».

ابتسم وهو يقول: «آمل أن يكون أحدهم يخصّك».

وهو الأمر الذي جعل الدقائق التسعين التالية مُجزيَة أكثر.

الفصل الرابع

عادةً ما أشعُر بالسعادةِ والابتهاج لعدة أيام بعد إحدى تلك الليالي التي أمضيها بالخارج، لكنني وجدت نفسي ما زلت أفيض حماسًا في الصباح التالي لوفاة ماكجريجور السريعة، كُنت أرغَب بشدة في العثور على المصوِّر صاحِب حذاء رُعاة البقر الأحمر وإنهاء أمره سريعًا، أنا وحش مُنظَّم، وأحب أن أنهي كُل ما بدأت، ومعرفة أن هناك شخصًا يتجوَّل في الأرجاء وهو يرتدي هذا الحذاء السخيف، ويحمل كاميرا كانت شاهدة على الكثير، جعلني مُتلهِّفًا لاقتفاء آثاره من أجل إنهاء مشروعي المُكوَّن من جُزءين.

ربما كُنت مُتسرعًا للغاية في التعامُل مع ماكجريجور؛ وَجَبَ عليّ أن أمنحه المزيد من الوقت والتشجيع، وربما كان ليُخبرني بكُل شيء، لكن الأمر بدا كأنه شيء يُمكنني معرفته بسهولة، فعندما يتولّى الراكِب المُظلِم القيادة.. أعرِف يقينًا إن بإمكاني فعل أي شيء، وحتى الآن.. كُنت مُحقًا، لكن هذه المرة.. وضعني هذا في موقِفٍ مُحرِجٍ بعض الشيء، والآن.. يتحتَّم عليّ أن أجد صاحب الحذاء بنفسي.

أثناء بحثي السابق.. عَرِفت أن ماكجريجور لم تكُن لديه حياة اجتماعية بخلاف رحلاته البحرية المسائية، كان ينتمي إلى مؤسَّستين تُجاريتين، وهو الأمر الذي كان متوقَعًا من سمسار للعقارات، لكنني لم أكتشِف أي شخص بالتحديد يبدو وكأنه يتعامل معه، كما أنني أعرف

أنه لا يملك سجلًا جنائيًا، لذلك لم يكُن هناك ملف لفحصه من أجل البحث عن أي شُركاء معروفين، وضَّحت سجلات المحكمة بشأن طلاقه بعض الاختلافات المُتناقِضة البسيطة وتركَت الباقي لخيالي.

وها أنا ذا.. عالِق؛ كان ماكجريجور شخصًا وحيدًا كلاسيكيًا، وأثناء دراستي المُتأنيَّة له.. لم أرَ أبدًا ما يُشير إلى أن لديه أي أصحاب، أو رِفاق، أو مواعدات، أو زملاء، أو أصدقاء مُقرَّبين، لا وجود لليالي لعب البوكَر مع الأولاد.. لا أولاد على الإطلاق، باستثناء الفتية الصغار، لا يذهَب إلى الكنيسة مع أي أحد، ولا وجود لأي أصدقاء في أي نادٍ اجتماعي، لا يزور حانات الحي، لا يُشارِك في مُسابقات الرقص الاجتماعية الأسبوعية، وهو الأمر الذي يُفسِّر ظهور الحذاء، لا شيء.. باستثناء تلك الصور التي تظهر بها أطراف ذلك الحذاء الأحمر المُدبَّبة.

إذا من يكون راعي البقر هذا؟ وكيف سأجده؟

لم يكُن هناك سوى مكان واحد فقط يُمكنني البحث فيه عن إجابة، ويجب أن يحدث ذلك قريبًا، قبل أن يلاحِظ أحدهم اختفاء ماكجريجور، سمعت هزيم الرعد من بعيد، نظرت إلى ساعة الحائط في دهشةٍ، كانت الساعة الثانية والربع؛ موعد عاصفة ما بعد الظُهر اليومية، تخيَّلت طوال وقت الغداء كيف سيكون المشهد بالخارج، وهذا لم يكُن من شيمي يومًا.

رغم ذلك.. فإن العاصفة ستمنحني ستارًا لا بأس به مرة أخرى، وبإمكاني أن أتوقَّف لتناول شيء ما في طريق عودتي، توجَّهت وأنا أفكِّر في مُستقبلي القريب المُخطَّط له بعنايةٍ وتنسيقٍ إلى موقف السيارات، ركبت سيارتي، واتجهت جنوبًا.

كان المطر قد بدأ يهطل حين وصلت إلى ميناء ماثيسون هاموك، ارتديت معطفي الأصفر الذي يقيني شر الطقس العاصف مرة أخرى، وهرولت في الطريق إلى قارب ماكجريجور.

فتحت القفل ثانيةً بسهولةٍ تامةٍ، وانزلقت داخل الكابينة، أثناء زيارتي الأولى للقارب، كُنت أبحث عن أي آثار تُثبِت أن ماكجريجور كان يشتهي الأطفال، أما الآن.. فأنا أحاول العثور على شيء أكثر دقة، دليل صغير على هوية المُصوِّر صديق ماكجريجور.

وبما أنه يتحتَّم عليّ الآن البدء من مكانٍ ما، قرَّرت العودة لمنطقة النوم، فتحت الدرج صاحب المخبأ السري، قلَّبت بين الصور مرة أخرى، هذه المرة.. فحصت الظهر بنفس قدر الأهمية الذي فحصت به وجه الصور، أصبحت عملية البحث والتنقيب أمرًا أكثر صعوبة بسبب التصوير الرقمي، لم تكُن هناك أي علامات من أي نوع على الصور، لا توجد عبوات أفلام فارغة تحمل أرقامًا تسلسلية قابلة للتعقُّب، أصبح بإمكان أي نكرة في العالم تنزيل الصور على مُحرِّك الأقراص الثابِت الخاص به بمُنتهى السهولة وطباعتها وقتما أراد، حتى لو كان شخصًا لديه مثل هذا الذوق البشِع في اختيار الأحذية، لا يبدو هذا عادلًا؛ ألم يكُن من المُفترض أن تجعل أجهزة الكومبيوتر الأمور أسهل؟

أغلقت الدرج وبحثت في بقية المكان، لكن لم يكُن هناك ثمّة شيء لم أره من قبل، كان هذا مُحبِطًا لحدٍ ما، عُدت إلى المقصورة الرئيسية في الطابِق العلوي، كان هناك العديد من الأدراج أيضًا، فحصتها جميعًا، أشرطة الفيديو، التماثيل البلاستيكية، الشريط اللاصِق.. كُلها أشياء سبق أن لاحظتها من قبل، لم يُخبرني أيهم بأي شيء، سحبت مجموعة

لفافات من الشريط اللاصق للخارج، كُنت أعتقِد أنه لا داعي لترك هذا يذهَب هباءً، ودون وعي.. قلبت اللفافة الأخيرة رأسًا على عقِب.

وكانت هناك..

من الأفضل أن تكون محظوظًا على أن تكون جيدًا، لو تمنيّت شيئًا لمليون عامٍ.. فلم أكُن لأتمنى شيئًا بمثل هذه الجودة، في الجزء السُفلي من لفافة الشريط اللاصِق.. كانت قصاصة من الورق عالِقة، وعلى تلك القصاصة.. كان اسم «ريكير» مكتوبًا، وتحته رقم هاتِف.

بالطبع لم يكُن هناك أي ضمانات على كون هذا الـ»ريكير» هو صاحِب الحذاء الأحمر، أو أنه حتى على كونه إنسانًا، من المُمكِن كذلك أن يكون اسم السبَّاك الخاص بالقوارِب البحرية، لكن على أي حال.. كانت تلك نقطة بداية أكثر بكثير مما كُنت بحاجةٍ إليه، وضعت القُصاصة في جيبي، مُغلقًا معطف المطر، قبل أن أتسلَّل خارج القارِب، مُتجِهًا نحو الممشى مرة أخرى.

ربما كان هذا بفعل ما حَدَث ليلًا مع ماكجريجور، لكنني كُنت في غاية السعادة، وجدت نفسي أدندن بلحن أوبرا (ألف طائرة على السطح) لفيليب جلاس، وأنا أقود سيارتي نحو المنزل، إن مُفتاح الحياة السعيدة أن تحظى بتلك الإنجازات التي تفتخِر بها وأن تتطلَّع إلى المضي قدمًا بها، وفي الوقت الحالي.. كُنت أمتلك كليهما، يا له من أمر رائع أن أكون أنا.

استمرَّ مزاجي الجيد وصولًا إلى التقاطُع الذي يعُج بالزحام المروري بين طريق أولد كاتلر وطريق ليجون، ونظرة روتينية واحدة إلى مرآتي الخلفية.. كانت كافية لتُجمِّد الموسيقى على شفتيّ.

فخلفي.. لن أبالِغ إذا ما قُلت أنها كانت مُلتصِقة بمقعدي الخلفي، كانت سيارة فورد تورس كستنائية اللون، كانت تُشبه سيارات الخدمة المُشتركة التي اشتراها قسم شُرطة ميامي بأعدادٍ كبيرةٍ من أجل الموظّفين الذين يرتدون ملابس مدنية.

لم يكُن بإمكاني رؤية أي شيء جيد في هذا الأمر، قد تتبعك سيارة دورية دون سبب حقيقي واضح، لكن أن يتبعك شخص ما في سيارة خدمة مُشتركة فبالتأكيد سيكون لديه سبب واضح، ويبدو أن ذلك السبب هو إخباري بأنني مُراقَب، إذا ما كان الأمر كذلك.. فإن هذا يعمل بشكلٍ مثالي، لم يكُن بإمكاني تبيُّن هوية سائق السيارة الأخرى بسبب وَهَجِ الضوء المُنعكِس على زجاج سيارتي، لكن بدا من المُهِم فجأة أن أعرف المُدة التي قضتها تلك السيارة في مُراقبتي، ومن كان قائدها، ومدى ما رآه السائق.

توجَّهت إلى شارع جانبي صغير، توقَّفت، وتوقَّفت السيارة التورس خلفي مُباشرةً، ولدقيقةٍ.. لم يحدُث أي شيء؛ جلسنا في سيارتينا فحسب، ننتظِر، هل سيتم اعتقالي؟ إذا ما تبعني شخص ما من الميناء، فسيكون هذا أمرًا سيئًا للغاية لديكستر المُغامِر، آجلًا أم عاجلًا.. سيتم مُلاحظة غياب ماكجريجور، وحتى أكثر التحقيقات روتينية ستقودهم إلى قاربه، سيذهب شخص ما ليرى إذا ما كان هناك، وستبدو حقيقة أن ديكستر كان هناك في مُنتصف اليوم مُهِمة للغاية.

مثل هذه التفاصيل الصغيرة هي ما يجعل عمل الشرطة ناجحًا، يبحث رجال الشرطة عن تلك المُصادفات المُثيرة للاهتمام، وعندما يجدونها.. يُمكِنهم التعامل بجديةٍ شديدةٍ مع ذلك الشخص الذي تواجد في العديد من الأماكن المُثيرة للاهتمام بدافع الصدفة البحتة،

حتى لو كان هذا الشخص يعمل مع الشرطة، ويملك ابتسامة مُزيَّفة رائعة للغاية.

بدا لي أنني لا أملك أي شيء لأفعله سوى إيجاد طريقة للخداع لأكتشف من ذا الذي يتبعني ولماذا! ومن ثمَّ إقناعه بأن هذا أمر سخيف ولا جدوى منه سوى إضاعة الوقت، رسمت على وجهي أفضل ابتساماتي الرسمية الودودة، خرجت من السيارة، وسرت بثباتٍ نحو سيارة التورس، فُتِحَت النافذة لأرى من خلفها وجه الرقيب دوكس العابِس دائمًا وهو يُطالعني، مثل صنم خاص بأحد الآلهة الشريرة، منحوت من قطعة من الخشب الداكِن.

سألني: «لماذا تترك العمل في مُنتصف النهار كثيرًا مؤخرًا؟».

ورغم أن صوته لم يبد مصبوغًا بأي تعبيرات حقيقية، فإنه نجح وبطريقةٍ ما في إعطائي انطباعًا عامًا بأن كُل ما سأقوله عبارة عن كذبة وأنه يود لو يؤذيني بسببها.

قُلت بسعادةٍ غامرةٍ: «لماذا؟ الرقيب دوكس! يا لها من صدفة رائعة، ما الذي تفعله هنا؟».

قال: «هل لديك أشياء أكثر أهمية من عملك لتفعلها؟».

بدا كأنه غير مُهتم بأي نوع من أنواع الاستمرار في المُحادثة، لذلك تراجعت، عندما تواجه أشخاصًا يمتلكون مهارات حديث محدودة للغاية، ولا توجد لديهم رغبة حقيقية في تنمية أي منها، فمن الأسهل دائمًا أن تمضي قدمًا.

قُلت: «أنا.. لديّ بعض الأشياء الخاصَّة لأعتني بها».

حجة ضعيفة للغاية.. أعرِف ذلك، لكن دوكس أظهر من قبل عادة مُقلِقة تتمثَّل في ميله لطرح أكثر الأسئلة الشخصية حرجًا، ومع مثل تلك الشراسة الحقيقية.. كان من الصعب للغاية ألا أتلعثم، ناهيك عن ابتكار شيء ذكي.

نظر لي لثوانٍ بدت غير معدودة، بنفس الطريقة التي ينظر بها كلب بتبول جائع إلى اللحوم النيئة، ودون أن يرمش قال: «أشياء خاصة».

بدت أكثر غباءً عندما كرَّرها، قُلت: «هذا صحيح».

قال: «طبيب الأسنان الخاص بك موجود في مدينة جيبلز».

«حسنًا».

استكمل حديثه قائلًا: «طبيبك الخاص هناك في ألاميدا، لا تمتلك مُحاميًا خاصًا، وشقيقتك لا تزال في العمل، ما هو نوع الأشياء الخاصة التي لا أعرفها؟».

قُلت: «في الواقِع.. أنا...».

دُهِشت لسماع نفسي وأنا أتلعثم، لكنني لم أملك شيئًا آخر لأقوله، نظر إليّ دوكس وكأنه يتوسَّل لي لأفر راكضًا كي يتمكَّن من التدرُّب على ضرب النيران على الأهداف المُتحرِّكة.

في النهاية قال: «الغريب.. أن لديّ عددًا من الأشياء الخاصة التي أريد القيام بها هنا أيضًا».

قُلت: «حقًا؟».

شعرت بالارتياح حينما وجدت فمي قادرًا على النُطق بكلمات تصلح للحديث البشري مرة أخرى، أكملت حديثي: «وماذا تكون هذه الأشياء أيها الرقيب؟».

لم تكُن هذه مرتي الأولى التي أراه فيها وهو يبتسِم، ولا بد لي من القول بأنني كُنت سأفضِّل كثيرًا لو كان قفز من السيارة ببساطة ليعُضني بدلًا من ذلك، قال: «أنا أراقبك».

أعطاني دقيقة كانت كافية لأتأمَّل لمعة أسنانه، قبل أن يختفي خلف الزجاج الملوَّن مثل القط شيشاير.

الفصل الخامس

لو أعطيتني وقتًا كافيًا، فأنا مُتأكِّد أن بإمكاني تقديم قائمة كاملة من الأشياء غير السارَّة أكثر من تحويل الرقيب دوكس لظلي الشخصي، لكن مع وقوفي هناك مرتديًا ملابسي الأنيقة المقاوِمة للطقس السيئ ومُفكِّرًا في ريكير بحذائه الأحمر وهو يهرب مني، بدا الأمر سيئًا بما فيه الكفاية، لدرجة أنني لم يُمكِنني التفكير في أي شيء أسوأ، ركبت سيارتي ببساطة، أدرت المُحرِّك، وقدتها وسط الأمطار إلى شقتي، عادةً كانَت تصرفات السائقين الذين لديهم ميول للقتل ما تجعلني أشعر بالراحة، تجعلني أشعر وكأنني في البيت، لكن السيارة التورس كستنائية اللون التي تتبعني عن كثب أزالت وَهَج هذا الشعور لسببٍ ما.

أعرِف الرقيب دوكس جيدًا بما فيه الكفاية لأعرِف ببساطةٍ أن هذه لم تكُن نزوة للتنزُّه في يوم مُمطرٍ، لو كان يُراقبني.. لاستمرَّ في مُراقبتي حتى يُمسِك بي وأنا أفعل شَيئًا سيئًا، أو حتى يُصبِح غير قادر على مُراقبتي ثانيةً، بطبيعة الحال.. كان بإمكاني التفكير بسهولة في القليل من الطُرق غير الاعتيادية لأتأكَّد من أنه فَقَد اهتمامه، لكنها جميعًا كانت أشياء ستدوم، من الواضِح أنني لا أملك ضميرًا، لكنني أمتلك مجموعة من القواعد الواضحة للغاية التي تعمل بنفس الكيفية إلى حدٍ ما.

كُنت أعرِف أنه آجلًا أم عاجلًا سيقوم الرقيب دوكس بفعل شيء ما كي يقف في طريق هوايتي، فكَّرت جيدًا بما فيه الكافية فيما يُفترَض بي أن أفعل حينما يفعل هذا، وللأسف.. أفضل ما توصَّلت له كان الانتظار والترقُّب.

غالبًا ما ستقول: «معذرةً؟ لكن هل بإمكاننا تجاهُل الإجابة الواضِحة على هذا السؤال؟».

ومعك كامل الحق لتفعل، ففي النهاية.. ربما كان دوكس قويًا وقاتلًا، لكن الراكِب المُظلِم أكثر من ذلك بكثير، هذا بخلاف أنه لم يتمكَّن أي شخص من مواجهته عندما يتولى القيادة، ربما في هذه المرة..

همس الصوت الصغير في أذني: لا.

سألته: مرحبًا يا هاري، لم لا؟

قال هاري: هناك قواعد يا ديكستر.

قواعد يا أبي؟

***

كان عيد ميلادي السادس عشر، لم نُقِم الكثير من الحفلات، بما أنني لم أكُن قد تعلَّمت بعد كيف أكون جذابًا ورائعا وودودًا، وحتى لو لم أكُن أتجنَّب أقراني البلهاء.. فإنهم يتجنبونني بشكلٍ عام، عشت مُراهقتي مثل كلب الراعي الذي يتنقَّل بين قطعان الغنم الغبية القذرة، ومنذ ذلك الحين.. تعلَّمت الكثير، على سبيل المثال.. لم أكُن ذا فطنة في سن السادسة عشر كما أنا الآن، البشر ميؤوس منهم حقًا، لكن ليس ثمة ما يدفعهم لإكمال الطريق.

أقمنا في عيد ميلادي السادس عشر تجمّعًا عائليًا محدودًا، كانت دوريس -والدتي بالتبني- قد ماتت مؤخرًا بسبب السرطان، لكن ديبرا -شقيقتي بالتبني- صنعت لي كعكة، وأهداني هاري سنارة صيد جديدة، أطفأت الشموع، أكلنا الكعكة، ثم اصطحبني هاري إلى الفناء الخلفي لمنزلنا المتواضع الموجود في كوكونوت جروف، جلس على طاولة النزهة المصنوعة من الخشب الأحمر التي كان قد صنعها بجوار فرن الشواء المبني من الطوب، وأشار لي أن أجلس بدوري.

قال: «حسنًا يا ديكس، ستة عشر عامًا، أوشكت أن تُصبح رجلًا».

لم أعرِف ماذا من المُفترض أن يعني ذلك.. أنا؟ رجل؟ بشري؟ لم أعرف نوع الإجابة التي كان يتوقَّعها مني، لكنني عَلِمت أنه عادةً ما يكون من الأفضل عدم الإدلاء بتصريحات مُتذاكية أمام هاري، لذا أومأت برأسي، فحصني هاري بعينيه الزرقاوين، قبل أن يسألني: «هل أنت مُهتَم بالفتيات على الإطلاق؟».

قُلت: «بأي طريقة؟!».

«التقبيل، المُداعبة، أو كما تعرِف.. الجنس».

أصابني الدوار عندما صدمتني الفكرة وكأن قدمًا باردةً تركل جبهتي من الداخل، قُلت وقد كُنت قادرًا على الإقناع وقتها: «لا.. أنا.. لا.. ليس بهذه الطريقة».

أومأ هاري برأسه كما لو أن هذا بدا منطقيًا، قال: «ولا الأولاد كذلك؟».

هززت رأسي، نظر هاري إلى الطاولة قبل أن يتطلَّع إلى المنزل وهو يقول: «عندما بلغت السادسة عشر.. أخذني والدي إلى عاهرة».

هز رأسه بينما ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه، استكمل حديثه قائلًا: «استغرقني الأمر عشر سنوات لأتجاوَز الأمر».

لم يُمكنني التفكير في أي شيء لأقوله عن ذلك على الإطلاق، فكرة مُمارسة الجنس كانت غريبة تمامًا بالنسبة لي، وعندما تُفكِّر في دفع النقود من أجلها، خصوصًا لطفلك، وعندما يكون هذا الطفل هو هاري.. فحقًا يبدو هذا كُله مُبالغًا فيه للغاية، نظرت إلى هاري بشيء أقرب للذعر فابتسم.

قال هاري: «لا، لم أكُن لأعرض عليك الأمر، توقَّعت أنك ستستفيد أكثر من سنارة الصيد تلك».

هزَّ رأسه ببطء وهو ينظُر بعيدًا، بعيدًا عن طاولة النزهة، عبر الفناء الخلفي، نحو الشارع وهو يُضيف: «أو سكين تقطيع لحم».

قُلت وأنا أحاول ألا أبدو مُتلهِّفًا للغاية: «أجل».

قال: «لا، كلانا يعرف ما تُريد، لكنك لست مُستعدًا».

منذ المرة الأولى التي حدَّثني فيها هاري عمَّا كُنت عليه، كانت رحلة تخييم لا تُنسى قبل عامين، ونحن نحاول تجهيزي، أو على حد تعبير هاري: أن أكون على أهبّة الاستعداد، وبصفتي شابًا مُصطنعًا وإنسانًا مُغفَّلًا كُنت أتوق لبدء مسيرتي المهنيَّة السعيدة، لكن هاري كبح جماحي، لأن هاري دائمًا كان يعرف.

قُلت: «بإمكاني أن أكون حذرًا».

قال: «لكنك لن تكون كاملًا، هناك قواعد يا ديكستر، يجب أن تكون هناك قواعد، هذا ما سيجعلك مُختلفًا عن الآخرين».

قُلت: «اندمِج، نظِّف، لا تجازِف».

هزَّ هاري رأسه وهو يقول: «والأكثر أهمية.. عليك أن تتأكَّد قبل أن تبدأ أن هذا الشخص يستحق ذلك فعلًا، لا أستطيع إخبارك بعدد المرَّات التي كُنت متيقِّنًا فيها من أن شخصًا ما مذنب، قبل أن أضطر لتركه يرحل، أن ينظر هذا الوغد إليكَ ويبتسِم، وأنت تعلم، وهو يعلم، وأن تكون مُجبرًا على فتح الباب له وأن تسمَح له بالرحيل».

عضَّ على أسنانه وهو يضرب المنضدة بقبضته قائلًا: «لن تضطر إلى ذلك، لكن.. عليكَ أن تكون مُتأكِّدًا، مُتأكِّدًا للغاية يا ديكستر، وحتى لو كُنت متيقنًا تمام اليقين يا ديكستر».

رفع يده عاليًا في الهواء، وراحة يده في مواجهتي، استكمل حديثه: «احصل على بعض الأدلة، فحمدًا لله.. أنك غير مُضطر للمثول أمام المحكمة».

ابتسم ابتسامة صغيرة مريرة وهو يُضيف: «غير مُضطر للذهاب إلى أي مكان أبدًا يا ديكستر، لكنك تحتاج دليلًا، هذا هو أهم شيء».

نقر بقبضته على الطاولة وهو يقول: «يجب أن يكون لديك دليل، وحتى حينئذٍ...».

توقَّف، وهو الأمر غير المعهود من هاري، انتظرت، عالمًا أن شيئًا صعبًا على وشك أن يُقال، قال: «أحيانًا.. على الرغم من هذا، سيتحتَّم عليك تركهم يذهبون، بغض النظر عمَّا يستحقونه، في حال كانوا.. واضحين للغاية، على سبيل المثال، إذا ما كانوا سيثيرون الكثير من الاهتمام.. اتركهم يذهبون».

***

حسنًا، ها هي ذي، كالعادة.. كان لدى هاري الإجابة المنشودة، كلما شعرت بعدم الثقة.. أضحى بإمكاني سماع هاري يهمس في أذني، كُنت مُتأكِّدًا، لكنني لا أملك دليلًا على كون دوكس أي شيء بخلاف كونه شُرطيًا غاضِبًا ومُريبًا للغاية، وتقطيع شُرطي كان أمرًا ستغضب بشأنه المدينة، بعد وفاة المُحقِّقة لاجويرتا المُفاجئة مؤخّرًا، من شبه المُؤكَّد أن التسلسُل الهرمي للشرطة سيكون حساسًا بعض الشيء بخروج شرطي آخر منه بنفس الطريقة.

بغض النظر عن مدى ضرورة الأمر، فإن دوكس خارج الحدود بالنسبة لي، كان بإمكاني النظر من النافذة نحو السيارة التورس كستنائية اللون وهي تقف تحت شجرة، لكن لم يكُن بإمكاني فعل أي شيء حيال ذلك باستثناء تمني ظهور حل آخر بشكلٍ تلقائي.. كسقوط بيانو فوق رأسه على سبيل المثال، وللأسف الشديد.. تركت أمر التمني للحظ.

لكنها لم تكُن ليلة الحظ بالنسبة لديكستر المسكين المُحبَط، وفي الفترة الأخيرة.. كان هناك نقص حاد في سقوط آلات البيانو بمنطقة ميامي، لذا ها أنا ذا في كوخي الصغير، أطوف الأرض بإحباط، وفي كل مرة أنظر فيها بشكلٍ عابرٍ نحو النافذة، أجد السيارة التورس متوقِّفَة على الجانب الآخر من الطريق، طافَت في رأسي ذكرى ما كُنت أفكِّر فيه بسعادةٍ شديدةٍ منذ ساعة واحدة فقط، هل بإمكان ديكستر الخروج للعب؟ للأسف.. لا يا عزيزي الراكِب المُظلِم، ديكستر في وقت الراحة.

ومع ذلك.. كان هناك شيء ما يُمكنني القيام به، حتى في حال كُنت محبوسًا في شقتي، أخرجت قطعة الورق المُجعَّدة التي أتيت بها من قارب ماكجريجور من جيبي وقُمت بفردها، وهو الأمر الذي ترك أصابعي لزجة بفعل المادة اللاصقة التي كانت في الشريط اللاصِق التي

تمسَّكَت بها الورقة، «ريكير»، ورقم هاتِف، أكثر من كافٍ للبحث عبر دليل الهاتِف الذي أستطيع الوصول إليه عبر جهاز الكومبيوتر الخاص بي، وهو الأمر الذي فعلته في غضون دقائق قليلة.

كان الرقم خاصًا بهاتِفٍ محمولٍ، تمّ تسجيله باسم السيد ستيف ريكير، المُقيم بشارع تايجرتيل بمنطقة كوكونوت جروف، وبقليلٍ من التدقيق.. تبيَّن أن السيد ريكير مصوِّر مُحترِف، بالطبع من المُمكِن أن تكون مُجرَّد صُدفة، أنا مُتأكِّد من أن هناك العديد من الأشخاص يدعون ريكير في جميع أنحاء العالم ويعملون مصورين، بحثت في دليل هواتف الأعمال التجارية (Yellow Pages) ووجدت أن ريكير مُتخصِّص في أمرٍ ما، كان لديه إعلان يحتل رُبع صفحة، بقول فيه: (تذكَّرهم كما هُم الآن).

ريكير مُتخصِّص في تصوير الأطفال.

ربما اضطررت للتخلُّص من نظرية المُصادفة.

تحمَّس الراكِب المُظلِم وهو يضحك ضحكة ترقُّب خافتة، ووجدت نفسي أخطِّط لرحلة إلى تايجرتيل لإلقاء نظرة سريعة عليه، في الحقيقة.. لم يكُن بعيدًا للغاية، بإمكاني الذهاب إليه الآن، و...

لندع الرقيب دوكس يلعب المُطاردة مع ديكستر، فكرة مُمتازة، وخدمة لصديقٍ قديم، من شأن ذلك أن يوفِّر على دوكس قدرًا كبيرًا من العمل الاستقصائي المُمِل عندما يختفي ريكير أخيرًا ذات يوم، سيُمكنه حينئذٍ تجاوز كل الروتين المُمِل ليأتي إليّ مُباشرةً.

وقياسًا إلى ذلك المُعدَّل.. متى سيختفي ريكير؟ كان أمرًا مُحبِطًا للغاية أن يكون لديك هدف جدير بالاهتمام بالأفق، ورغم ذلك.. لا تستطيع التحقُّق منه بهذه الطريقة، ولكن بعد مرور عدة ساعات.. كان دوكس لا يزال متوقِّفًا على الجانب الآخر من الطريق، بينما كُنت لا أزال موجودًا

هنا، ماذا سأفعل؟ على الجانب الإيجابي.. من الواضح أن دوكس لم ير ما يكفي لاتخاذ أي إجراء يتجاوز ملاحقتي، لكن على الصعيد الآخر، هناك مُشكلة كبيرة تتصدَّر الأمر، إذا ما استمرَّ في مُلاحقتي، سأضطر للبقاء في شخصية جرذ مُختبر الطب الشرعي المستقيم، حريص على تجنُّب أي شيء أكثر فتكًا من ساعة الذروة في طريق بالميتو السريع، وهو الأمر الذي لا يحدُث، شعرت بضغطٍ لا ريب فيه، ليس فقط بسبب الراكب، لكن أيضًا بسبب الساعة، أحتاج لإيجاد دليل ما على أن ريكير هو المصوِّر الذي قام بالتقاط صور ماكجريجور قبل مرور الكثير من الوقت، وإذا كان هو.. سأحتاج للقيام بمُحادثةٍ جادةٍ معه، لأنه إذا أدرك أن جسد ماكجريجور تم تقطيعه بالكامِل، فبكل تأكيد سيفر نحو التلال، وإذا أدرك زملائي في قسم الشرطة ذلك.. فبإمكان الأمور أن تُصبح غير مُريحة لديكستر المُغامِر.

لكن يبدو أن دوكس قد استقرَّ لفترةٍ طويلةٍ، ولم يكُن هناك ما يُمكِنني فعله حيال ذلك في الوقت الحالي، كان التفكير في ريكير وهو يتجوَّل في الأنحاء بدلًا من ربطه بالشريط اللاصِق أمرًا مُحبِطًا للغاية، وقتلي له مُعطَّل، سمعت أنينًا ناعمًا وصوت طحين أسنان افتراضي من الراكِب المُظلِم، وعَرِفت تمامًا كيف شَعَر، لكن بدا أن هناك القليل جدًّا مما يُمكنني فعله باستثناء ذرع الغُرفة ذهابًا وإيابًا، وحتى هذا.. لم يكُن مُفيدًا للغاية: فإذا ما استمررت في فعل ذلك، فسأصنع ثقبًا في السجادة، وبهذا.. لن أستعيد أبدًا وديعة التأمين الخاصَّة بي التي وضعتها في الشقة.

كانَ أول ما فكَّرت به بشكلٍ غريزي هو أن أفعل شيئًا ما يكون من شأنه أن يُخرج دوكس عن المسار.. لكنه لم يكُن يومًا كلب صيد عاديًّا، كان بإمكاني التفكير في أمر واحد فحسب الذي من شأنه أن يُبعِد الرائحة

عن أنفه المُرتعِد المُتحمِّس، بالكاد كان من المُمكِن أن أرهقه، أن ألعب لعبة الانتظار، أن أكون طبيعيًا لفترةٍ طويلةٍ من الوقت للدرجة التي ستدفعه للاستسلام والعودة لوظيفته الحقيقية للقبض على جميع السُكَّان الكريهين حقًا والموجودين في الجانب السُفلي من مدينتنا الجميلة، لماذا هُم في الخارج حتى الآن يصفّون سياراتهم أزواجًا، يلقون القمامة في غير أماكنها، ويهددون بالتصويت للديمقراطيين في الانتخابات القادمة، كيف يُمكِنه إضاعة الوقت على ديكستر العجوز وهوايته غير المؤذيَّة؟

حسنًا إذن: سأكون عاديًا بلا هوادة حتى يؤذي أسنانه من كثرة طحينها، قد يستغرق الأمر أسابيع بدلًا من أيام، لكنني سأفعل ذلك، سأعيش حياتي المُزيَّفة التي خلقتها بشكلٍ كاملٍ كي أبدو كإنسان، وبما أن الجنس هو الذي يحكُم البشر بشكلٍ عامٍ، فسأبدأ بزيارة صديقتي الحميمة ريتا.

تعبير غريب، (صديقة حميمة)، خصوصًا للأشخاص البالغين، ومن الناحية العملية.. يصبح أكثر غرابةً، فبشكلٍ عام.. عادةً ما يصف به البالغون امرأة، وليس فتاة، تكون لديها الرغبةَ لمُمارسة الجنس، وليس تكوين صداقة، في الحقيقة.. مما لاحظته، كان من المُمكِن تمامًا أن يكره المرء صديقته الحميمة، على الرغم من أن الكراهية الحقيقية محجوزة للزواج بالطبع، لم أتمكَّن حتى الآن من تحديد ما تتوقَّعه النساء من صديقها الحميم في المُقابل، لكن من الواضح أنني أمتلكه طالما ريتا كانت مُهتمَّة، بالتأكيد لم يكُن الجنس، الأمر الذي بدا لي مُثيرًا للاهتمام تمامًا مثل حساب العجز في التجارة الخارجية.

من حُسن حظي أن ريتا أيضًا كانت غير مُهتمَّة بالجنس، في الغالب.. كان هذا بفعل زواج مُبكِّر كارثي من رجل اتضح أن فكرته عن قضاء

وقت مُمتع هي تدخين المخدرات وضربها، وفي وقتٍ لاحقٍ.. تفرَّغ ليُصيبها بالعديد من الأمراض المُثيرة للاهتمام، لكن عندما قام في ليلةٍ من الليالي بضرب الأطفال، تمزَّق ولاء ريتا الرائع لهذا الزواج، وطردت الخنزير خارج حياتها، ولحُسن حظها.. إلى السجن.

وكنتيجة لكُل هذا الاضطراب.. كانت تبحث عن رجل نبيل قد يكون مُهتمًّا بالرفقة والحديث، شخص ليس بحاجةٍ للانغماس في الدوافع الحيوانية الفجَّة للعاطفة المُنحطَّة، بعبارةٍ أخرى.. رجل سيُقدرها لمعدنها الأصيل، وليس لرغبتها في الانغماس في الألعاب البهلوانية العارية، رجل مثل ديكستر، ولما يقرب من العامين.. كانت هي التنكُّر المثالي بالنسبة لي، أحد المكوِّنات الرئيسية لديكستر كما يعرفه العالم بأسره، وفي المُقابِل.. لم أضربها، لم أصبها بأي شيء، لم أجبرها على شهوتي الحيوانية، وبدا أنها في الواقع.. تستمتع برفقتي.

وكمُكافأة.. أصبحت مُغرمًا جدًّا بطفليها، استور وكودي، ربما كان هذا غريبًا، لكنني أؤكِّد لكم أنه صحيح تمامًا، إذا ما اختفى أي شخص آخر في العالم بطريقةٍ غامضةٍ، فسأشعر بالغضب حيال ذلك فقط لأنه لن يكون هناك من يصنع لي الكعك، لكن الأطفال مُثيرون للاهتمام بالنسبة لي، بل وفي الحقيقة.. أنا أحبهم، مرَّ طفلا ريتا بطفولةٍ مُبكِّرةٍ مؤلِمةٍ، وربما كان هذا هو سبب شعوري بارتباطٍ خاصٍ بهما، اهتمام تجاوز الحفاظ على تنكري مع ريتا.

بصرف النظر عن طفليها، فإن ريتا نفسها كانت حسنة المظهَر، شعرها أشقر قصير ومُهذَّب، جسد رياضي ممشوق القوام، ونادرًا ما تفوَّهَت بأشياء غبيةٍ للغاية، كان بإمكاني الخروج معها في مكانٍ عامٍ وأنا أعلم أننا نبدو كثُنائي بشري مُتطابِق بشكلٍ مُناسِبٍ، وكان هذا حقًا هو

بيت القصيد، حتى أن الناس لطالما قالوا أننا ثُنائي جذَّاب، على الرغم من أنني لم أكُن مُتأكِّدًا أبدًا مما يعنيه هذا، أعتقد أن ريتا وجدتني جذابًا بطريقةٍ ما، بالرغم من أن سجلها الحافل مع الرجال لم يجعلني أشعر بالإطراء تجاه ذلك، ومع ذلك.. من الجيد دائمًا التواجُد حول شخص يعتقد أنني رائع، فهذا يؤكِّد وجهة نظري المُختلفة في الناس.

نظرت إلى الساعة الموجودة على مكتبي، الخامسة واثنتان وثلاثون دقيقة: ستكون ريتا في منزلها في غضون الخمس عشرة دقيقة التالية بعد أن تنهي عملها في وكالة فيرشايلد تايتل (Fairchild Title Agency)، التي تعمل بها في مهنةٍ مُعقَّدةٍ تتضمَّن كسورًا من النسب المئويَّة، يجب أن تكون قد وصلت إلى هناك بحلول الوقت الذي سأصل فيه إلى منزلها.

خرجت من المنزل بابتسامةٍ مُزيفةٍ مُبهِجةٍ، لوَّحت لدوكس، وقدت سيارتي نحو منزل ريتا المتواضع الموجود في جنوب ميامي، لم يكُن هناك الكثير من الازدحام المروري، هذا يعني أنه لم يكُن هناك حوادث مُميتة أو إطلاق للنيران، وفي أقل من عشرين دقيقة كُنت قد أوقفت سيارتي أمام منزل ريتا الصغير، سار الرقيب دوكس بسيارته إلى نهاية الشارع، وبينما كُنت أطرق بابها الأمامي، كان قد صفَّ سيارته في الجانب الآخر من الطريق.

انفتَح الباب لتظهَر ريتا أمامي وهي تقول: «أوه! ديكستر!».

قُلت: «شخصيًا، كُنت في الحي وتساءلت إذا ما كُنتِ قد وصلتِ إلى المنزل بعد».

«حسنًا، لقد.. لقد دخلت لتوي من الباب، لا بد أنني في حالة مُزرية.. تفضَّل، هل تريد عبوة من البيرة؟».

بيرة؛ يا لها من فكرة، لم ألمس هذه الأشياء أبدًا، ورغم ذلك.. كان الأمر طبيعيًا بشكلٍ مُثيرٍ للدهشة، زيارة مثالية لصديقة حميمة بعد العمل، لا بد أن دوكس نفسه شعر بالانبهار، كان هذا هو التصرُّف الصحيح، قُلت: «سأحب أن أحظى بواحدة».

قبل أن أتبعها إلى غُرفة المعيشة البارِدة نسبيًا، قالت وهي تبتسم: «اجلس، سأذهَب لأتحضَّر قليلًا، الأطفال في الخارج، لكنني مُتأكِّدة أنهما سيكونان حولك في كُل مكان عندما يكتشفان أنك هنا».

قامت بالمشي نحو الصالة، قبل أن تعود بعد دقيقة وبيدها عبوة من البيرة، قالت وهي تتَّجِه نحو غرفة نومها في الجزء الخلفي من المنزل: «سأعود حالًا».

جلست على الأريكة وأنا أنظر إلى البيرة التي أمسكها في يدي، أنا لا أشرب.. حقًا، تناول الشراب ليس عادة موصى بها للمُفترسين، لأنها تبطئ ردود الفعل، تُقلِّل نسبة الإدراك، وتجعل المرء يشعُر بالاهتمام والرعاية، وهو الأمر الذي لطالما بدا سيئًا بالنسبة لي، لكن ها أنا ذا.. شيطان في إجازة، أحاول التضحية القصوى بالتخلي عن قوتي لأصبح إنسانًا، لذلك كانت البيرة هي الشيء المُناسِب لديكستر الذي يُعاني من رهاب القلق من تناول الشراب.

رشفت رشفة، كان طعمها مرًا وضعيفًا، تمامًا كما كُنت لأكون إذا ما اضطررت لكبح جماح الراكِب المُظلِم وربطه في حزام أمان مقعده لفترةٍ طويلةٍ للغاية، ومع ذلك.. أظن أن طعم البيرة هو محض طعم مُكتسَب، رشفت رشفة أخرى، كان بإمكاني الشعور بقرقرتها طوال الطريق قبل أن تتناثر في معدتي، خطر لي بغتة أنه في خضم كُل هذا الحماس والإحباط طوال اليوم.. نسيت تناول غدائي، لكنها مُجرَّد بيرة خفيفة فحسب بحق

الجحيم، أو كما تُعلِن العبوة بفخر: بيرة لايت، أفترض أننا يجب أن نشعر بالامتنان لأنهم لم يفكروا في طريقة أكثر لطفًا لتهجئة كلمة بيرة.

رشفت رشفة كبيرة، لا يبدو الأمر بهذا السوء حين تعتاده، ولدهشتي.. كان هذا مُريحًا للأعصاب حقًا، وعلى أي حال.. كُنت أشعر بالمزيد من الاسترخاء مع كل رشفة، رشفة أخرى مُنعِشة.. لا أتذكَّر أن طعمها كان بهذه الجودة عندما جرَّبت تناولها في الكلية، بالطبع كُنت مُجرَّد شاب آنذاك، ولم أكُن المواطن المُجِد المُستقيم الذي أنا عليه الآن، رفعت العبوة عاليًا.. لكنها كانت قد فرغت تمامًا.

حسنًا.. بطريقةٍ ما.. فرغت العبوة، ورغم ذلك.. كُنت لا أزال أشعُر بالعطش، هل يُمكِن تحمُّل هذا الوضع غير السار؟ لا أعتقِد، هذا أمر لا يُطاق على الإطلاق، وفي الواقِع.. لم أكن أخطِّط لتحمُّل ذلك، وقفت.. وتوجَّهت إلى المطبخ بحزمٍ وثباتٍ، كانت هناك عدة عبوات من البيرة اللايت في الثلاجة، أخذت واحدة وعُدت إلى الأريكة.

جلست، فتحت عبوة البيرة، رشفت رشفة، أفضل بكثير، تبًا لدوكس هذا على أي حال، ربما يجب عليّ أن آخذ له عبوة من البيرة، لربما تريحه، تجعله يسترخي ويترك الأمر برمته، ففي النهاية.. نحن على نفس الجانب، أليس كذلك؟

رشفت، جاءت ريتا وهي ترتدي سروالًا قصيرًا من الجينز، قميصًا أبيض بحمَّالات، وفيونكة صغيرة من الساتان عند خط العنق، عليّ أن أعترِف أنها بدت لطيفة للغاية، أنا بارِع في اختيار قناع للتنكُّر، قالت وهي تجلس بجواري على الأريكة: «حسنًا، من اللطيف رؤيتك، دون أي تخطيط مُسبَق بهذه الطريقة».

قُلت: «يجب أن يكون كذلك».

أمالَت رأسها إلى اتجاهٍ واحدٍ وهي تنظُر لي بدهشة، قبل أن تقول: «هل كان يومًا شاقًا في العمل؟».

قُلت وأنا أرشف رشفة: «يوم فظيع، تحتَّم عليّ السماح لأحد الأشرار بأن يذهَب، رجل شرير للغاية».

تجهَّمت وهي تقول: «لماذا فعلت.. أقصد، ألم يُمكِنك أن..».

قُلت: «أردت ذلك، لكنني لم أستطع»

أشرت لها بعبوة البيرة وأنا أضيف: «سياسات العمل».

قبل أن أرشف رشفة، هزَّت ريتا رأسها وهي تقول: «ما زلت غير قادرة على التعوُّد على فكرة أن.. أعني.. أن الأمر يبدو من الخارج وكأنه أمر محسوم، أنت تجد رجلًا شريرًا، فتضعه في السجن، لكن سياسات العمل؟ أعني.. حتى مع.. ماذا فعل؟».

قُلت: «ساعد في قتل بعض الأطفال».

قالت وعلامات الصدمة تبدو على وجهها: «يا إلهي، لا بد أن هناك ما يُمكِنكَ فعله».

ابتسمت لها، لدهشتي.. فطنت للأمر مُباشرةً، يا لها من فتاة، ألم أقُل أنني بارع في الاختيار؟ قُلت: «لقد وضعتِ أصبعكِ على لُب الأمر تمامًا».

أمسكت بيدها كي أنظُر لهذا الأصبع وأنا أضيف: «هناك ما يُمكنني فعله، ويُمكنني فعله جيدًا للغاية كذلك».

ربتُّ على يدها، دون أن أسكُب سوى القليل من البيرة، قبل أن أقول: «كُنت أعلَم أنك ستفهمين الأمر».

بدت مُرتبِكة وهي تقول: «أي نوع من.. أعني.. ماذا ستفعل؟».

رشفت رشفة، لماذا لا أخبرها؟ أرى أنها قد فَهِمَت الفكرة بالفعل، فلمَ لا؟ فتحت فمي، لكن قبل أن أتمكَّن من أن أهمس بمقطعٍ لفظي واحد عن الراكِب المُظلِم وهوايتي غير المؤذيَّة، جاء استور وكودي ركضًا إلى الغُرفة، توقفا في مكانيهما عندما رأياني، ووقفا هناك يتبادلان النظر نحوي ونحو والدتهما.

قالت استور وهي تلكز شقيقها: «مرحبًا يا ديكستر».

قُلت بلُطفٍ: «مرحبًا».

لم يكُن مُتحدِّثًا لبِقًا، في الحقيقة.. لم يقُل أبدًا الكثير عن أي شيء، طفل مسكين، كُل ما فعله والده أفسده تمامًا، سألني: «هل أنت ثمل؟».

كان هذا حديثًا مطوَّلًا بالنسبة له، قالت ريتا: «كودي!».

لوَّحت لها بشجاعةٍ وأنا أواجهه قائلًا: «ثمل؟ أنا؟».

أومأ وهو يقول: «أجل».

قُلت بحزمٍ: «بالتأكيد لا».

وعبست في وجهه وأنا أضيف: «ربما أكون مخمورًا قليلًا، لكن هذا ليس نفس الشيء أبدًا».

قال: «أوه!».

تدخَّلت شقيقته في الحوار وهي تسألني: «هل ستبقى لتناول العشاء؟».

قُلت: «على الأرجَح.. أعتقِد أنني سأرحل».

لكن ريتا وضعت يدًا حازمةً بشكلٍ مُفاجئ على كتفي وهي تقول: «لن تقود سيارتك إلى أي مكان وأنت في هذه الحال».

«أي حال؟».

قال كودي: «مخمور».

قُلت: «لست مخمورًا».

قال كودي: «لكنك قُلت ذلك لتوِّك».

لم أستطِع تذكُّر آخر مرة سمعته يضع أربع كلمات في جُملة بهذه الطريقة، كُنت فخورًا به للغاية، أضافَت استور: «لقد فعلت، قُلت إنك لست ثملًا، لكنك مخمور بعض الشيء».

«هل قُلت ذلك؟».

أومأ كلاهما، فأضفت: «حسنًا إذن».

قاطعتني ريتا قائلة: «حسنًا إذن.. أظن أنك ستبقى لتناول العشاء».

حسنًا إذن، أعتقد أنني فعلت، أنا مُتأكِّد تمامًا أنني فعلت، على أي حال.. أعلم أنني في لحظةٍ ما ذهبت إلى الثلاجة لآتي بقليلٍ من البيرة، لأكتشِف أنها نفدت تمامًا، وفي لحظةٍ ما لاحقة كُنت أجلس على الأريكة مرة أخرى، كان التلفاز مفتوحًا بينما كُنت أحاول معرفة ما يقوله المُمثلون، ولماذا يعتقد الجمهور غير المرئي أن ما يقولونه هو أكثر الحوارات مرحًا على الإطلاق.

جلست ريتا على الأريكة بجواري، قالت: «الأطفال في أسرَّتهم، بمَ تشعُر؟».

قُلت: «أشعر بشعورٍ رائعٍ، لو أن بإمكاني فقط أن أعرِف الشيء المُضحِك للغاية».

وضعت ريتا يدها على كتفي وهي تقول: «الأمر يزعجك حقًا.. أليس كذلك؟ أن تترُك الرجل الشرير يذهَب، الأطفال..».

اقتربت ولفَّت ذراعها من حولي، وضعت رأسها على كتفي وهي تُضيف: «يا لك من رجل جيد يا ديكستر».

قُلت: «لا، أنا لست كذلك».

متسائلًا عن السبب الذي دفعها لأن تقول شيئًا بهذه الغرابة، اعتدلت ريتا وهي تنقل ناظريها من عيني اليُسرى إلى عيني اليُمنى ذهابًا وإيابًا، ابتسمت وهي تُعيد رأسها إلى كتفي قائلةً: «لكنك كذلك، أنت تعرف أنك كذلك، أعتقد أنه.. من اللطيف أنك أتيت إلى هنا، لتراني، عندما كُنت تشعُر بالسوء».

بدأت بإخبارها أن هذا لم يكُن صحيحًا تمامًا، لكن بعد ذلك خطر لي: لقد أتيت إلى هنا عندما شعرت بالسوء، هذا صحيح، كان هذا من أجل حمل دوكس على الرحيل، بعد الإحباط الرهيب الذي شعرت به بعد خسارتي لموعد لعبي مع ريكير، لكن في النهاية.. اتضح أنها كانت فكرة جيدة، أليس كذلك؟ ريتا العزيزة، كانت دافئة للغاية وذكية الرائحة، قُلت: «ريتا الطيبة».

جذبتها نحوي قدر المُستطاع، أسندت وجنتي فوق رأسها، جلسنا بهذه الطريقة لعدة دقائق، قبل أن تقف ريتا على قدميها وهي تجذبني من يدي قائلةً: «هيا، لنذهَب للفراش».

وهو الأمر الذي فعلناه، وعندما انزلقت أسفل الغطاء، وزحفت إلى جواري، كانت لطيفة للغاية ورائحتها ذكية، شعرت بالدفء والراحة..

حسنًا، إن البيرة حقًا شيء مُدهِش، أليس كذلك؟

الفصل السادس

استيقظت مُصابًا بالصداع، وشعور هائل من كُره النفس، مع إحساس بالتيه، كانت هناك ملاءة وردية اللون مُسجاة تحت وجنتي، ملاءتي.. الملاءة التي أستيقظ فوقها كل يوم في فراشي الصغير.. ليست وردية اللون، كما أن رائحتها لم تكُن كتلك، بدت المرتبة واسِعة للغاية بحيث لا يُمكِن أن تكون مرتبة فراشي الصغير القابل للطي، وفي الحقيقة.. كُنت مُتأكِّدًا من أن هذا لم يكُن صُداعًا أيضًا.

سمعت صوتًا بالقُرب من قدميّ يقول: «صباح الخير أيها الوسيم».

استدرت لأرى ريتا تقف بالقُرب من نهاية الفراش، تنظُر نحوي للأسفل وعلى شفتيها ترتسِم ابتسامة صغيرة سعيدة.

قُلت بصوتٍ شبيهٍ بنقيق الضفادع: «آه».

زاد الصوت من ألم رأسي بشدةٍ، لكن على ما يبدو أنه كان نوعًا مسليًا من الألم لأن ابتسامة ريتا اتسعت.

قالت: «هذا ما اعتقدته، سأحضر لك بعض الأسبرين».

انحنت لتفرك ساقي قبل أن تستدير وتذهب نحو دورة المياه.

اعتدلت جالسًا، وربما كان هذا خطأً استراتيجيًا، لأنه جعل ألم رأسي يدُق بقوة أكبر، أغلقت عينيّ، تنفَّست بعُمقٍ، وانتظرت الأسبرين الخاص بي.

ستستغرق تلك الحياة الطبيعية القليل من الوقت لأعتاد عليها.

لكن الغريب.. أنها لم تفعل، ليس في الحقيقة، كُنت قد اكتشفت أنني إذا ما اكتفيت بعبوةٍ واحدةٍ من البيرة أو ربما اثنتين، فبإمكاني الاسترخاء بما يكفي للاندماج مع الغطاء فوق الأريكة، وهكذا كان الأمر لعدة ليالٍ في الأسبوع، مع رؤيتي للرقيب دوكس دائم الإخلاص في مرآتي الخلفية، كُنت أتوقف عند منزل ريتا بعد العمل، ألعب مع كودي واستور، وأجلس مع ريتا بعد ذهاب الأطفال للفراش، وفي حدود العاشرة مساءً.. أتوجَّه نحو الباب، يبدو أن ريتا تتوقَّع أن أقبِّلها عندما أرحَل، لذا كُنت قد رتبت لتقبيلها عندما نقف أمام الباب الأمامي كي يستطيع دوكس رؤيتي، استخدمت كل الأساليب التي استطعت الحصول عليها من خلال مُشاهدة العديد من الأفلام، واستجابت ريتا بسعادةٍ.

أنا أحب الروتين، واستقرَّ هذا الروتين الجديد في نفسي لدرجة أنني كدت أؤمن به، كان الأمر مُمِلًا لدرجة أنني كُنت أجبِر نفسي الحقيقية على النوم، ومن بعيد.. في المقعد الخلفي.. في أعمق أركان ديكستر لاند.. كان بإمكاني البدء في سماع صوت شخير الراكِب المُظلِم الهادئ، وهو الأمر الذي كان مُخيفًا بعض الشيء، وجعلني أشعر بقليلٍ من الوحدة للمرة الأولى، لكنني تمسَّكت بالأمر، وقُمت بلعبةٍ صغيرةٍ من خلال زياراتي لريتا لأرى إلى أي مدى يُمكنني التقدُّم، عالمًا أن دوكس كان يُراقِب، على أمل أن يبدأ في طرح الأسئلة قريبًا، اشتريت الزهور، الحلوى، والبيتزا، حتى أنني قبَّلت ريتا بطريقةٍ أكثر غرابةً من أي وقت مضى، حريصًا على الظهور عند الباب الأمامي كي أمنح دوكس فرصة الحصول على أفضل صورة مُمكِنة، كُنت أعلَم أنه كان عرضًا سخيفًا، لكنه كان السلاح الوحيد الذي أمتلكه.

ولأيام مُتتالية ظلَّ دوكس معي، كان ظهوره غير متوقَّع، وهو الأمر الذي جعلَه يبدو أكثر تهديدًا، لم أعلم أبدًا أين أو متى من المُمكِن أن يظهر، وهو ما جعلني أشعر أنه كان موجودًا طوال الوقت، إذا ما ذهبت لمحل البقالة.. وجدت دوكس في انتظاري بجوار البروكلي، إذا ما ركبت دراجتي على طول طريق أولد كاتلر.. ففي مكانٍ ما على الطريق سأرى السيارة التورس كستنائية اللون متوقِّفة تحت شجرة بانيان، قد يمُر يومٌ دون أن أرى دوكس، لكنني دائمًا أشعر به هناك، يدور في اتجاه الريح وينتظِر، لم أجرؤ أبدًا على أن أستسلِم، فإذا لم أتمكَّن من رؤيته، فإما أنه مُختبئ بشكلٍ جيدٍ، أو أنه يُحضِّر لظهورٍ مُفاجئ آخر.

أجبرت على أن أكون ديكستر النهاري بشكلٍ كاملٍ، مثل مُمثِّل عالِق في فيلم، عالمًا بأن العالم الحقيقي هناك، خلف الشاشة مُباشرةً، لكن لا يُمكِن الوصول إليه كالقمر، وعند ذكر القمر، حضرني التفكير في ريكير، كانت فكرة أنه يتبختر في حياته دون أن يشعر بالقلق وهو يرتدي هذا الحذاء الأحمر السخيف كانت أكثر مما يُمكنني تحمُّله.

بالطبع كُنت أعرف أنه حتى دوكس ليس باستطاعته الاستمرار على هذا المنوال إلى الأبد، ففي النهاية.. هو يتلقى راتبًا جيدًا من سُكَّان ميامي للقيام بعملٍ، وبين كل حين وآخر عليه أن يؤدي عمله، لكن دوكس أدرك مدى ارتفاع المد الداخلي الذي يقصفني، وكان يعلم أنه إذا استمرَّ في الضغط لفترةٍ كافيةٍ.. فسيزول التنكُّر، ولا بُد له أن يزول، حيث إن الهمسات الهادئة القادمة من المقعد الخلفي قد صارت أكثر إلحاحًا.

وهكذا كُنا.. متوازنين فوق نصل سكين، لكن هذا كان مجازًا فقط للأسف، فآجلًا أم عاجلًا.. سيتحتَّم عليّ أن أكون أنا، لكن حتى ذلك الحين.. كُنت أرى العديد من جوانب ريتا، كانت أقل من أن تعرِف

بسري القديم، الراكِب المُظلِم، لكنني كُنت بحاجةٍ لهويتي السريَّة، وإلى أن أفرّ من دوكس، كانت ريتا هي عباءتي، جواربي الحمراء، وحزامي، باختصار.. كانت كُل شيء في التنكُّر الخاص بي.

جيد جدًا: كُنت أجلس على الأريكة، أمسك بعبوةٍ من البيرة، وأشاهِد برنامج «الناجي» أو (Survivor)، وأفكّر في شكل مُختلِف مُثير للاهتمام من اللعبة لكنه لن يصل أبدًا إلى إدارة القناة، إذا ما قُمت وبمُنتهى البساطة بإضافة ديكستر إلى هؤلاء المُتسابقين، وفسَّرت العنوان حرفيًا قليلًا..

لم يكُن كُل شيء كئيبًا، موحشًا، وباردًا، فلعدة مرات في الأسبوع تمكَّنت من لعب الغميضة مع كودي واستور ومجموعة من المخلوقات البريَّة المُختلِفة الموجودة في الحي، وهو الأمر الذي يُعيدنا من حيث بدأنا: ديكستر مُعطَّل، غير قادِر على الإبحار في حياته اليومية، وبدلًا من ذلك.. مُحتجَز بين ضحكات الأطفال وعبوة من المكرونة الرافيولي، وفي المساء.. عندما كانت تُمطِر، تجمَّعنا في الداخل حول منضدة الطعام، بينما كانت ريتا تُسرِع لتُنهي الغسيل، تنظيف الأطباق، أشياء أخرى لتُتم النعيم الداخلي في عشها الصغير.

لا يوجد سوى عدد قليل من الألعاب التي من المُمكِن أن تُلعَب بالداخل باستطاعة المرء أن يلعبها مع طفلين في هذه السن اللطيفة والأرواح التي طالها الأذى مثل كودي واستور؛ فمُعظَم ألعاب الألواح كانت إما غير مُمتِعة أو غير مفهومة بالنسبة لهما، ويبدو أن هناك الكثير من الألعاب التي تُلعَب بالكروت تتطلَّب قدرًا بسيطًا وطفيفًا من الذكاء لدرجة أنني لم أتمكَّن من تزييف اقتناعي، لكننا استقررنا في

النهاية على لعبة الرجل المشنوق (Hangman)[1]، كانت لعبة تعليمية، إبداعية، وتُرضي القتلة بشكلٍ ما، مما جعل الجميع سُعداء، حتى ريتا.

إذا ما سألتني في الفترة التي سبقت ظهور دوكس عما إذا كانت حياة مليئة بلعبة الرجل المشنوق والبيرة اللايت ستُلائمني ككوبي المُفضَّل من الشاي، فإنني سأضطر للاعتراف بأن ديكستر يُفضِّل إلى حدٍ ما شاي الأولونج الصيني الأكثر قتامةً، لكن مع مرور الأيام، ومع اندماجي أكثر في واقِع تنكُّري، تحتَّم عليّ أن أسأل نفسي: هل كُنت أستمتع بحياتي كرب منزل يسكُن الضواحي قليلًا؟

ومع ذلك.. كان من المُريح للغاية بطريقةٍ ما أن أرى تلذُّذ كودي واستور المُفترسين يقترحان شيئًا ما غير ضار مثل لعبة الرجل المشنوق، جعلني حماسهما لشنق الرجل المرسوم النحيل أشعر وكأننا جميعًا قد نكون جزءًا من نفس الصنف البشري، وبينما كانوا يقتلون بسعادةٍ الرجال المشنوقين المجهولين، كُنت أشعُر بالقُرب منهم.

تعلَّمت استور سريعًا كيف ترسم المشنقة والخطوط اللازمة من أجل الأحرف المطلوبة، فقد كانت وبكل تأكيد تهتم باللفظ أكثر من الموضوع، فكانت تقول وهي تعض شفتها العُليا بين أسنانها: «سبعة حروف.. انتظِر، بل ستة فقط».

وبينما كانت تخميناتنا أنا وكودي تتضاءل، كانت تقفز بحماسٍ وهي تصرُخ: «ذراع!»،

---

(1) لعبة الرجل المشنوق: لعبة تخمين، تُلعَب باستخدام الورق والقلم للاعبينْ أو أكثر، يفكِّر أحد اللاعبين في كلمة أو عبارة أو جملة، ويحاول الآخر تخمينها من خلال اقتراح أحرف ضمن عدد معين من التخمينات، وكُلما أخطأ اللاعِب يرسم الآخر جزءًا من الرجل المشنوق، وتنتهي اللعبة حين يصل عدد الأخطاء لعدد أجزاء الرجل المشنوق، الذي يُرسَم على ورقة اللاعِب الآخر.

كان كودي يُحدِّق بها دون أي تعبيرات على وجهه، قبل أن ينظُر إلى الأسفل نحو الرجل المرسوم المُعلَّق من المشنقة، وعندما كان يأتي دوره، ونُخطئ في تخمين، كان يقول بصوتٍ خافتٍ: «قدم».

قبل أن ينظُر إلينا بشيءٍ لربما سيكون انتصارًا لو ظهر على شخص يملك عواطِف، وعندما يتم ملء سطر الخطوط الموجود تحت المشنقة بالحروف الخاطئة، كان كلاهما ينظُر للرجل الميت بارتياح، ولمرةٍ أو اثنتين قال كودي: «ميت».

قبل أن تقفز استور بسعادةٍ في مكانها وهي تقول: «مرة أخرى يا ديكستر! والآن.. هذا دوري!».

يا لها من شاعرية مُفرطة، عائلتنا الصغيرة المكوَّنة من ريتا، الطفلين، ووحش تتكوَّن من أربعة أفراد، لكن على الرغم من عدد الرجال الذين شنقناهم، فإن هذا لم يقتل قلقي بشأن الوقت الذي كان يتسرَّب بسُرعة إلى البالوعة، وسُرعان ما سأكون رجلًا عجوزًا بشعرٍ أبيض، أضعف من أن أرفع سكين تقطيع لحم، أترنَّح بين أيامي العادية المُرعِبة، التي يُظلِّلها الرقيب دوكس العجوز، وإحساسي بضياع الفُرصة قبل اغتنامها.

وما دمت لم أستطِع التفكير في مخرج، فقد كُنت مُعلَّقًا في المشنقة مثل رجال كودي واستور، وهو الأمر المُحبِط للغاية، أشعُر بالخجل وأنا أعترِف أنني فقدت الأمل تقريبًا، وهو ما لم أكُن لأفعله لولا أنني تذكَّرت شيئًا مُهِمًا للغاية..

هذه ميامي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل السابع

بالطبع لم يكُن ذلك ليدوم، تحتَّم عليّ أن أعرِف أن هذا الوضع غير الطبيعي سيمُر، مُفسِحًا الطريق للأمور كي تعود إلى طبيعتها، فبعد كُل شيء.. أنا أعيش في مدينة تنتشِر بها الفوضى كأشعة الشمس، التي تختبئ دائمًا خلف السحابة القادمة، وبعد ثلاثة أسابيع من أول لقاءاتي المُقلِقة مع الرقيب دوكس، تبدَّدت الغيوم أخيرًا.

كان الأمر محض حظ فحسب، لم يسقُط البيانو الذي تمنيّت سقوطه، لكنها كذلك كانت صُدفة سعيدة، كُنت أتناوَل طعام الغداء مع شقيقتي، ديبرا، اعذرني.. وَجَبَ على قول الرقيبة ديبرا، كانت ديبس شُرطية مثل والدها، هاري، وبفضل النتيجة السعيدة للأحداث الأخيرة.. تمَّت ترقيتها، تخلَّصت من زي العاهرة الذي أُجبرت على ارتدائه أثناء تكليفها بالعمل في قسم مُكافحة الرذيلة، ابتعدت عن زاوية الشارع أخيرًا، وعلَّقت مجموعتها الخاصة من الشرائط الخاصة برُتبة الرقيب.

كان يجب على ذلك أن يجعلها سعيدة، فبعد كُل شيء.. هذا ما كُنت أعتقد أنها تُريده، نهاية فترة عملها كعاهرة مُتخفيَّة، أي شُرطيَّة شابة وجذَّابة لحدٍ ما يتم تعيينها في قسم مُكافحة الرذيلة، فآجلًا أم عاجلًا ستجد نفسها مُشاركة في عملية للقبض على العاملين بمجال الدعارة، وديبرا.. كانت جذَّابة للغاية، لكن شكلها الجيد ومظهرها الصحي لم يفعلا شيئًا سوى إحراج شقيقتي المسكينة، كانت تكره ارتداء أي شيء

يُبرِز مفاتنها، لذلك كان الوقوف في الشارِع مُرتديةً بنطالًا مُثيرًا وقميصًا علويًا قصيرًا بمثابة العذاب لها، وبالتالي أصبحَت مُهدَّدة بخطر الإصابة بالتجاعيد من فرط تجهمها الدائم.

ولأنني وحش قاسٍ، أميل دومًا لأن أكون منطقيًا، لذا ظننت أن تكليفها الجديد سيُنهي مُعاناتها كالسيدة: مُتجهّمة دائمًا، وللأسف.. فشل نقلها إلى قسم التحقيق في جرائم القتلِ في رسم الابتسامة على وجهها، يبدو أنها في وقتٍ ما.. قرَّرَت أن الموظَّفين المسؤولين عن تنفيذ القانون يجب أن يعيدوا تشكيل وجوههم لتبدو أشبه بسمكة كبيرة ولئيمة، وها هي ما زالت تعمل بجدٍ لتحقيق هذا.

كُنا قد أتينا لتناول الغداء معًا في سيارة الخدمة المُشتركة الخاصة بها، مزية أخرى من مزايا ترقيتها التي كان من المُفترض أن تجلب ولو شعاعًا صغيرًا من أشعة الشمس إلى حياتها، لكن يبدو أن هذا لم يحدُث، تساءلت إذا ما كان عليّ أن أقلق بشأنها، راقبتها وأنا أجلس على منضدة ذات مقعدين في مقهى ريلامباجو، مطعمنا الكوبي المُفضَّل، أخطَرَتهم عن موقعها قبل أن تجلس في مواجهتي بعبوسٍ.

قُلت بينما كُنا نُمسِك بقوائم الطعام: «حسنًا أيتها السمكة القبيحة».

«هل هذا مُضحِك يا ديكستر؟».

قُلت: «أجل، مُضحِك للغاية، وحزين بعض الشيء أيضًا، مثل الحياة نفسها، خصوصًا حياتكِ يا ديبرا».

قالت: «اللعنة عليك، حياتي على ما يُرام».

قبل أن تُنادي النادِل: «تشارلي».

كي تُثبِت ما قالته لتوها، طلبَت شطيرة (مُنتصَف الليل)[1]، الشطيرة الأفضل في ميامي، وكوكتيل (باتيدو دو مامي) وهو مخفوق حليب كوبي ذو طعم فريد من نوعه، يُصنَع من فاكهة استوائية مذاقها فريد، يبدو كأنه خليط من البطيخ، الخوخ، والمانجو.

كانت حياتي جيدة مثل حياتها تمامًا، لذلك طلبت نفس الشيء، ونظرًا لأننا زبائن مُعتادون هنا، وكُنا نأتي إلى هنا طوال حياتنا، فقد انتزَع النادل العجوز غير حليق الوجه القوائم بوجهٍ لربما كان هو النموذج الذي يحتذي به وجه ديبرا، وتوجَّه إلى المطبخ مثل جودزيلا وهو في طريقه إلى طوكيو.

قُلت: «الجميع مُبتهِجون وسُعداء للغاية».

نظرت لي دون أي تعبيرات على وجهها، نظرة شُرطية مثالية وهي تقول: «هذا ليس حي السيد روجرز[2] يا ديكس، هذه ميامي، فقط الأشرار هنا هُم السعداء، كيف لك ألا تضحك وتُغني؟».

«قاسٍ يا ديب، قاسٍ للغاية، لقد كُنت جيدًا لشهور».

رشفت رشفة ماء وهي تقول: «وهذا يقودك للجنون».

قُلت وأنا أشعر بالقشعريرة: «أسوأ من ذلك بكثير، هذا يجعلني طبيعيًا».

قالت: «كدت تخدعني».

تردَّدت قليلًا، قبل أن أحسم أمري وأقرِّر أن أتحدَّث معها، ففي النهاية.. إن لم يكُن بإمكان المرء أن يُشارِك مشاكله مع عائلته، فبمن

---

(1) شطيرة مُنتصف الليل: نوع من أنواع الشطائر الكوبية، سُميَّت بهذا الاسم نظرًا لتقديمها في مُنتصف الليل تمامًا في النوادي الليلية في هافانا.

(2) حي السيد روجرز: مُسلسل أطفال تليفزيوني أمريكي مكوَّن من 31 موسماً.

يُمكنه أن يثق؟ قُلت: «هذا حزين.. لكنه حقيقي، لقد أصبحت شخصًا كسولًا، بسبب الرقيب دوكس».

أومأت وهي تقول: «يمتلك الكثير من المشاعر القاسية تجاهك، من الأفضل لك أن تبتعد عنه».

قُلت: «سأحب أن أفعل هذا، لكنه لن يبتعِد عني».

أصبحت نظرتها الشُرطية أكثر قسوةً وهي تقول: «وماذا تنوي أن تفعل حيال ذلك؟».

فتحت فمي لأنكر كُل الأشياء التي كُنت أفكِّر فيها، ولكن من حُسن حظ روحي الخالِدة، قاطعني صوت اللا سلكي الخاص بديب قبل أن أتمكَّن من الكذب عليها، أمالت رأسها قليلًا وهي تنتزِع اللا سلكي لتخبرهم أنها في طريقها، قالت فجأة: «هيا بنا».

قبل أن تهرع نحو الباب، تبعتها بخنوعٍ، تلكأت قليلًا لأضع بعض المال على المنضدة.

كانت ديبرا تعود بسيارتها للخلف في الوقت نفسه الذي خرجت فيه من ريلامباجو، أسرعت نحوها وأنا أمد يدي نحو الباب، كانت قد بدأت تتحرَّك للأمام لتخرُج من موقف انتظار السيارات قبل أن أضع كلتا قدميّ داخل السيارة، قُلت: «حقًا يا ديب، كدت أفقد حذائي، ما الأمر المُهِم لهذه الدرجة؟».

عبست ديبرا وهي تُسرِع نحو فجوة صغيرة وسط الزحام المروري ليس بوسع أي سائق المرور منها سوى سائقي ميامي، قالت وهي تُشغِّل سارينة التنبيه: «لا أعرِف».

رمشت بعيني وأنا أرفَع صوتي فوق مستوى الضوضاء: «ألم يخبروكِ عبر اللا سلكي؟».

«هل سمعت من قبل لعثمة أحد المُرسلين يا ديكستر؟».

«لماذا؟ لا يا ديب، لم أسمَع واحدًا من قبل، هل تلعثم المُرسِل؟».

دارت ديب من حول حافلة مدرسية، وهي تتوجَّه مُسرعةً نحو الطريق رقم 836، قبل أن تقول: «أجل».

أدارت عجلة القيادة بشدةٍ لتتفادى سيارة BMW مليئة بالشباب، الذين أشاروا لها جميعًا بإشارةٍ بذيئةٍ بأصابعهم الوسطى وهي تقول: «أعتقد أنها جريمة قتل».

قُلت: «تعتقدين؟».

أجابت: «أجل».

قبل أن تصُب جام تركيزها في القيادة، فتركتها، دائمًا ما تذكِّرني السُرعات العالية بفَنَائي، خصوصًا على طُرق ميامي، وفيما يتعلَّق بأمر المُرسِل المُتلعثم، فسأكتشِف حقيقة الأمر قريبًا، حسنًا.. أنا والرقيب نانسي درو[1]، لا سيما بمثل هذه السرُعة، لا مانِع أبدًا من قليلٍ من الإثارة.

وفي غضون دقائق قليلة، تمكَّنت ديب من الوصول بنا قريبًا من ملعب ميامي أورانج بول[2]، دون أن تتسبَّب في خسائر فادحة في الأرواح، سرنا فوق بعض الطُرق المُمهَّدة قبل أن تقوم ببعض المُنعطفات السريعة

(1) نانسي درو: مسلسل تليفزيوني درامي أمريكي، ينتمي لمسلسلات الخوارِق وما وراء الطبيعة، العمل مُسمى على اسم بطلة العمل.

(2) ملعب ميامي أورانج بول: ملعب مُتعدِّد الاستخدامات يقع في ميامي، غالبًا ما يتم استخدامه لمُباريات كُرة القدم الأمريكية، ويُعتبر الملعب الرسمي لنادي ميامي هيوريكانز.

ثم قفزت فوق رصيف منزل صغير في شمال غرب الشارع الرابع، كانت المنازِل المُتشابِهة تصطف على جانبي الطريق، جميعها صغير وقريب من بعضه البعض، تفصل حوائط المنازِل أو الأسيجة المعدنية المنازِل عن بعضها البعض، كانت الألوان الزاهية سمة تُميِّز العديد منها، وكذلك كانت الأفنية المرصوفة.

وقفت سيارتا دورية أمام المنزل بالفعل، أضواؤهما تومض، كان زوج من رجال الشرطة الذين يرتدون الملابس الرسمية يقومان بلفِّ الشريط الأصفر الخاص بمسرح الجريمة حول المكان، وعندما هبطنا من السيارة، رأيت شُرطيًا ثالثًا يجلس في المقعد الأمامي لإحدى السيارتين، مُمسِكًا رأسه بيديه، وفي شُرفة المنزل وقف شُرطي رابع بجوار سيدة عجوز، كانت هناك درجتان صغيرتان تقودان للشُرفة الأمامية، جلست هي على أعلاهما، بدت وكأنها تتأرجَح بين البكاء والتقيؤ، وفي مكانٍ قريبٍ.. أخذ كلب بالعواء، مُكرِّرًا نفس الصوت مرارًا وتكرارًا.

توجَّهت ديبرا نحو أقرب زي رسمي، كان شابًا عريضًا في مُنتصف العُمر بشعرٍ داكنٍ، وعلى وجهه ترتسِم نظرة تقول بأنه يتمنى لو كان جالسًا في سيارته ورأسه بين يديه هو الآخر، سألته ديبرا وهي تُظهِر شارتها: «ماذا لدينا هنا؟».

هزَّ الشُرطي رأسه دون أن ينظُر إلينا قبل أن ينفجر قائلًا: «لن أذهَب إلى هناك مرةً أخرى، حتى لو كلفني الأمر معاش تقاعدي».

استدار وبدأ يبتعد، كان يمشي بصعوبة نحو سيارة الدورية، عابرًا الشريط الأصفر، وكأنه سيحميه من الشيء الموجود بالمنزل.

حدَّقت ديبرا في ظهره قبل أن تنظُر لي، بصراحةٍ تامةٍ.. لم أستطِع التفكير في أي شيء مُفيد أو ذكي لأقوله، وللحظةٍ.. وقفنا ننظر إلى

بعضنا البعض فحسب، هزَّ الريح شريط مسرح الجريمة، بينما استمرَّ الكلب في العويل، نوع غريب من النباح لم يفعل أي شيء ليُزيد من عاطفتي تجاه الكلاب، هزَّت ديبرا رأسها وهي تقول: «ليُخرِس أحدكم هذا الكلب اللعين».

انحنت لتمُر تحت الشريط الأصفر وبدأت في المشي نحو المنزل، تبعتها، وبعد عدَّة خطوات.. أدركت أن صوت الكلب كان يقترِب، كان في المنزل، ربما هو حيوان الضحية الأليف، فغالبًا ما يتفاعَل الحيوان بشكلٍ سيئ مع وفاة صاحبه.

توقَّفنا عند السلم، نظرت ديبرا للشُرطي وهي تقرأ بطاقته المُعلَّقة إلى صدره، قبل أن تقول: «هل هذه السيدة شاهِدة يا كورونيل؟».

لم ينظُر الشُرطي إلينا وهو يقول: «أجل، السيدة ميدينا، هي التي استدعتنا».

انحنت السيدة العجوز وهي تتقيأ.

عبست ديبرا وهي تسأله: «وما خطب هذا الكلب؟».

صدر صوت نباح عالٍ من كورونيل، كان مزيجًا بين الضحك والتقيؤ، لكنه لم يُجِب، ولم ينظُر إلينا.

أعتقِد أن ديبرا كانت قد نالت كفايتها، ومن الصعب أن ألومها، سألت بصرامةٍ: «ما الذي يحدُث هنا بحق اللعنة؟».

أدار كورونيل رأسه لينظُر لنا، لم يحمل وجهه أي تعبيرات على الإطلاق وهو يقول: «لتريا بنفسيكما».

قبل أن يُشيح بوجهه بعيدًا مرةً ثانيةً، فكَّرت ديبرا في قول شيء ما، لكنها غيَّرت رأيها، وبدلًا من ذلك.. نظرت نحوي باستهجانٍ.

قُلت لها: «لربما استطعنا إلقاء نظرة بدورنا».

تمنيت ألا أبدو متلهفًا للغاية، في الواقِع.. كُنت متشوِّقًا لرؤية الشيء الذي خلق ردة الفعل تلك لدى شُرطة ميامي، قد يمنعني الرقيب دوكس من القيام بأي شيء بنفسي، لكنه لا يستطيع منعي من الإعجاب بإبداع شخص آخر، ففي النهاية.. هذا عملي، أوليس علينا التمتُّع بعملنا؟

على صعيد آخر.. أبدت ديبرا تردّدًا غير معهود، نظرت مرة أخرى إلى سيارة الدورية التي لا يزال الشُرطي يجلس فيها دون حراك، رأسه بين يديه، قبل أن تنظُر مرة أخرى إلى كورونيل والسيدة العجوز، ثم إلى باب المنزل الصغير الأمامي، أخذت نفسًا عميقًا، قبل تزفره بقوةٍ وهي تقول: «حسنًا، لنُلقي نظرة».

لكنها لم تتحرَّك قيد أنملة، لذلك مررت بجوارها وفتحت الباب.

كانت غرفة المنزل الصغير الأمامية مُظلِمة، جميع الستائر كانت مُغلقة، كان هناك كرسي مُريح يبدو وكأنه أتى من متجر الأغراض المُستعملة، يعلوه غطاء كان قذرًا لدرجة أنه كان من المُستحيل تمامًا معرفة لونه الطبيعي، كان الكُرسي متموضعًا أمام منضدة قابلة للطيّ تحمل تلفازًا صغيرًا، أما بخلاف ذلك.. فكانت الغُرفة خالية، ظهرت بُقعة صغيرة من الضوء عبر المدخَل المُقابِل للباب، وبدا أن هذا هو المكان الذي يعوي به الكلب، لذلك اتجهت إلى هناك.. نحو مؤخرة المنزل.

الحيوانات لا تحبني، وهو الأمر الذي يُثبِت أنها أذكى مما نعتقِد، يبدو أنهم يشعرون بحقيقتي، ولا يوافقون عليها، وغالبًا ما يعبِّرون عن آرائهم بطريقةٍ حادةٍ للغاية، لذلك كُنت مُتردّدًا بعض الشيء بشأن

الاقتراب من كلب يبدو بالفعل مستاءً بكُل وضوح، لكنني عبرت المدخل ببطءٍ، ناديته بلُطفٍ: «أيها الكلب اللطيف!».

لكنه لم يبد حقًا كلبًا لطيفًا، بدا كأنه ثور بدماغٍ معطوب مُصاب بداء الكلب، لكنني أحاول أن أنظر للأمور بنظرة تفاؤل، حتى مع أصدقائنا من الكلاب، دخلت عبر الباب المتأرجِح الذي كان من الواضِح أنه يؤدي إلى المطبخ وأنا أرسم تعبيرًا لطيفًا ومُحبًا للحيوانات على وجهي.

بمُجرَّد أن لمست الباب سمعت صوت حفيف خافت ومُنزعج من الراكِب المُظلم فتوقَّفت، سألته: ما الأمر؟ لكنني لم أحظ بإجابةٍ، أغلقت عينيّ لثانية واحدة فقط، لكن الصفحة كانت فارِغة؛ لا توجد رسالة سريَّة تومِض على الجزء الداخلي من جفنيّ، هززت كتفيّ، فتحت الباب ودخلت إلى المطبَخ.

تم طلاء النصف العلوي من الغُرفة بلونٍ أصفر زيتي باهِت، أما الجزء السُفلي فكان قد تم تبطينه بقرميدٍ قديم أزرق بخطوط بيضاء، احتلَّت ثلاجة صغيرة أحد الأركان، وفرن كهربائي صغير فوق المنضدة، ركض صرصور بالميتو[1] فوق المنضدة ليختبئ خلف الثلاجة، بينما تمَّ تثبيت لوح خشبي بالمسامير فوق نافذة الغُرفة الوحيدة، وتدلى مصباح خافت الإضاءة من السقف.

تحت المصباح.. كانت توجد طاولة قديمة كبيرة وثقيلة، من ذلك النوع ذي الأرجل المُربَّعة والخزف الأبيض، على الحائِط كانت هناك مرآة قديمة مُعلَّقة بزاويةٍ تسمح لها بعكس كُل ما هو موجود فوق الطاولة، وفي هذا الانعكاس كان هناك..

---

(1) صرصور بالميتو أو صرصور غابات فلوريدا: نوع كبير من الصراصير تنمو عادة إلى طول 30–40 مم.

حسنًا، أعتقِد أنه بدأ حياته كإنسان من نوعٍ ما، على الأرجَح كان ذكرًا من أصول لاتينية، من الصعب جدًّا البت في أمره بحالته الحالية، عليّ أن أعترِف.. حتى أنا كُنت مرعوبًا بعض الشيء، ومع ذلك.. وعلى الرغم من دهشتي.. كان عليّ أن أبدي إعجابي بدقة العمل ومدى إتقانه، كان من الدقة للدرجة التي ستجعل جراحًا يشعُر بالغيرة، على الرغم من أنه يبدو من المُحتمَل أن عددًا قليلًا من الجراحين سيكون قادرًا على تبرير هذا النوع من العمل لمُنظمة الصحة العالمية.

فعلى سبيل المثال.. لم أكُن لأفكِّر أبدًا في بتر الشفتين والجفنين بهذه الطريقة، وعلى الرغم من أنني فخور بعملي الأنيق، فإنني لن أتمكَّن من فعل ذلك أبدًا دون الإضرار بالعينين، اللتين وفي هذه الحالة كانتا تتحرَّكان ذهابًا وإيابًا، كان غير قادر على إغلاقهما أو حتى على الرمش، خمَّنت أنه لا ينفك ينظُر إلى تلك المرآة، كان مُجرَّد حدس.. لكنني أعتقِد أن قطع الجفنين في النهاية، بعد فترة طويلة من قطع الأنف والأذنين بمثل هذه الدقة البالِغة، ومع ذلك.. لم أستطِع أن أقرِّر إذا ما كُنت سأفعل ذلك قبل أو بعد قطع الذراعين، القدمين، الأعضاء التناسلية، وما إلى ذلك، مجموعة صعبة من الاختيارات، لكن بالنظر إلى الأمر.. فقد تمَّ القيام بكُل ذلك بشكلٍ صحيحٍ، وبكثيرٍ من الخبرة كذلك، ومن قبل شخص حَظِي بكثيرٍ من المُمارسة، عادةً ما نقول عن أمور مثل تلك أنها تمَّت بطريقةٍ جراحيةٍ، لكن هذه.. كانت عملية جراحية حقيقية، لم يكُن هناك أي نزيف على الإطلاق، حتى من الفم.. والذي تم استئصال الشفتين واللسان منه، بل وحتى الأسنان، كان على المرء أن يُعجَب بمثل هذه الدقة المُذهِلة، تم إغلاق كُل جرح بشكلٍ احترافي، تم لصق ضمادة بيضاء بدقةٍ فوق كُل كتف في المكان الذي كانت فيه الذراعان يومًا، بينما

بقية الجروح كان قد تم مُعالجتها، بطريقةٍ قد تأمل أن تجدها في أفضل المُستشفيات.

تم قطع كُل شيء كان مُتَّصِلًا بالجسد، كل شيء على الإطلاق، لم يبقَ منه شيء سوى رأس ضئيل دون ملامِح مُتصِل بجسدٍ غير مُرتبِط بشيء، لم أستطِع أن أتخيَّل كيف كان من المُمكِن القيام بذلك دون قتل، لكن الأمر كان فوق نطاق فهمي، لماذا سيرغب أي شخص في ذلك، كان الأمر من القسوة للدرجة التي جعلت المرء يتساءل حقًا عما إذا كان البشر فكرة جيدة بعد كُل شيء، سامحني لو أن هذا بدا نفاقًا من شخص لا يُفكِّر سوى بالقتل مثل ديكستر، لكنني أعرف جيدًا ما أنا عليه، وهو الذي لم يكُن شبيها بذلك أبدًا، أفعل ما يراه الراكِب المُظلِم ضروريًا، ولشخصٍ يستحق ذلك حقًا، وينتهي الأمر دومًا بالموت، وهو الذي كُنت مُتأكِّدًا من كونه جيدًا مُقارنةً بما هو أمامي على الطاولة.

لكن هذا.. أن تقوم بذلك بمُنتهى الصبر والحذر وتتركه حيًا أمام مرآة.. كان بإمكاني الشعور بأعاجيب مُظلِمة تتقلَّب من أعماقي، كما لو كانت هذه هي المرة الأولى التي يشعُر فيها راكبي المُظلِم أنه عديم الأهمية.

بدا كأن الشيء الموجود على الطاولة لم يُدرِك حضوري، استمرَّ فحسب في إصدار صوت الكلب المُشوَّش دون توقُّف، مُكرِّرًا نفس الصوت مرارًا وتكرارًا.

سمعت ديبرا تقف خلفي وهي تقول: «يا إلهي.. ما هذا؟».

قُلت: «لا أعرِف، لكنه وبكُل تأكيد.. ليس كلبًا».

الفصل الثامن

حَدَث اندفاع هادئ للغاية بالهواء، نظرت إلى ما خلف ديبرا لأرى أن الرقيب دوكس قد وَصَل، نظر إلى جميع أرجاء الغُرفة قبل أن يستقِر ناظِره على الطاولة، أعترِف بأنني كُنت أشعُر بالفضول لأرى كيف ستكون ردة فعله على عملٍ بهذا التطرُّف، وكان الأمر يستحق الانتظار، عندما رأى دوكس العرض الفني الموجود في مُنتصف المطبَخ، ثبَّت عينيه عليه وهو يتوقَّف عن الحركة تمامًا لدرجة أنه كاد أن يتحوَّل لتمثالٍ، بعد لحظة.. تحرَّك نحوه، انزلَق ببطءٍ كما لو كان مشدودًا بحبلٍ خفي، مرَّ بجوارنا دون أن يلاحِظ وجودنا، وتوقَّف أمام الطاولة.

ولعدة ثوانٍ.. بقي يُحدِّق في ذلك الشيء، ثم.. ودون أن يرمِش.. مدَّ يده داخل معطفه الرياضي وأخرج مُسدَّسه، وببطء.. ودون أي تعبير.. صوَّبه بين عيني الشيء المُستمِر في العويل فوق الطاولة اللتين لا ترمشان، وشدَّ أجزاءه.

قالت ديبرا بصوتٍ جافٍ: «دوكس».

سعلت قبل أن تجرِّب مرة أخرى: «دوكس!».

لم يرد دوكس كما أنه لم ينظُر بعيدًا، لكنه لم يضغَط على الزناد، وهو الأمر الذي كان مؤسِفًا، ففي النهاية.. ماذا سنفعل بهذا الشيء؟ فهو لن يُخبرنا بمن فعل ذلك، كما أنني شعرت وكأن أيامه كعضو فعَّال

في المُجتمَع قد ولت، لماذا لا تترُك دوكس يضع حدًا لبؤسه؟ وبعدها سنضطر أنا وديب على مضض للإبلاغ عما فعله دوكس، وسيُطرد أو حتى سيتم سجنه، وستنتهي مشاكلي، بدا هذا حلًا جيدًا، لكن بالطبع لم تكُن ديبرا لتوافِق على شيء من هذا القبيل، فبإمكانها أن تُصبِح شديدة العناية بالتفاصيل للغاية ومسؤولة في بعض الأحيان.

قالت: «ضع سلاحك جانبًا يا دوكس».

وعلى الرغم من أن بقية جسده لم يتحرَّك على الإطلاق، فإنه أدار رأسه لينظُر إليها وهو يقول: «ثقي بي.. هذا هو الشيء الوحيد الذي يجب القيام به».

هزَّت ديبرا رأسها وهي تقول: «أنت تعلم أنك لا تستطيع فعل ذلك».

حدقا ببعضهما البعض لدقيقةٍ، قبل أن يصوِّب عينيه نحوي، كان من الصعب للغاية عليّ أن أبادله النظر دون أن أصرخ بشيء على شاكلة: «افعلها.. بحق الجحيم!».

لكنني سيطرت على نفسي بطريقةٍ ما، رفع دوكس مُسدَّسه عاليًا في الهواء، نظر للشيء مرةً أخرى، هزَّ رأسه، ووضع مُسدَّسه جانبًا، قال: «اللعنة.. وَجَب عليكِ أن تتركيني أفعلها».

قبل أن يستدير واندفَع مُغادرًا الغُرفة بخطواتٍ سريعةٍ.

في غضون الدقائق القليلة التالية، أصبَحَت الغُرفة مُزدحِمة بالأشخاص الذين حاولوا جاهدين ألا ينظروا إليه أثناء عملهم، مثل كاميلا فيج.. فنيَّة معمل مُمتلئة الجسد، قصيرة الشعر، كانت نادرًا ما تُعبِّر عن مشاعرها باستثناء الاحمرار خجلًا أو التحديق، كانت الآن تبكي

بهدوء وهي تبحث عن البصمات، أو أنجيل باتيستا.. أنجيل «لست قريبه» مثلما نُطلِق عليه، بما أنه دائمًا يُقدِّم نفسه للآخرين بهذه الطريقة، أصبَح شاحبًا وهو يُغلِق فمه بإحكامٍ وقوةٍ، لكنه ظلَّ في الغُرفة، بينما ارتجفَ فينس ماسوكا.. زميلي في العمل الذي يتظاهَر دائمًا بأنه إنسان.. بشدةٍ لدرجة أنه اضطرَ للخروج والجلوس على الشُرفة الأمامية.

بدأت أتساءل عما إذا كان يجب عليّ أن أتظاهَر بالخوف بدوري، فقط لتجنُّب أن أكون ملحوظًا للغاية، لربما تحتَّم عليّ الخروج للجلوس بجوار فينس، فيم يتحدَّث المرء في مثل هذه الأوقات؟ البيسبول؟ الطقس؟ بالتأكيد لن نتحدَّث عن الشيء الذي نحاول الهروب منه، ورغم ذلك.. ولدهشتي.. وجدت نفسي لا أمانِع الحديث عنه، في الحقيقة.. بدأ الأمر يُثير قدرًا مُفاجئًا لا بأس به من الاهتمام لدى رفيق داخلي مُعيَّن، لطالما عملت جاهدًا لتجنُّب أي نوع من أنواع جذب الانتباه، أما هنا فلدينا شخص ما يفعل العكس تمامًا، كان من الواضِح أن هذا الوحش يتباهى لسببٍ ما، ربما كانت روحًا تنافسيةً طبيعيةً تمامًا، لكن هذا بدا مُزعِجًا بعض الشيء، حتى وهو يدفعني لمعرفة المزيد، أيًا كان من فعل ذلك.. فهو لم يكُن مثل أي شخص سَبَق أن قابلته في حياتي من قبل، هل يجب أن أضع هذا المُفترس المجهول على قائمتي؟ أم تُراني يجب أن أتظاهَر بأنني أكاد أفقِد الوعي من شدة الهلع وأن أخرج لأجلس في الشرفة الأمامية؟

وبينما كُنت أفكِّر مليًا في هذا الاختيار الصعب، مرَّ الرقيب دوكس بجواري مرة أخرى، وللمرة الأولى بالكاد توقَّف ليرمقني بنظرةٍ صارمةٍ، تذكَّرت أن بسببه.. لم تسنَح لي الفُرصة للعمل على قائمتي في الوقت الحالي، كان الأمر مُقلِقًا لحدٍ ما، لكنه جعل القرار يبدو أسهَل قليلًا، بدأت في محاولة رسم تعبير وجه مشوَّش، لكن الأمر لم يتعد رفع

حاجبيّ، ظهر مُسعفان مُسرعان، تبدو على وجهيهما علامات التركيز، ثم توقفا في مكانهما عندما رأيا الضحية، قبل أن يهرع أحدهما إلى خارج الغُرفة، أما الأخرى.. فكانَت امرأة سوداء شابة، التفتت لي وهي تقول: «ماذا يُفترَض بنا أن نفعل بحق الجحيم؟».

قبل أن تبدأ في البُكاء بدورها.

يجب أن نتفق معًا أن لديها وجهة نظر، بدا الحل الذي قدَّمه الرقيب دوكس أكثر فاعليةً، بل وحتى أكثر أناقةً، من الواضِح أن هناك قليلًا جدًّا من النفع في حمل هذا الشيء على نقالة والإسراع به وسط الزحام المروري لميامي لإيصاله إلى المُستشفى، وكما صاغَت السيدة الشابة حديثها بلباقةٍ: ماذا يُفترض بهم أن يفعلوا بحق الجحيم؟ لكن من الواضح أنه على شخصٍ ما القيام بشيءٍ ما، إذا ما تركناه هناك ووقفنا بهذه الطريقة، ففي النهاية سيشتكي شخص ما من عدد رجال الشرطة الذين يتقيؤون في الباحة، وهو الأمر سيُصدِّر صورةً عامةً سيئةً للقسم.

كانت ديبرا هي من تطوَّع لتنظيم الأمور في النهاية، أقنعت المُسعفين بتخدير الضحية وأخذها بعيدًا، مما سَمَح لفنيي المُختَبر بالعودة للداخل والشروع في العمل، ساد الهدوء في المنزل الصغير عندما سيطر المُخدِّر على ألم ذلك الشيء ووضعه في حالة سكون، غطَّاه المُسعفان وهما يحملانه بعيدًا دون أن يُسقِطاه.

وفي الوقت المُناسب؛ وبينما ابتعدت سيارة الإسعاف عن الرصيف، بدأت شاحنات الأخبار في الوصول، وعلى الرغم من أن ما سأقوله غير مُلائم، فإنني سأحب أن أرى كيف ستكون ردة فعل مُراسل أو اثنين؛ ريك سانجري على وجه الخصوص، فقد كان المُتعصِّب الأكبر لجُملة «إذا كان هناك دماء.. فستتصدَّر الأخبار»، لم أره أبدًا يُعبِّر عن أي

إحساس بالألم أو بالفزع، باستثناء حين يكون أمام الكاميرا أو إذا كان شعره أشعث، وهو الأمر الذي لم يحدُث، بحلول الوقت الذي أصبح فيه مصوِّر ريك جاهزًا للتصوير، لم يكُن هناك أي شيء يُمكِن رؤيته باستثناء المنزل الصغير المُحاط بالشريط الأصفر، وحفنة من رجال الشرطة بأفواه مُتشنِّجة الذين لم يكُن لديهم ما يقولونه لسانجري في يوم عادي، أما اليوم فبكُل تأكيد لن ينبسوا ببنت شفة.

لم يكُن هناك الكثير لأفعله حقًا، كُنت قد أتيت إلى هنا في سيارة ديبرا، لذا لم تكُن أدواتي معي، وعلى أي حال.. لم تكُن هناك بُقع دماء ملحوظة في أي مكان يُمكِن رؤيته، ونظرًا لكون هذا هو مجال خبرتي، فشعرت بأنه يجب عليّ أن أجد شيئًا ما وأن أكون مُفيدًا، لكن صديقنا الجرَّاح هنا كان حذرًا للغاية، وفقط كي أكون مُتأكِّدًا.. فحصت بقية المنزل سريعًا، لم يكُن هناك الكثير، فقط غُرفة نوم صغيرة، حمَّام أصغر، وخزانة، التي بدت جميعًا فارغة، باستثناء مرتبة في حالة مزرية موضوعة على أرضية غُرفة النوم، بدا وكأنها أتت من نفس متجر الأغراض المُستعملة التي أتى منه الكُرسي الموجود في غُرفة المعيشة، وقد تمَّ تشكيلها لتبدو مسطَّحة كشريحة لحم كوبية، بخلاف ذلك.. لا يوجد أي أثاث أو أغراض أخرى، ولا حتى ملعقة بلاستيكية.

وجد أنجيل «لست قريبه» الشيء الوحيد الذي حمل تلميحًا صغيرًا لشخصية هذا الشيء تحت الطاولة بينما كُنت أنهي جولتي السريعة في المنزل، قال وهو يجذب قطعة صغيرة من الورق من على الأرض بملقاطه: «مرحبًا».

تقدَّمت لأرى ما قد تكون، بالكاد استحقَّت العناء، لم تكُن شيئًا يُذكَر.. مُجرَّد قطعة صغيرة من الورق الأبيض، مُمزَّقة قليلًا من الأعلى

على شكل مُستطيل صغير، نظرت من فوق رأس أنجيل مُباشرةً، ومما لا ريب فيه.. أن المستطيل الورقي المفقود كان مُثبَّتًا على جانب الطاولة، مُعلَّقًا بإحكامٍ بواسطة شريط لاصِق، قُلت: «انظر لهذا».

نظر إليه وهو يقول: «أجل».

وبينما انهمَكَ في فحص الشريط اللاصِق بعنايةٍ، كون الشريط اللاصِق من الأشياء التي تحفظ البصمات بشكلٍ رائعٍ، وضع قطعة الورق أرضًا، جلست القرفصاء لأمعن النظر فيها، كانت هناك بعض الحروف مكتوبة فوقها بخطٍ رديء، انحنيت أكثر لأستطيع قراءتها: الولاء.

قُلت: «الولاء؟»

«بالتأكيد، أوليس فضيلة مهمة؟».

قُلت: «لنسأله».

اقشعرَّ جسد أنجيل بشدةٍ لدرجة أنه كاد يُسقِط ملقاطه.

قال: «لقد اكتفيت من هذا القرف».

أخرج كيسًا بلاستيكيًا ليضع قطعة الورق فيه، بالكاد بدا الأمر وكأنه يستحِق المُشاهدة، وبما أنه لم يكُن هناك أي شيء آخر لأراه، توجَّهت نحو الباب.

بالتأكيد لست مُحلِّلًا مُحترِفًا، لكن بفضل هوايتي المُظلِمة، غالبًا ما امتلكت قدرًا مُعيَّنًا من البصيرة في الجرائم الأخرى المُشابهة لتلك الجريمة، ورغم ذلك.. كانت هذه تفوق حدود أي شيء رأيته أو تخيَّلته، لم يكُن هناك أي تلميح من أي نوع يُشير إلى الشخصية أو إلى الدافِع، كُنت مفتونًا بقدر ما كُنت غاضبًا، أي مُفترِس سيترُك فريسته مُستلقية ولا تزال ترتعد بهذه الطريقة؟

خرجت ووقفت في الشُرفة، كان دوكس مُجتمعًا مع النقيب ماثيوس، يُخبره بشيءٍ جعل النقيب يبدو قلقًا، بينما كانت ديبرا جالسة بجوار السيدة العجوز، تتحدَّث معها بصوتٍ خفيضٍ، كان بإمكاني الشعور بالنسيم يزداد، نسيم العاصفة الذي يسبِق عاصفة بعد الظُهر الرعدية مُباشرةً، وبينما كُنت أنظر إلى الأعلى، تساقطت أولى زخَّات المطر القوية على الرصيف، نظر سانجري.. الذي كان يقف ملوِّحًا بميكروفونه خلف الشريط الأصفر في محاولة لجذب انتباه النقيب ماثيوس للأعلى نحو الغيوم بدوره، وعندما دوى الرعد، ألقى بميكروفونه إلى مُنتِجَه وهرع نحو عربة الأخبار.

أَنَّت معدتي بدورها، وتذكَّرت أنني فوَّت تناول غدائي في خضم كُل هذه الإثارة، لم يحدُث ذلك من قبل؛ أنا بحاجة للحفاظ على قوتي، يحتاج مُعدَّل الأيض الطبيعي لديّ إلى اهتمامٍ مُستمِرٍ؛ مما يعني أنه لا نظام غذائي لديكستر، لكن تحتَّم عليّ أن أعتَمِد على ديبرا للحصول على توصيلة، وكان لديّ شعور.. مُجرَّد حدس.. أنها لن تتعاطَف مع أي إشارة لتناول الطعام في الوقت الحالي، نظرت نحوها مرة أخرى، كانت تحتضِن السيدة العجوز، السيدة ميدينا، التي وعلى ما يبدو كانت قد اكتفَت من التقيؤ وصبَّت تركيزها على البُكاء.

تنهدت وسرت نحو السيارة في المطر، لم أمانِع أن أتبلَّل حقًا، بدا الأمر وكأنني سأجِف أثناء الوقت الطويل الذي سأنتظره.

وبالفعل كان انتظارًا طويلًا، دام لأكثر من ساعتين، جلست في السيارة واستمعت للراديو وحاولت أن أتخيَّل كيف سيكون الأمر عند تناول شطيرة مُنتصف الليل، قضمة تلو الأخرى: قرمشة طبقة الخُبز الخارجية، هشَّة ومُحمَّصة للغاية، تخدش الفم من الداخل أثناء القضم،

ثم ظهور طعم الخردل للمرة الأولى، يليه طعم الجبنة المُهدِّئ للأعصاب واللحم المُملَّح، ثم القضمة التالية، وقطعة من المخلِّل، تمضُغ كُل شيء، تترك النكهات تمتزِج، تبتلِع، قبل أن تأخُذ رشفة كبيرة من آيرون بير (تُنطَق إي-رون باي-ير، وهي نوع من المياه الغازية)، وتطلُق تنهيدة كبيرة، إنه النعيم المُطلَق، أفضِّل أن آكُل عوضًا عن فعل أي شيء آخر باستثناء اللعب مع الراكِب، إن كوني لست سمينًا ليُعتبَر مُعجزة حقيقية في علم الوراثة.

كُنت أتناوَل شطيرتي الخيالية الثالثة عندما عادَت ديبرا أخيرًا إلى السيارة، جلست في مقعد السائِق، أغلَقَت الباب، ونظرت للأمام، عبر الزجاج الأمامي الذي ترتَد عنه قطرات المطر، ورغم إدراكي بأن هذا لم يكُن أفضل شيء يُقال، فإنني لم أستطِع منع نفسي من قول: «تبدين مُرهَقة يا ديب، ما رأيك في تناول الغداء؟».

هزَّت رأسها لكنها لم تنطق ببنت شفة.

«ربما شطيرة لذيذة، أو سلطة فواكِه، لترفعي نسبة السُكر في دمك قليلًا؟ ستشعرين بتحسنٍ كبيرٍ».

نظرت لي الآن، لكنها لم تكُن نظرة تُظهِر أي وعد حقيقي بتناول الغداء في أي وقت في القريب العاجِل، قالت: «لهذا السبب أردت أن أصبِح شُرطية».

«سلطة الفواكه؟».

قالت: «هذا الشيء الموجود بالداخل».

ثم التفتت لتنظُر عبر الزجاج الأمامي مرة أخرى وهي تقول: «أريد أن أنجَح في ذلك.. أيًا كان من استطاع فعل ذلك لإنسان، أريده بشدةٍ.. لدرجة أن يُصبِح بإمكاني تذوّقه».

«هل يبدو طعمه مثل الشطيرة يا ديبرا؟ لأن...».

ضربت حافة عجلة القيادة براحة كفِّها بقوةٍ، ثم فَعَلَت هذا مرة أخرى وهي تقول: «اللعنة.. اللعنة عليه!».

تنهدت، من الواضِح أن ديكستر الذي طالَت مُعاناته سيُحرَم من قرمشة الخُبز، وكُل ذلك بسبب أن ديبرا كانت تُعاني من لحظة من لحظات التجلي بسبب رؤيتها لقطعة من اللحم المُرتجِف، بالطبع كان هذا شيئًا فظيعًا، وسيكون العالم مكانًا أفضل بكثير بدون وجود شخص يُمكِنه فعل ذلك، لكن هل يعني هذا أن نفوِّت الغداء؟ ألا نحتاج جميعًا للحفاظ على قوتنا للقبض على هذا الرجل؟ ورغم ذلك.. لم يبدُ أن هذا هو الوقت الأمثل للفت نظر ديبرا إلى هذا الأمر، لذلك.. وبمُنتهى البساطة جلست معها، نُشاهِد قطرات المطر المُرتدَّة عن الزجاج الأمامي، وأنا أتناول شطيرتي الخيالية الرابِعة.

في الصباحِ التالي لم أكُد أستقِر بصعوبة في مكتبي المُكعَّب الصغير في العمل حتى رنَّ هاتفي، كانت ديبرا: «النقيب ماثيوس يُريد رؤية كُل من كان هناك بالأمس».

«صباح الخير يا شقيقتي، أنا بخير، شكرًا لسؤالكِ، ماذا عنكِ؟».

قالت وهي تُنهي المُكالمة: «الآن».

يتكوَّن عالم الشرطة من الروتين، سواء كان رسميًا أو غير رسمي، وهذا أحد الأسباب التي تجعلني أحب عملي، أعرِف دائمًا ما هو قادِم، وبالتالي.. يُصبح لديّ عدد أقل من الاستجابات البشرية لأحفظها كي أزيِّفها في الأوقات المُناسِبة، وفرص أقل لأكون على سجيتي، ولأتصرَّف بطريقةٍ قد تُثير التساؤل عن عضويتي في السباق.

على حد علمي.. فالنقيب ماثيوس لم يسبِق له أن استدعى (كُل من كان هناك)، حتى عندما كانَت القضايا تحظى بقدرٍ كبيرٍ من الشعبية، لطالما كانت سياسته هي التعامُلِ مع الصحافة ومع هؤلاء الذين يسبقونه في هيكل القيادة، وترك الموظَّف المسؤول عن التحقيق للتعامُل مع القضية، لم أستطِع التفكير في أي سبب قد يدفعه لانتهاك هذا البروتوكول على الإطلاق، حتى مع وجود قضية غير عادية كهذه، وخصوصًا.. لأنه لم يتسن له الوقت الكافي للموافقة على القيام بمؤتمر صحفي.

لكن على حد علمي.. (الآن) لا تزال تعني الآن، لذلك توجَّهت إلى القاعة حيث يوجد مكتب النقيب ماثيوس، جلست سكرتيرته جوين -وهي واحدة من أكثر النساء كفاءةً على الإطلاق- على مكتبها، كما أنها أيضًا كانت واحدة من أكثر النساء بساطةً وخطورةً، ولطالما وجدت أنه من المُستحيل تقريبًا مقاومة محاولة إثارة حنقها، قُلت عندما دخلت المكتب: «جويندولين! مثال الجمال الخلَّاب! حلِّقي بعيدًا معي نحو مُختبر الدماء!».

أومأت برأسها نحو الباب الموجود في نهاية الغُرفة وهي تقول بوجهٍ جامدٍ: «إنهم في غُرفة الاجتماعات».

«هل تلك إجابة بالرفض؟».

حرَّكت رأسها إنشًا نحو اليمين وهي تقول: «الباب هناك، إنهم في انتظارِك».

وبالفعل كانوا في انتظاري، على مُقدِّمة منضدة الاجتماعات جلس النقيب ماثيوس عابسًا وأمامه فنجان قهوة، ديبرا، دوكس، فينس ماسوكا، كاميلا فيج، والأربعة ضُبَّاط الذين يرتدون أزياءهم الرسمية

والذين كانوا في محيط منزل الرعب عندما وصلنا توزَّعوا حول المنضدة، أومأ ماثيوس نحوي وهو يقول: «هل الجميع هنا؟».

توقَّف دوكس عن التحديق في وجهي وهو يقول: «المُسعفان».

هزَّ ماثيوس رأسه وهو يقول: «ليسا مُشكلتنا، سيتحدَّث معهما شخص ما لاحقًا».

سعل ليُنظِف حلقه وهو ينظر للأسفل، كما لو كان يُراجِع خطابًا خفيًا قبل أن يُنظِف حلقه مرة أخرى وهو يقول: «حسنًا، بخصوص الـ.. الحادث الذي حدث بالأمس في.. الشارِع الرابع في الشمال الغربي.. تم حظره على أعلى مستوى».

رفع رأسه للأعلى، وللحظة.. ظننت أنه كان مُعجبًا بالأمر وهو يقول: «أعلى مما تتخيَّلون، صدر أمر لكم جميعًا بالحفاظ على ما قد تكونون قد رأيتموه، سمعتموه، أو توقعتموه بخصوص هذا الحادث أو موقعه لأنفسكم، وألا تصدروا أي تعليقات، سواء كانت خاصة أو عامة، من أي نوع».

نظر إلى دوكس الذي أومأ برأسه، قبل أن ينظر حول المنضدة إلينا جميعًا.

قبل أن يستكمل حديثه: «لذلك..».

توقَّف النقيب ماثيوس وهو يعبس عندما أدرَك أن ليس لديه ما يقوله لنا، ولحُسن حظ سُمعته كمُتحدِّث لبق، فُتِح الباب، فالتفتنا جميعًا لننظُر.

سدَّ رجل ضخم للغاية يرتدي حلة لطيفة مدخل الباب، لم يكُن يرتدي ربطة عُنق، كما أن الأزرار الثلاثة العلويَّة لقميصه كانت مفتوحة،

تلألأ خاتم ماسي على خنصر يده اليُسرى، كان شعره متموِّجًا ومُصفَّفًا بعنايةٍ، بدا في الأربعينيات من عُمره، لم يكُن الزمن لطيفًا مع أنفه، مرَّت ندبة عبر حاجبه الأيمن وأخرى أسفل جانب ذقنه، لكن الانطباع العام لم يكُن أنه مشوَّهًا بقدر ما كان مزخرفًا، نظر إلينا جميعًا بابتسامةٍ مرحةٍ وبعينين زرقاوين لامعتين وفارغتين، توقَّف على الباب للحظةٍ مُثيرةٍ قبل أن ينظُر إلى مُقدمة المنضدة وهو يقول: «النقيب ماثيوس؟».

كان النقيب رجلًا ضخمًا إلى حدٍ ما ومليئًا بالرجولة بشكلٍ لا ريب فيه، لكنه بدا صغيرًا، بل وحتى مُخنثًا مُقارنةً بالرجل الواقِف عند الباب، وأعتقِد أنه شعر بذلك، ورغم ذلك.. شدَّ فكه الرجولي وهو يقول: «هذا صحيح».

تقدَّم الرجل الضخم نحو ماثيوس وهو يمد يده قائلًا: «تشرَّفت بلقائك أيها النقيب، أنا كايل تشوتسكي، تحدَّثنا عبر الهاتف».

وبينما كان يُصافِحه نظر إلى الموجودين حول المنضدة، توقَّف عند ديبرا قليلًا قبل أن يعود بناظره إلى ماثيوس مرة أخرى، لكن بعد نصف ثانية فقط أدار رأسه للخلف مرة أخرى وحدَّق بقوةٍ نحو دوكس، ولدقيقةٍ.. لم ينطق أيهما ببنت شفة، لم يتحرَّك، لم يرتعِد، ولم يُقدِّم بطاقة تعريفه، كُنت واثِقًا تمام الثقة أنهما يعرفان بعضهما البعض، ودون أن يعترِف بذلك بأي شكل من الأشكال، نظر دوكس نحو المنضدة من أمامه، وعاد تشوتسكي ليصُب تركيزه على النقيب وهو يقول: «الديك قسم رائع هنا أيها النقيب ماثيوس، لا أسمع شيئًا سوى الأخبار الجيدة عنكم يا رفاق».

قال ماثيوس بصرامةٍ: «شكرًا لك يا سيد تشوتسكي، تفضَّل بالجلوس».

ابتسم تشوتسكي ابتسامة كبيرة ساحرة وهو يقول: «شكرًا.. سأفعل».

جلس في مقعدٍ خالٍ بجوار ديبرا، التي لم تستدر لتنظُر له، لكن من موقعي عبر المنضدة كان بإمكاني رؤية حُمرة الخجل تتسلَّق عنقها ببطء وصولًا لوجهها العابِس.

في هذه اللحظة.. كان بإمكاني سماع صوت صغير يأتي من مؤخرة عقل ديكستر ليسعل قبل أن يقول: «من فضلكم.. دقيقة واحدة.. لكن ما الذي يحدُث هنا بحق الجحيم؟».

ربما وضع شخص ما القليل من عقار الهلوسة في قهوتي، لأن اليوم بأكمله بدأ يبدو كديكستر في بلاد العجائِب، لماذا نحن هنا حتى؟ ومن يكون هذا الشخص الضخم المُصاب الذي جعل النقيب ماثيوس عصبيًا؟ وكيف يعرف دوكس؟ ولماذا.. بحق كُل ما هو لامِع، مُشرِق، وحاد تحوَّل وجه ديبرا لكُتلة غير لائِقة من اللون الأحمر؟

غالبًا ما أجد نفسي في مواقف يبدو أن الجميع قد قرأ كُتيِّب تعليماتها بينما يقف ديكستر المسكين في الظلام ولا يُمكِنه حتى أن يصل بين النقطة «أ» والنقطة «ب»، عادةً ما يتعلَّق الأمر ببعض المشاعر البشرية الطبيعية، وهو أمر مفهوم عالميًا، لسوء الحظ.. فديكستر من عالمٍ مُختلفٍ، ولا يشعُر أو يفهم مثل هذه الأشياء، كُل ما يُمكنني فعله هو جمع بعض الأدلة السريعة لتُساعدني على تحديد نوع الوجه الذي سأرتديه بينما أنتظِر عودة الأمور لطبيعتها المألوفة.

نظرت نحو فينس ماسوكا، ربما كُنت قريبًا منه أكثر من أي فني مُختبر آخر، ولم يكُن هذا فقط لأننا نتناوَب على جلب الكعك المحلى، بل لأنه يبدو وكأنه يُزيِّف طريقته في الحياة بدوره، كما لو أنه شاهَد سلسلة

من مقاطِع الفيديو التي تُعلِّم كيفية الابتسام والتحدُّث مع الناس، لم يكُن موهوبًا في التظاهُر مثلما كُنت، ولم تكُن النتائِج مُقنِعة أبدًا، لكنني شعرت بصلةٍ مُعيَّنةٍ.

بدا مُضطرِبًا ومرعوبًا في الوقت الحالي، يحاول جاهدًا أن يبلع ريقه دون أن يُحقِّق أي نجاح يُذكَر في هذا، لم يكُن هذا ليس دليلًا على شيء.

كاميلا فيج كانت تجلس مُنتبِهة، تُحدِّق في بُقعة في الحائط الموجود أمامها، كان وجهها شاحبًا، لكن كانت هناك بقعتان حمراوان مُستديرتان على وجنتيها.

وكما ذكرت.. كانت ديبرا تغوص في مقعدها، وبدا أنها مشغولة في التحوُّل إلى اللون القرمزي اللامِع.

ضَرَب تشوتسكي المنضدة براحة يده قبل أن ينظر حوله وعلى شفتيه ابتسامة كبيرة مليئة بالسعادة وهو يقول: «أود أن أشكركم جميعًا على تعاونكم في هذا الأمر، من المُهِم جدًّا أن نُبقي هذا سرًا حتى يتمكَّن فريقي من المضي قدمًا فيه».

نظَّف النقيب ماثيوس حلقه وهو يقول: «احم، أنا.. أفترض أنكم تريدون منا أن نستمر في إجراءات التحقيقات الروتينية، واستجواب الشهود، وما إلى ذلك».

هزَّ تشوتسكي رأسه وهو يستكمِل حديثه قائلًا: «بالطبع لا، أحتاج منكم الخروج من الصورة فورًا، أريد لهذا الأمر برمته أن يتوقَّف وينتهي، أن يختفي، ما دام قسمك يشعُر بالقلق، فلا أريد لهذا أن يحدُث على الإطلاق».

سألته ديبرا: «هل أنت المسؤول عن هذا التحقيق؟».

نظر تشوتسكي لها وابتسامته تتسع وهو يقول: «هذا صحيح».

وربما كان سيظل مُبتسمًا لها بلا توقُّف ولأجلٍ غير مُسمى لولا الضابِط كورونيل، الضابِط الذي كان يجلس على الشُرفة مع السيدة العجوز الباكية والتي كانت تحاول التقيؤ، الذي نظَّف حلقه وهو يقول: «أجل، حسنًا.. لنتوقَّف لدقيقةٍ هنا».

كان هناك قدر لا بأس به من العداء في صوته، وهو الأمر الذي جعل لكنته غير الملحوظة أكثر وضوحًا، التفت تشوتسكي لينظُر له، ظلَّت الابتسامة على وجهه، بينما بدا كورونيل مُرتبِكًا، لكنه نظر إلى وجه تشوتسكي السعيد وهو يسأله: «هل تحاول منعنا من أداء وظيفتنا هنا؟».

قال تشوتسكي: «وظيفتك هي الخدمة والحماية، وفي هذه الحالة.. يعني هذا أن تحمي هذه المعلومات، وأن تخدمني».

قال كورونيل: «هذا هراء».

أجابه تشوتسكي: «لا يهمني أي نوع من الهراء هو، لكنك ستفعله».

«ومن أنت بحق اللعنة لتُخبرني بذلك؟».

نَقَر النقيب ماثيوس بأطراف أصابعه على المنضدة وهو يقول: «يكفي يا كورونيل، السيد تشوتسكي من واشنطن، وقد تلقّينا تعليمات بتقديم المُساعدة الكاملة له».

هزَّ كورونيل رأسه وهو يقول: «إنه ليس فيدراليًا[1] لعينًا».

---

(1) مكتب التحقيقات الفيدرالي أو FBI: وكالة حكومية تابعة لوزارة العدل الأمريكية وتعمل كوكالة استخبارات داخلية وقوة لتطبيق القانون في الدولة.

ابتسم تشوتسكي فحسب، بينما أخذ النقيب ماثيوس نفسًا عميقًا استعدادًا لقول شيء.. لكن دوكس حرَّك رأسه نصف بوصة باتجاه كورونيل وهو يقول: «أغلق فمك».

نظر كورونيل نحوه وهو يكاد يستعِد للجدال، لكن دوكس تابَع حديثه قائلًا: «أنت لا تريد العبث بهذا القرف، دعهم يتولون الأمر».

قال كورونيل: «هذا ليس صحيحًا».

قال دوكس: «دعه لهم».

فَتَح كورونيل فمه، رفع دوكس حاجبيه، وربما قرَّر كورونيل ترك الأمر، بناءً على ملامح الوجه الموجود تحت هذين الحاجبين.

قام النقيب ماثيوس بتنظيف حلقه في محاولة لاستعادة السيطرة وهو يقول: «هل من أسئلة أخرى؟ حسنًا إذن يا سيد تشوتسكي، هل من طريقة أخرى نستطيع تقديم المُساعدة بها؟».

«في واقِع الأمر أيها النقيب.. سأكون مُمتنًا لو استطعت استعارة أحد مُحقّقيك على سبيل المُساعدة، شخص ما يستطيع أن يُساعدني في تدبُّر الأمور، أن يولي اهتمامًا كبيرًا للتفاصيل الصغيرة في القضية، وما إلى ذلك».

استدارت رؤوس كُل الموجودين حول المنضدة نحو دوكس في انسجامٍ مُذهلٍ، باستثناء تشوتسكي، الذي التفت إلى جواره، نحو ديبرا، قائلًا: «ما رأيكِ أيتها المُحقِّقة؟».

الفصل التاسع

عليّ أن أعترِف أن النهاية المُفاجئة لاجتماع النقيب ماثيوس قد باغتتني، لكنني على الأقل عَرِفت الآن لماذا يتصرَّف الجميع مثل فئران التجارُب التي ألقيت في قفص أسد، لا يُحِب أحد تدخُّل الفيدراليين في قضية ما، المُتعة الوحيدة في الأمر كانت في جعل الأشياء أكثر صعوبةً قدر المُستطاع بالنسبة لهم، لكن يبدو أن تشوتسكي كان مُحترفًا للغاية مما حرمنا حتى من هذه المُتعة البسيطة.

حقيقة بشرة ديبرا الحمراء الزاهية كانت لُغزًا عميقًا، لكنه لم يكُن مُشكلتي، صارت مُشكلتي فجأة أكثر وضوحًا، قد تعتقِد أن ديكستر غبيًا لأنه لم يفهم الأمر من البداية، لكن عندما اتضح كُل شيء أخيرًا شعرت برغبة في ضرب نفسي على رأسي، ربما أثَّرت كُل البيرة التي شربتها في منزل ريتا على قواي العقلية.

لكن من الواضِح أن من استدعى لنا هذه الزيارة من واشنطن هو عدو ديكستر الشخصي.. الرقيب دوكس، كانت هناك بعض الشائعات الغامضة بأن فترة خدمته في الجيش كانت غير مُنتظِمة بطريقةٍ ما، وكُنت قد بدأت أصدِّقهم، رد فعله عندما رأى ذلك الشيء على الطاولة لم يكُن الصدمة، الثورة، الاشمئزاز، أو الغضب، بل كان شيئًا أكثر إثارة للاهتمام: الإدراك، أخبر النقيب ماثيوس بماهية الأمر بشكلٍ مُباشرٍ في موقع الحادِث، وإلى من يجب أن يتحدَّث بشأنه، وهذا تحديدًا هو ما أتى

بتشوتسكي، وبالتالي.. عندما اعتقدت أثناء الاجتماع أن تشوتسكي ودوكس يعرفان بعضهما البعض، كُنت مُحقًا، لأنه أيًا كان ما يحدُث.. فإن دوكس يعرف بشأنه، وتشوتسكي يعرف بشأنه أيضًا، بل وربما أكثر من ذلك.. وأنه قد أتى إلى هنا ليُنهي الأمر، وإذا ما كان دوكس على علم بشأن أمر كهذا، فلا بُد من إيجاد طريقة لاستخدام خلفيته ضده بطريقةٍ قليلةٍ، وبالتالي لإزالة القيود عن ديكستر المُحتجَز المسكين.

لقد كانت نقطة انطلاق عبقرية لمنطِق رائع للغاية، رحبت بعودة عقلي الجبَّار وربتُّ على رأسي بشكلٍ افتراضي، أنت ولد جيد يا ديكستر.

من الجيد دائمًا أن تشعُر بنقاط الاشتباك العصبي وهي تعمل بطريقةٍ تسمَح لك بمعرفة أن رأيك في نفسك يكون مُبرَّرًا في بعض الأحيان، ولكن في هذه الحالة تحديدًا.. كانت هناك فرصة أن يكون كُل شيء على المحك أكثر من تقدير ديكستر لنفسه، إذا ما كان لدى دوكس شيء يُخفيه، فسأقترِب خطوة من العودة للعمل.

هناك العديد من الأشياء التي يُجيدها ديكستر المُغامِر، ويُمكن أداء بعضها في الأماكِن العامة بشكلٍ قانوني، أحد هذه الأشياء.. هو استخدام الحاسوب من أجل العثور على معلومات، كانت هذه مهارة طوَّرتها لمُساعدتي من أجل التأكُّد تمامًا من أصدقائي الجُدد مثل ماكجريجور وريكير، ناهيك عن تجنُّب الشعور بالضيق لتقطيع الشخص الخاطئ، أحُب أن أواجِه زملائي الهواة بالأدلة على طيشهم السابق قبل أن أرسلهم إلى أرض الأحلام.

أجهزة الحاسوب والإنترنت كانت وسيلة رائعة من أجل العثور على هذه الأشياء.

لذلك.. إذا ما كان لدى دوكس شيء ليُخفيه، فأعتقِد أنه على الأرجَح سيُمكنني إيجاده، أو على الأقل سيُمكنني إيجاد طرف الخيط الذي سيُمكنني جذبه حتى يبدأ ماضيه المُظلِم كُله في الظهور، ومن معرفتي به، كُنت مُتأكِّدًا تمام الثقة من أنه موحش وشبيه بديكستر، وعندما سأجِد هذا الشيء..

ربما كُنت ساذجًا عندما اعتقدت أنه يُمكنني استخدام هذه المعلومات الافتراضية لإبعاده عني، لكنني أعتقِد أنها فُرصة جيدة جدًا، ليس من خلال مواجهته بشكلٍ مُباشِر، ومُطالبته بالتوقُّف أو الكف عن ذلك أو ما إلى ذلك، وهو الأمر الذي لا يبدو حكيمًا مع شخص مثل دوكس، هذا بالإضافة إلى أن هذا نوع من أنواع الابتزاز، وقد قيل لي أن هذا سيئ للغاية، لكن في المعلومات قوة، وبالتأكيد سأعثُر على طريقةٍ صغيرةٍ لاستخدام كُل ما وجدته.. على طريقةٍ لإعطاء دوكس شيئًا ليُفكِّر فيه لا يتضمَّن مُراقبة ديكستر كظله وتضييق النطاق على حملته من أجل الأخلاق، فالرجل الذي يحترِق سرواله يملك القليل من الوقت للقلق بشأن علبة أعواد ثقاب رجل آخر.

سرت بسعادةٍ في الممر بعد أن خرجت من مكتب النقيب، عائدًا إلى مكتبي الصغير الموجود خارج معمل الطب الشرعي، وشرعت في العمل، بعد بضع ساعات.. كان لديّ كُل ما استطعت العثور عليه، ولدهشتي.. كانت هناك تفاصيل قليلة للغاية في ملف الرقيب دوكس، ولكن التفاصيل القليلة التي وجدتها جعلتني ألهث: دوكس لديه اسم أول! ألبرت.. هل سَبَق لأي شخص أن ناداه بهذا الاسم من قبل؟ أمر لا يُمكِن تصوُّره، لطالما افترضت أن اسمه كان الرقيب، وقد وُلِد في وايكروس بجورجيا أيضًا، أين ستنتهي تلك العجائِب؟ كان هناك

المزيد، بل وحتى الأفضل؛ قبل قدومه إلى القسم، كان الرقيب دوكس.. هو الرقيب دوكس! في الجيش.. القوات الخاصَّة تحديدًا من بين كُل شيء! كان تخيُّل دوكس وهو يرتدي إحدى القبعات الخضراء الأنيقة ويسير جنبًا إلى جنب مع جون واين أكثر ما تخيَّلته، أكثر حتى من سماع لحن عسكري.

تم ذكر العديد من الجوائِز والميداليات، لكنني لم أجد أي إشارة لأي عمل بطولي قد قام به ليستحقها، ورغم ذلك.. شعرت بأنني أكثر وطنيةً لُمجرَّد معرفة الرجل، أما باقي ملفه.. فكان خاليًا من أي تفاصيل، الشيء الوحيد الذي كان لافتًا للأنظار هو ثمانية عشر شهرًا من شيء يُسمَّى «الخدمة المُنفصِلة»، خدم دوكس كمُستشار عسكري في السلفادور، قبل أن يعود إلى الوطن ليخدم لُمدة ستة أشهر في البنتاجون، قبل أن يتقاعَد في مدينتنا المفقودة، سَعِدَ قسم شُرطة ميامي بإحضار أحد الُمحاربين القدامى الُمخضرمين وعرض فُرصة عمل مُربِحة عليه.

لكن السلفادور.. لم أكُن يومًا من عُشَّاق التاريخ، لكن أعتقِد أنني أتذكَّر أنه حدث لديهم ما يُشبه فيلم الرُعب، كانت هناك مسيرات احتجاجية في شارِع بريكيل في ذلك الوقت، لا أتذكَّر السبب، لكنني أعرف جيدًا كيف أكتشفه، فتحت حاسوبي مرة أخرى ودخلت على الإنترنت، ويا لهول ما اكتشفت، في الوقت الذي كان فيه دوكس في السلفادور، كان هناك سيرك حقيقي من التعذيب مكوَّن من ثلاثة أقسام؛ الاغتصاب، القتل، والتشهير، ولم يُفكِّر أحد في دعوتي.

وجدت قدرًا هائلًا من المعلومات التي نشرتها جمعيات حقوق الإنسان الُمختلِفة، كانوا في مُنتهى الجدية والحدة، ورغم كُل الأشياء التي قالوها عمّا دار هناك، لكن بقدر ما يُمكنني القول.. لم تُجدِ احتجاجاتهم نفعًا، في النهاية.. كان الأمر يتعلَّق بحقوق الإنسان فحسب، لا بد أن الأمر كان مُحبطًا بشكلٍ رهيبٍ.

ويبدو أن جمعيات حقوق الحيوان كان تُحقِّق نتائج أفضل بكثير، حيث قام هؤلاء بأبحاثهم على تلك الأرواح المسكينة، ونشروا النتائِج بالتفصيل عن فظائِع الاغتصاب، التعذيب بالأقطاب الكهربائية، ونكز الماشية، كان كُل شيء كاملًا ومزوَّدًا بالصور وبالرسوم البيانية، وبأسماء الوحوش البشعة عديمة الإنسانية الذين استمتعوا بإلحاق الأذى بالقطعان، وقد أرسلَت تلك الوحوش البشعة عديمة الإنسانية للتقاعُد في جنوب فرنسا، بينما قاطَعت بقية دول العالم تلك المطاعِم لإساءة مُعاملة الدجاج.

أعطاني هذا قدرًا كبيرًا من الأمل، فإذا ما تمَّ القبض عليّ في أي وقت، فربما يُمكنني ببساطةِ الاحتجاج على مُنتجات الألبان، وحينئذ سيتركونني أرحَل.

الأسماء السلفادورية والتفاصيل التاريخية التي وجدتها عَنَت القليل جدًّا بالنسبة لي، ولا حتى المُنظَّمات المُشارِكة في الأمر، من الواضِح أنها تطوَّرَت لتُصبِح واحدة من تلك الحالات الرائعة غير القابلة للرقابة حيث لم يكُن هناك أي أخيار حقيقيين، فقط عدة فرق من الأشرار، والفلاحين الذين علِقوا في المُنتصَف، ورغم ذلك.. دعمت الولايات المُتحدة سرًا أحد الجوانِب، وعلى الرغم من حقيقة أن هذا الفريق كان حريصًا للغاية على ضرب هؤلاء الأشخاص المساكين المشبوهين ضربًا مُبرِحًا، كان هذا الجانب تحديدًا هو ما لفت انتباهي، هناك شيء ما أدى لتحويل الدفَّة لصالحهم، بعض التهديدات الرهيبة التي لا يُمكِن تحديدها، وهو الأمر الذي كان -على ما يبدو- فظيعًا لدرجة أنه ترك الناس يشعرون بالحنين إلى الصعق كالماشية في مُستقيمهم[1].

(1) المُستقيم: هو آخر جُزء من الأمعاء الغليظة قبل نهايتها، ويمتد حتى فتحة الشرج.

ومهما كان ما حَدَث.. فيبدو أنه تزامَن مع فترة خدمة الرقيب دوكس المُنفصِلة هناك.

جلست على مقعدي الدوَّار المُتهالِك، فكَّرت: حسنًا، حسنًا، حسنًا، يا لها من مُصادفة مُثيرة للاهتمام، في نفس الوقت تقريبًا.. ها هو دوكس، والتعذيب البشِع غير المُعلَن، والتورُّط السري للولايات المُتحدة، يجتمعون معًا، بطبيعة الحال.. لم يكُن هناك أي دليل على ارتباط هذه الأشياء الثلاثة ببعضهم البعض بأي شكلٍ من الأشكال، ولا يوجد أي سبب على الإطلاق للشك في أي نوع من الارتباط، وبطبيعة الحال أيضًا.. كُنت على يقينٍ تامٍ من أن تلك الأمور الثلاثة كانت كثلاث حبات بازلاء في جرابٍ واحدٍ، لأنه بعد حوالي عشرين عامًا.. عادوا جميعًا لحضور حفل لم شمل في ميامي: دوكس، تشوتسكي، وأيًا ما كانت هوية من فعل ذلك بالشيء الذي كان موجودًا فوق الطاولة، في النهاية.. بدأ الأمر يبدو وكأن النقطة «أ» ستصل في النهاية للنقطة «ب».

كُنت قد وجدت خيطي الصغير، وإذا ما استطعت التفكير في طريقةٍ لجذبه..

بخ.. يا ألبرت.

بالطبع الحصول على معلومات لاستخدامها هو شيء، لكن معرفة ما تعنيه وكيفية استخدامها هو شيء مُختلِف تمامًا، وكُل ما كُنت أعرفه حقًا هو أن دوكس كان هناك عندما حدثت بعض الأشياء السيئة، ربما لم يفعلها بنفسه، وعلى أي حال.. فالحكومة عاقبتهم، سرًا بالطبع، مما يجعل المرء يتساءل كيف يعرف الجميع بشأن الأمر.

ومن ناحية أخرى.. كان هناك شخص لا يزال يرغَب في الحفاظ على هذا الهدوء، وفي الوقت الحالي.. يُمثِّل تشوتسكي هذا الشخص،

الذي تُرافِقه شقيقتي العزيزة، ديبرا، إذا ما تمكَّنت من الحصول على مُساعدتها، فربما أتمكَّن من استخراج بعض التفاصيل من تشوتسكي، لا أعرِف ما سأفعله بعد ذلك بعد، لكن على الأقل.. سيتسنى لي أن أبدأ.

بدا الأمر بسيطًا للغاية، وبالطبع كان كذلك، اتصلت بديبرا على الفور، أجابتني ماكينة الرد الآلي الخاصة بها، جربت هاتفها الخلوي.. وحصلت على نفس النتيجة، ولبقية اليوم كانت ديبس خارج المكتب، يرجى ترك رسالة، وعندما حاولت الاتصال بمنزلها هذا المساء حصلت على نفس النتيجة، وعندما وضعت سماعة الهاتِف، ونظرت خارج نافذة شقتي، كان الرقيب دوكس متوقِّفًا في مكانه المُفضَّل في الجانب الآخر من الشارِع.

خَرَج نصف قمر من خلف سحابة مُمزَّقة وتمتم لي، لكنه كان يُضيع مجهوده سدى، فبغض النظر عن رغبتي في الهروب لأحظى بُمغامرة اسمها ريكير، لكنني لا أستطيع القيام بذلك، وليس وهذه السيارة التورس كستنائية اللون متوقِّفة هناك مثل ضمير يقِظ، استدرت بعيدًا، باحثًا عن شيء لأركله، ها هي ليلة الجُمعة، وها أنا ذا ممنوع من الخروج لأجوب الظلال مع الراكِب المُظلِم، والآن.. لا أستطيع حتى الاتصال بشقيقتي عبر الهاتِف، من المُمكِن أن تكون الحياة شيئًا فظيعًا في بعض الأحيان.

ذرعت شقتي ذهابًا وإيابًا لبعض الوقت لكنني لم أحصل على شيء باستثناء كدمة في أصبع قدمي، اتصلت بديبرا مرتين أخريين.. لكنها لم تكُن في المنزل بعد، نظرت عبر النافذة مرة أخرى، تحرَّك القمر قليلًا.. لكن دوكس لم يفعَل.

حسنًا إذا.. لنعد للخطة ب.

كُنت جالسًا على أريكة ريتا بعد نصف ساعة وبيدي عبوة من البيرة، تبعني دوكس إلى هنا، وكان عليّ أن أفترِض أنه ينتظِر عبر الشارِع في سيارته، آمل أن يكون مُستمتعًا بهذا بنفس قدر استمتاعي به، والذي لم يكُن كثيرًا على الإطلاق، هل هذا هو ما يُفترَض أن يكون عليه المرء عندما يكون إنسانًا؟ هل كان البشر حقًا بائسين للغاية وعديمي التفكير لدرجة أنهم يتطلَّعون إلى هذا؟ أن يقضوا ليالي الجُمعة، وقت راحتهم الثمين بعد عمل استعبادي قليل الأجر، في الجلوس أمام التلفاز مع عبوة من البيرة؟ لقد كان هذا مُملًا بشكلٍ مُخدِّر للعقل، وما يُثير رعبي.. أنني وجدت نفسي مُعتادًا على ذلك.

لعنات الله عليك يا دوكس، أنت تقودني لأن أكون طبيعيًا.

قالت ريتا وهي تجلس بجواري، ثانيةً قدميها تحتها: «مرحبًا أيها السيد، لماذا أنت هادئ للغاية؟».

أجبتها قائلًا: «أعتقِد أننا أعمل بكدٍ، وأستمتِع به قليلًا».

كانت صامتة للحظةٍ، قبل أن تقول: «يتعلَّق الأمر بالرجل الذي اضطررت لتركه يذهَب.. أليس كذلك؟ الرجل الذي.. يقتل الأطفال؟».

قُلت: «هذا جُزء من الأمر، لا أحب الأعمال غير المُنتهية».

أومأت ريتا، كما لو أنها فهِمَت بالفعل ما كُنت أقوله، قبل أن تقول: «هذا حقًا.. أقصِد، أستطيع القول بأن الأمر يُزعِجَك، ربما يجب عليك أن.. لا أعرف.. ماذا تفعل عادةً لتسترخي؟».

من المؤكَّد أنني استحضرت بعض الصور الطريفة وأنا أفكِّر في إخبارها بما أفعله للاسترخاء، لكن ربما لم تكُن هذه فكرة جيدة للغاية،

بدلًا من ذلك قُلت: «حسنًا، أنا أحب أن أستقِل قاربي، وأن أذهَب لصيد السمك».

سمعت صوتًا رقيقًا خافتًا يقول من خلفي: «وأنا أيضًا».

كانت أعصابي الفولاذية المُدرَّبة تدريبًا عاليًا هي الشيء الوحيد الذي منعني من القفز هلعًا لصدم رأسي بمروحة السقف، يكاد يكون من المُستحيل أن يتسلل شخص من خلفي بهذه الطريقة، ورغم ذلك.. لم يكُن لديّ أي فكرة عن وجود شخص آخر في الغُرفة، لكنني التفت لأجد كودي، ينظر إليّ بعينيه الواسعتين اللتين لا ترمشان، سألته: «أنت أيضًا؟ هل تُحب الذهاب لصيد السمك؟».

أومأ برأسه، نطق كلمتين في المرة كان أقرب ما يكون لحده اليومي.

قُلت: «حسنًا إذا.. أعتقِد أن الأمر قد حُسِمَ، ماذا عن صباح الغد؟».

قالت ريتا: «أوه، لا أظن أن.. أقصد أنه ليس.. أنت لست مُضطرًا لذلك يا ديكستر».

نظر كودي لي، وبطبيعة الحال لم ينطِق ببنت شفة، لكنه لم يكُن بحاجةٍ لذلك، كانت عيناه تكشفان الأمر برمته، قُلت: «ريتا، أحيانًا ما يحتاج الأولاد إلى الابتعاد عن الفتيات، سنذهب أنا وكودي للصيد في الصباح».

قبل أن أقول لكودي: «في الصباح الباكِر».

«لماذا؟».

قُلت: «لا أعرف لذلك سببًا، لكن من المُفترض أن تذهب مُبكرًا للغاية، لذا سنفعل».

أومأ كودي، نظر لوالدته، ثم استدار وسار نحو الردهة.

قالت ريتا: «أنت لست مُضطرًا لذلك حقًا يا ديكستر».

وبالطبع كُنت أعرف أنني لست مُضطرًا لذلك، لكن.. لم لا؟ على الأرجح لن يتسبَّب لي الأمر في ألم جسدي حقيقي، بالإضافة إلى ذلك.. سيكون من الجيد الابتعاد لبضع ساعات، خصوصًا عن دوكس، وعلى أي حال.. مرة أخرى.. لا أعرف لماذا يجب أن يكون الأمر كذلك، لكنني أهتم حقًا بشأن الأطفال، بالطبع عندما أنظر لتدريب ركوب الدراجات لا أجد الأمر مُثيرًا للاهتمام، لكنني بالطبع أجد الأطفال أكثر إثارةً للاهتمام من والديهم.

في الصباح التالي، وبينما كانت الشمس تُشرِق، تحرَّكنا أنا وكودي ببطءٍ خارج القناة الموجودة بجوار شقتي في قاربي الذي يبلُغ طوله سبعة عشر قدمًا، ارتدى كودي سُترة نجاة بها مزيج من الأزرق والأصفر، وجلس هادئًا للغاية على المُبرِّد، مُنكمِشًا للأسفل قليلًا لدرجة أن رأسه كان يختفي داخل السُترة، مما جعله أشبه بسُلحفاة زاهية الألوان.

داخل المُبرِّد كانت هناك مياه غازية ووجبة غداء قامت ريتا بإعدادها لنا، وجبة خفيفة لعشرة أو اثني عشر شخصًا، كُنت قد أحضرت الجمبري المُجمَّد كطُعْم، وبما أنها كانت رحلة كودي الأولى، فلم أكُن أعرف كيف ستكون ردة فعله عندما يضع خُطَّافًا معدنيًا حادًا في شيء لا يزال على قيد الحياة، كُنت أستمتِع بالأمر، وبالطبع.. كُلما كان حيًا.. كُلما كان الأمر أفضل! لكن لا يُمكِن للمرء أن يتوقَّع ذوقًا راقيًا من طفل.

خرجنا من القناة، نحو خليج بيسكين، متوجهًا إلى كيب فلوريدا، نحو القناة التي تتخطى المنارة، لم يقُل كودي أي شيء إلا عندما وصلنا إلى ستيلتسفيل، هذه المجموعة الغريبة من البيوت المبنيّة على أعمدة في

مُنتصف الخليج، قبل أن يجذب كُمّي، انحنيت لأتمكَّن من سماعه عبر صوت زئير المُحرِّك وصوت الرياح.

قال: «منازِل».

صِحت: «أجل، أحيانًا ما يوجد أشخاص بداخلهم».

شاهَد المنازل وهي تمر تباعًا، وحين بدأت تختفي خلفنا، عاد للجلوس فوق المُبرِّد، استدار مرةً أخرى لينظر إليهم عندما كانوا على وشك أن يصبحوا خارج نطاق الرؤية، بعد ذلك.. جلس حتى وصلنا إلى منارة فوي روك، أوقفت القارِب، وضعت المُحرِّك في وضع السكون وألقيت بالمرساة من فوق سور القارِب، في انتظار التأكُّد من أنها عالِقة قبل إيقاف تشغيل المُحرِّك.

قُلت: «حسنًا يا كودي، حان الوقت لقتل بعض الأسماك».

ابتسم، وهذا كان حدثًا نادرًا للغاية وهو يقول: «حسنًا».

راقبني دون أن تطرف له عين في اهتمامٍ شديدٍ وأنا أريه كيف يُثبِّت الجمبري في الخُطَّاف، ثم جرَّب الأمر بنفسه، دفع الخُطَّاف للداخل ببطءٍ وحرصٍ شديدٍ للغاية حتى خَرَجَ طرفه مرة أخرى، نظر للخُطَّاف قبل أن يرفَع عينيه لينظُر إليّ، أومأت، فعاد بناظره إلى الجمبري، ومدّ يده ليلمِس المكان الذي اخترَق فيه الخُطَّاف القشرة.

قُلت: «حسنًا، والآن.. ألق بها في الماء».

نظر إليّ، قُلت: «هذا هو المكان الذي تتواجَد فيه الأسماك».

أومأ كودي، وجَّه طرف سنارته إلى جانب القارِب، وضغط رز التحرير الموجود في بكرة زيبكو[1] الصغيرة ليُلقي بالطُعم في الماء، ألقيت

(1) زيبكو: واحدة من أفضل ماركات سنارات الصيد.

بطُعمي من فوق جانب القارِب بدوري، وجلسنا هناك نتأرجَح ببطء فوق الأمواج.

شاهدت كودي يصطاد بغير تركيز، ربما كان هذا بسبب مزيج المياه الواسعة والطفل الصغير، لكن لم يسعني إلا التفكير في ريكير، على الرغم من عدم قدرتي على التحقيق معه بأمانٍ، فإنني كُنت أفترِض أنه مُذنِب، متى سيعرِف أن ماكجريجور رحل، وماذا سيفعل حيال الأمر؟ بدا أنه على الأرجَح سيشعُر بالذعر ويختفي، ورغم ذلك.. كُلما فكَّرت في الأمر.. تعجَّبت، هناك إحجام بشري طبيعي عن التخلي عن حياة كاملة والبدء من جديد في مكانٍ آخر، ربما سيكون حذرًا لفترةٍ من الوقت، وإذا كان الأمر كذلك.. فسيُمكنني أن أقضي وقتي مع إدخال جديد في سجلي الاجتماعي الحصري إلى حدٍ ما، أيًا كان مُبتكِر الشيء الذي كان يعوي في الشارِع الرابع، وحقيقة أن هذا يبدو شبيهًا بأحد عناوين شيرلوك هولمز إلى حدٍ ما.. جعلت الأمر أكثر إلحاحًا، وبطريقةٍ ما.. اضطررت إلى تحييد دوكس، بطريقةٍ ما.. في مكانٍ ما.. وفي وقتٍ ما سأضطر لـ...

سألني كودي فجأة: «هل ستُصبِح أبي؟».

لحُسن الحظ أنه لم يكُن هناك أي شيء في فمي وإلا لاختنقت به، لكنني شعرت للحظةٍ أن هناك شيئًا ما في حلقي، شيئًا بحجم ديك رومي في عيد الشُكر تقريبًا، عندما استطعت التنفُّس مرة أخرى، تمكَّنت من سؤاله بلعثمةٍ: «لماذا تسأل؟».

كان لا يزال يُراقِب طرف سنارته وهو يقول: «ماما قالت ربما يحدُث هذا».

قُلت: «حقًا؟».

أومأ دون أن ينظُر للأعلى، شعرت بالدوار، فيم تُفكِّر ريتا؟ لقد كُنت مُنغمِسًا في العمل الشاق المُتمثِّل في دس قناعتي في حلق دوكس لدرجة أنني لم أفكِّر أبدًا فيما كان يدور في رأس ريتا، وعلى ما يبدو.. كان يجب عليّ أن أفعل، هل يُمكِن أن تُفكِّر في ذلك حقًا، كان هذا.. لا يُصدَّق، لكنني افترضت أن هذا قد يكون منطقيًا بطريقةٍ غريبةٍ إذا ما كان المرء بشريًا، ولحسن الحظ.. أنني لست كذلك، بدت هذه الخاطرة غريبة تمامًا بالنسبة لي، أمي قالت ربما يحدُث هذا؟ ربما أصبحت والد كودي؟ هذا يعني أن...

قُلت: «حسنًا».

وكانت هذه بداية جيدة للغاية نظرًا لأنه ليس لديّ أي فكرة على الإطلاق عمّا قد أقوله بعد ذلك، من حُسن حظي.. أنه في الوقت الذي أدركت فيه أنني لا أملُك إجابة مُتماسكة لتخرُج من فمي، اهتزّ طرف سنارة كودي بقوةٍ، قُلت: «لديك سمكة!».

وخلال الدقائق القليلة التالية.. كان كُل ما يُمكنني فعله هو مُساعدته في التمسُّك بالسنارة بينما اندفع الخيط من البكرة، قامت السمكة بعدة حركات وحشية مُتكررة، اندفعت بشكلٍ مُتعرِّجٍ إلى اليمين، وإلى اليسار، وتحت القارِب، ثم مُباشرةً نحو الأفق، لكن ببطءٍ، وعلى الرغم من قيامها بعدة محاولات للهروب بعيدًا عن القارِب، نَجَح كودي في جذبها لمسافةٍ أقرب، كُنت قد درَّبته على إبقاء طرف السنارة عاليًا، في مقاومة الرياح القوية، للتعامُل مع السمكة، بينما تولّيت زمام الأمر ونجحت في جلبها إلى القارِب، راقبها كودي وهي تنقلِب فوق سطح القارِب، كان ذيلها لا يزال يتشنَّج بقوةٍ، قُلت: «سمكة شيم أزرق، هذه سمكة قوية».

انحنيت لأقوم بتحريرها، كانت تقفِز كثيرًا وهي تتلوى في الهواء لدرجة أنني لم أستطِع أن أضع يدي عليها، قبل أن يتدفَّق خيط دماء رفيع من فمها نحو سطح قاربي الأبيض النظيف، وهو الأمر الذي كان مُزعِجًا بعض الشيء، قُلت: «يا للقرف، أعتقِد أنها ابتلعَت الخُطَّاف، سنضطر لشقِّها».

سحبت سكيني الصغير من جرابه البلاستيكي الأسود ووضعته على سطح القارِب، حذَّرت كودي قائلًا: «سيكون هناك الكثير من الدماء».

أنا لا أحِب الدماء، ولا أريدها في قاربي، حتى لو كانت دماء سمك، تقدَّمت خطوتين للأمام لأتمكَّن من فتح الخزانة لأخرِج منشفة قديمة عادةً ما أستخدمها في التنظيف، سمعت صوتًا خافتًا من خلفي يقول: «ها!».

استدرت لأجد كودي قد أمسك السكين طعن به السمكة، راقبها وهي تعاني للابتعاد عن النصل، قبل أن يطعنها في نفس المكان مرةً أخرى بحرصٍ، في هذه المرة الثانية دفع النصل بعُمقٍ نحو خياشيم السمكة، وتدفَّقت الدماء على سطح القارِب.

ناديته: «كودي».

نظر إليّ، ويا للعجب.. كان يبتسِم قبل أن يقول: «أنا أحب الصيد يا ديكستر».

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل العاشر

حتى صباح يوم الإثنين.. كُنت لا زلت لم أستطِع التواصل مع ديبرا، اتصلت مرارًا وتكرارًا، وعلى الرغم من أن نغمة اتصالها أصبحت مألوفة بالنسبة لي للدرجة التي جعلتني قادرًا على دندنتها، فإن ديبرا لم تُجِب، كان الأمر مُحبِطًا للغاية، ها أنا ذا مع طريقة مُمكِنة للخروج من القبضة الخانقة التي يحيطني بها دوكس، ولا أستطيع الوصول إليها أبعَد عن نطاق الهاتِف، إنه لأمرٍ فظيعٍ أن تضطر للاعتماد على شخصٍ آخر.

لكنني -دونًا عن بقية فضائِل الكشافة العديدة الأخرى- مُثابِر وصبور، لذا تركت عشرات الرسائل، المليئة بالمرح والذكاء، ولا بُد أن هذا الموقف الإيجابي أتى بثماره، لأنني تلقيت ردًا في النهاية.

كُنت قد جلست على مقعدي لتوي لأنهي تقريرًا عن جريمة قتل مزدوجة، أمر غير مُثير للاهتمام؛ سلاح واحد، ربما كان منجلًا، ولحظات قليلة من الهجران الوحشي، حدثت الجروح الأولى لكلا الضحيتين في الفراش، حيث تم الإمساك بهما في حالة تلبُّس، تمكَّن الرجل من رفع ذراعه، لكنه تأخَّر قليلًا ليتمكَّن من حماية عنقه، أما المرأة فتمكَّنت من الوصول إلى الباب قبل أن تتسبَّب ضربة في الجزء العلوي من عمودها الفقري في تناثُر الدم على الحائط الموجود بجوار إطار الباب، تلك الأمور الاعتيادية وغير السارَّة للغاية هي ما تُشكِّل القسم الأكبر من عملي، كان هناك الكثير من الدماء بالنسبة لاثنين من البشر، عندما يُقرِّر شخص ما

أن يترك العنان لنفسه، ينتُج عن ذلك فوضى رهيبة وغير جذَّابة، التي أجدها مُسيئة للغاية، ولذلك فإن تنظيمها وتحليلها يجعلني أشعر بتحسُّن كبير، لهذا يُمكِن أن تكون وظيفتي مُرضية للغاية في بعض الأحيان.

لكن هذه كانت فوضى حقيقية، وجدت بقعًا على مروحة السقف، على الأغلب من نصل المنجل، عندما رَفَع القاتِل ذراعه بين الضربات، ولأن المروحة كانت تعمَل.. تناثرت بُقَع أكثر وصولًا لأركان الغُرفة البعيدة.

كان يومًا حافلًا بالنسبة إلى ديكستر، كُنت أحاول صياغة فقرة في التقرير لأشير بشكلٍ صحيحٍ إلى ما نُطلِق عليه «جريمة عاطفية» عندما رنَّ هاتفي.

قال الصوت: «مرحبًا يا ديكس».

بدت مُسترخية للغاية، بل ونَعِسة، لدرجة أن الأمر استغرقني لحظة لأدرِك أنها ديبرا.

قُلت: «حسنًا، شائعات موتك كانت أمرًا مُبالغًا به».

ضحكت، ومرة أخرى أتاني صوتها رقيقًا للغاية، على عكس ضحكتها الصخبة المُعتادة، قالت: «أجل، أنا على قيد الحياة، لكن كايل يُبقيني مشغولة للغاية».

«ذكريه بقوانين العمل يا أختاه، حتى الرقباء قد يحتاجون إلى راحة».

قالت: «لا أعلم بشأن ذلك، أبلي بلاءً حسنًا دونها».

ضحِكَت ضحكة خافتة مكوَّنة من مقطعين على غير عادتها، كما لو كانت ديبس قد طلبت مني أن أريها أفضل طريقة لتقطيع العظام البشرية.

حاولت أن أتذكَّر متى كانت آخر مرة سمعت فيها ديبرا وهي تقول أنها بحالةٍ جيدةٍ وبَدَت أنها حقًا تعني ذلك في الوقت ذاته، لكنني لم أتذكَّر شيئًا، قُلت: «تبدين على غير عادتك تمامًا يا ديبرا، ماذا حدث لكِ بحق السماء؟».

هذه المرة دامَت ضحكتها لفترةٍ أطول، بدت سعيدة للغاية وهي تقول: «المُعتاد».

قبل أن تضحك مرة أخرى وهي تُضيف: «على أي حال.. ما الأمر؟».

قُلت والبراءة تتقافز من كلماتي: «لا شيء، أختي الوحيدة تختفي لعدة أيام وليالٍ دون أي مُقدِمات، ثم تظهَر وهي تبدو وكأنها خَرَجت من نطاق الرقيبة المُطيعة الخاضِعة، لذلك أشعر بالفضول لمعرفة ما يجري بحق الجحيم، هذا ما في الأمر».

قالت: «حسنًا، تبًا.. لقد تأثَّرت، يبدو الأمر مثل امتلاك أخ بشري حقيقي».

«دعنا نأمل ألا يتعدّى الأمر ذلك أبدًا».

قالت: «لنلتقي لتناول طعام الغداء، أنا جائِعة بالفعل».

قُلت: «ريلامباجو؟».

قالت: «لا، ماذا عن مطعم آزول للمأكولات الآسيوية؟».

أعتقِد أن اختيارها للمطعم كان مثل كُل شيء آخر بخصوصها هذا الصباح، لأنه لم يكُن منطقيًا على الإطلاق، ديبرا كانت من مُرتادي مطاعم الطبقة العاملة، ومطعم آزول من النوع الذي عادةً ما يتناول فيه ملوك السعودية الطعام عندما يزورون المدينة، يبدو أن تحوُّلها إلى كائن فضائي قد اكتمل الآن.

«بالطبع يا ديب، ليكُن مطعم آزول، سأبيع سيارتي فقط لأقدر على تكلفته وسأوافيكِ هناك».

قالت: «الساعة الواحدة، ولا تقلق بشأن المال، سيتكفَّل كايل بالأمر».

أغلقت السماعة قبل أن أتمكَّن من قول: فهمت! لكن ضوءًا صغيرًا كان قد ومض لتوه.

سيدفع كايل، أليس كذلك؟ حسنًا، وفي مطعم آزول كذلك.

إذا ما كان الشاطئ الجنوبي اللامِع رديء التصميم قد صُمِّم من أجل هؤلاء المُفتقرين إلى الثقة الراغبين في الشُهرة، فإن آزول هو المكان المُناسِب لهؤلاء الذين يجدون سحره مُسليًا، تتنافَس المقاهي الصغيرة المُحتشِدة على طول الشاطئ الجنوبي على جذب الانتباه بالضوضاء الصاخِبة والمُبالغة الرخيصة، أما آزول فهو خارج المُقارنة تمامًا للدرجة التي تجعلك تتساءل عما إذا كانوا قد رأوا ولو حلقة واحدة من مسلسل (رذيلة ميامي).

تركت سيارتي مع العامل الموجود داخل موقف السيارات الدائري الإجباري الموجود في الأمام، أنا مُغرَم بسيارتي، لكن عليّ أن أعترِف أنها لا تُقارَن أبدًا بصف سيارات الفيراري والرولز رويس، ورغم ذلك.. فإن العامِل لم يرفض أن يصفَّها هو بالنيابة عني، على الرغم من أنه لا بد أن خمَّن أنه لن ينال بقشيشًا مثل الذي تعوَّد على الحصول عليه، أعتقِد أن قميص البولينج الخاص بي والبنطال الكاكي كانا دليلًا لا ريب فيه أنني لا أملك ولو حتى سند دين حكوميًا أو عملة ذهبية لأمنحها له.

كان المطعَم نفسه مُظلمًا وباردًا وهادئًا للغاية لدرجة أنه كان بإمكانِك سماع سقوط بطاقة ائتمانية سوداء من طراز أمريكان إكسبريس، كان

الجدار البعيد المصنوع من الزجاج مزوَّدًا بباب يقود إلى شُرفة، كانت ديبرا تجلس بالخارج على منضدة صغيرة بأحد الأركان، تنظُر نحو المياه، الموجودة أمامها، وفي مواجهتها.. موليًا الباب المؤدي إلى المطعم ظهره، جَلَس كايل تشوتسكي، الذي سيدفع الحساب، كان يرتدي نظارة شمس باهظة الثمن، لذلك على الأرجَح سيدفع الحساب حقًا، اقتربت من المنضدة، وجَذَب لي النادل مقعدًا كان وبكُل تأكيد ثقيلًا للغاية على أي شخص بإمكانه أن يتناول طعامه هنا، لم ينحن النادل فعليًا، لكن بإمكاني أن أقول إنه بَذَل قصارى جهده في ضبط نفسه.

قال كايل وأنا أجلس: «مرحبًا يا صديقي».

قبل أن يمد يده عبر المنضدة، وبما أنه يبدو مُقتنعًا بأنني صديقه المُفضَّل الجديد، انحنيت للأمام وأنا أصافحه، سألني: «كيف حال البُقع المُتناثرة؟».

قُلت: «هناك دائمًا الكثير من العمل، ماذا عن الزائر الغامض القادِم من واشنطن؟».

قال وهو يُمسِك بيدي لدقيقةٍ طويلةٍ: «على أفضل ما يُرام».

نظرت إلى يدي، كانت مفاصِل أصابعه مُتضخِّمة للغاية، كما لو كان يقضي الكثير من الوقت يلكم جدارًا أسمنتيًا، صفع المنضدة بيده اليُسرى، وتمكَّنت من رؤية الخاتم الذي يرتديه في خنصره، بدا أنثويًا بشكلٍ لا ريب فيه، مثل خاتم خطوبة، عندما تَرَك يدي أخيرًا، ابتسم وهو يُدير رأسه نحو ديبرا، كان من المُستحيل تقريبًا بسبب النظارات الشمسية أن تعرِف هل كان ينظر إليها أم أنه حرَّك عنقه نحوها فحسب.

ابتسمت ديبرا إليه وهي تقول: «كان ديكستر قلقًا بشأني».

قال تشوتسكي: «حسنًا، أوليس هذا من شيم الإخوة؟».

نظرت نحوي وهي تقول: «أحيانًا ما أتساءل».

قُلت: «لماذا يا ديبرا، أنتِ تعرفين أنني أحمي ظهركِ فحسب».

ضحك كايل وهو يقول: «هذا جيد، سأتولى أنا أمر الجزء الأمامي».

ضَحِكَ كلاهما، قبل أن تمد يدها لتُمسِك بيده.

قُلت: «كُل هذه السعادة وكُل تلك الهرمونات تجعلني أشعر بالانزعاج حقًا، أخبراني.. هل يحاول أي شخص حقًا القبض على هذا الوحش القاسي، أم أننا سنجلس هنا لنتلاعَب بالألفاظ فحسب؟».

حرَّك كايل رأسه نحوي وهو يرفع حاجبيه قائلًا: «ما سر اهتمامك بالأمر يا صديقي؟».

قالت ديبرا: «لدى ديكستر ولع بالوحوش القاسية، الأمر مثل هواية».

قال كايل وهو ينظر إليّ: «هواية».

أعتقد أن هذا كان من المُفترض به أن يخيفني، لكن معرفة أن عينيه ربما تكونان مُغلقتين، منعتني -وبطريقةٍ ما- من الارتعاد.

قالت ديبرا: «إنه مُحلِّل شخصيات هاوٍ نوعًا ما».

لم يتحرَّك كايل للحظةٍ، حتى لتساءلت عما إذا كان قد غطَّ في نومٍ عميقٍ خلف عدساته الداكِنة، قبل أن يقول في النهاية وهو يعود بظهره للخلف على كُرسيه: «حسنًا، ما رأيك في هذا الرجل يا ديكستر؟».

قُلت: «لا شيء سوى الأساسيات حتى الآن، شخص ما حظي بالكثير من التدريب في المجال الطبي، وفي الأنشطة السريَّة، يُعاني من عدم اتزان عقلي ويحتاج للإعلان عن نفسه، عن شيء ما يتعلَّق بأمريكا

الوسطى، من المُحتمَل أن يفعل ذلك مرة أخرى للوصول لأقصى قدر من التأثير، وليس لشعوره بحتمية قيامه بذلك، لذلك فإنه ليس نوعًا من الأنواع المُتسلسلة المُعتادة للـ.. ما الأمر؟».

كان كايل قد توقَّف عن الابتسام وانتصب ليجلس مستقيمًا بقبضتين مُغلقتين وهو يقول: «ماذا تقصد بأمريكا الوسطى؟».

كُنت مُتأكِّدًا للغاية بأن كلينا يعرف جيدًا ماذا أقصد بأمريكا الوسطى، لكنني اعتقدت بأن قول السلفادور لربما كان مُبالغًا فيه بعض الشيء، ليس الأمر وكأنني سأفقد السيطرة على أوراق اعتماد جُملة (أنها مُجرَّد هواية) فحسب، لكن غرضي الأساسي من القدوم إلى هنا كان لاكتشاف أمر دوكس، وعندما ترى بوابة لتتطرَّق للأمر.. حسنًا، على أن أعترِف أن هذا كان واضحًا بعض الشيء، لكنه نَجَح على ما يبدو، قُلت: «أليس هذا صحيحًا؟».

أتت كُل تلك السنوات التي تدرَّبت فيها على تقليد التعبيرات البشرية ثمارها أخيرًا هنا وأنا أرسم على وجهي أفضل تعبير فضولي ممزوج بالبراءة.

على ما يبدو أن كايل لم يُقرِّر بعد إذا ما كان هذا صحيحًا، حرَّك عضلات فكّه وهو يفتح قبضتيه.

قالت ديبرا: «تحتَّم عليّ أن أحذِرك، إنه جيد في هذا الأمر».

زفر تشوتسكي نفسًا عميقًا وهو يهز رأسه قائلًا: «أجل».

وبجهدٍ واضحٍ عاد بظهره للخلف وهو يُعيد ابتسامته مرة أخرى قائلًا: «جيد للغاية يا صديقي، كيف توصَّلت إلى كُل هذا؟».

قُلت بتواضُع: «لا أعرف، يبدو الأمر واضحًا فحسب، الجزء الصعب يتمثَّل في اكتشاف كيف تورَّط الرقيب دوكس في الأمر».

قال وهو يضم قبضتيه مرة أخرى: «يا إلهي المجيد».

نظرت ديبرا نحوي وهي تضحَك، لم تكُن ضحكة مُماثلة لتلك التي تضحكها لكايل، لكن لا يزال من الجيد معرفة أنها تتذكَّر بين الحين والآخر أننا في نفس الفريق، قبل أن تقول: «أخبرتك أنه جيد».

قال كايل مرة أخرى: «يا إلهي المجيد».

حرَّك أحد إبهاميه دون وعي، وكأنه يضغط على زناد خفي، قبل أن يُدير نظاراته الشمسية نحو ديبرا قائلًا: «كُنتِ مُحقة بهذا الأمر».

ثم عاد إليّ مرة أخرى، رمقني بنظرةٍ حادةٍ لدقيقةٍ، ربما ليرى إذا ما كُنت سأندفع عبر الباب أو سأبدأ في التحدُّث بالعربية، ثم أومأ وهو يقول: «ماذا عن الرقيب دوكس؟».

سألتني ديبرا: «أنت لا تحاول توريط دوكس في هذا القرف فحسب، أليس كذلك؟».

قُلت: «عندما رأى كايل دوكس للمرة الأولى في غُرفة اجتماعات النقيب ماثيوس، كانت هناك لحظة اعتقدت فيها أنهما يعرفان بعضهما البعض».

عبست ديبرا وهي تقول: «لم ألاحَظ ذلك».

قُلت: «كُنتِ مشغولة بالاحمرار خجلًا».

مما جعلها تحمر خجلًا مرة أخرى، وهو الأمر الذي اعتقدت أنه زائد عن الحد قليلًا، قبل أن أضيف: «بالإضافة إلى ذلك، عَرِف دوكس إلى من يجب علينا أن نتحدَّث عندما رأى مسرح الجريمة».

اعترف تشوتسكي: «يعرف دوكس بعض الأشياء، من خدمته العسكرية».

سألت: «أي نوع من الأشياء؟».

نظر تشوتسكي إليّ لفترةٍ طويلةٍ، أو هكذا فعلت نظارته الشمسيَّة، طرق بخاتِم خنصره السخيف على المنضدة، انعكست الشمس على الماسة العملاقة الموجودة في مُنتصفه، شعرت وكأن درجة الحرارة عند منضدتنا قد انخفَضَت عشر درجات عندما تحدَّث أخيرًا.

قال: «لا أريد أن أتسبَّب لك في أي متاعِب يا صديقي، لكن عليك أن تتخلى عن الأمر، أن تتراجَع، أن تجد هواية مُختلِفة، وإلا فأنت في وسط عالم من الخراء.. وسيتم طردك مع مياه المرحاض».

ظهر النادِل بجوار كوع كايل مُباشرةً قبل أن أتمكَّن من التفكير في شيءٍ رائعٍ لأجيبه به على ذلك، أبقى تشوتسكي نظارته الشمسيَّة موجَّهة نحوي لدقيقةٍ طويلةٍ، ثم أعطى قائمة الطعام للنادِل وهو يقول: «يخنة الأسماك الفرنسية جيدة هنا حقًا».

اختفت ديبرا لبقية الأسبوع، وهو الأمر الذي لم يكُن له تأثير يُذكَر على تقديري لذاتي، لأنه مهما كان الأمر فظيعًا بالنسبة لي لأعترِف به.. إلا أنني كُنت عالقًا دون مُساعدتها، لم يُمكنني التوصُّل إلى أي نوع من أنواع الخطط البديلة للتخلُّص من دوكس، كان لا يزال هُناك، متوقِّفًا تحت الشجرة المُقابلة لشقتي، يتبعني إلى منزل ريتا، ولم يكُن لديّ أي إجابات، كان عقلي الذي كُنت فخورًا به يومًا يدور في دوائِر مُفرَّغة دون أن يصل إلى شيء سوى السراب.

كان بإمكاني الشعور بالراكِب المُظلِم وهو يعبس ويتذمَّر ويكافِح من أجل تولي عجلة القيادة، ولكن دوكس كان يلوح بالأفق دومًا عبر زجاجي الخلفي، مما أجبرني على تضييق الخناق عليه ومد يدي للحصول على عبوة بيرة أخرى، كُنت قد عملت بجدٍ ولوقتٍ طويلٍ للغاية كي أنجح بحياتي المثالية الصغيرة ولن أفسدها الآن، بإمكاننا أنا والراكِب أن ننتظِر لفترة أطول قليلًا، علَّمني هاري الانضباط، وهذا ما ساعدني في التجاوز وصولًا لأيام أكثر سعادة.

قال هاري: «الصبر».

توقَّف ليسعل في منديل قبل أن يستكمل حديثه: «الصبر أهم من الذكاء يا ديكس، وأنت ذكي بالفعل».

قُلت: «شكرًا لك».

وعنيتها بأدبٍ جمٍ حقًا، لأنني لم أكُن مرتاحًا على الإطلاق للجلوس في غُرفة هاري بالمُستشفى، روائِح الأدوية والمُطهِّر والبول المُمتزِجة بأجواء المُعاناة والموت السريري جعلتني أتمنى أن أكون في أي مكانٍ آخر تقريبًا، بالطبع.. بصفتي وحشًا قاسيًا صغيرًا، لم أتساءل أبدًا عما إذا كان هاري لا يشعُر بنفس الشيء.

قال: «في حالتك تلك.. عليك أن تكون أكثر صبرًا، لأنك ستعتقِد أنك ذكي بما فيه الكفاية لتنجو من العقاب، لكنك لست كذلك، لا أحد كذلك».

توقَّف ليسعل مرة أخرى، واستغرَق هذه المرة المزيد من الوقت، بدا أنه يغرق في الأمر، كنت رؤية هاري بهذه الحالة.. هاري غير القابل للهزيمة، الشُرطي الخارِق، والأب المُتبني، يرتعِد، يتحوَّل للون الأحمر،

بعينين دامعتين من الإجهاد.. كان أكثر من اللازِم، تحتَّم عليّ أن أنظر بعيدًا، وعندما نظرت إليه بعد دقيقة، كان يُطالعني ثانيةً.

«أنا أعرفك يا ديكستر، أفضل مما تعرف نفسك».

وكان هذا قابلًا للتصديق إلى أن أضاف: «بشكلٍ أساسي.. أنت رجل جيد».

قُلت: «لا، أنا لست كذلك».

مُفكرًا في كُل الأشياء الرائعة التي لم يسمَح لي بعد بفعلها، حتى الرغبة في فعلها تستبعِد إلى حدٍ كبيرٍ أي نوع من الارتباط بالخير، هذا بخلاف حقيقة أن الأشخاص التافهين أصحاب الوجوه المليئة بالبثور والذين تتحكَّم فيهم الهرمونات ممن هم في سني كانوا يعتبرون أشخاصًا صالحين، كانوا أقرب لإنسان الغاب أكثر مني، لكن هاري لم يكُن ليُصغي لذلك.

قال: «بلى، أنت كذلك، وعليك أن تُصدِّق أنك كذلك، أنت تحاول القيام بالأمور الصحيحة يا ديكس».

أنهى حديثه وهو ينهار في نوبة حقيقية من السُعال، التي استمرَّت لعدة دقائق، قبل أن يستنِد بضعفٍ إلى وسادته، أغلق عينيه لدقيقةٍ، لكن حين فتحهما مرة أخرى كانت عينا هاري الزرقاوين الفولاذيتين أكثر إشراقًا في وجهه المُحتضِر الذي تحوَّل للون الأخضر الشاحِب أكثر من أي وقت مضى، قال: «الصبر».

نطقها بقوةٍ، على الرغم من الألم والضعف الرهيب الذي لا بُد أنه شعر بهما، قبل أن يُضيف: «لا يزال أمامك طريق طويل لتقطعه، وليس لديّ الكثير من الوقت يا ديكستر».

قُلت: «أجل، أنا أعرف».

أغلق عينيه وهو يقول: «هذا بالضبط ما أعنيه، من المُفترض أن تقول: لا، لا تقلق، لديك الكثير من الوقت».

قُلت وأنا غير واثق إلى أين ستتجه تلك المُحادثة: «لكنك لا تملكه».

قال: «لا، لا أملكه، لكن الناس تتظاهَر لتجعلني أشعر بشعورٍ أفضل تجاه الأمر».

«وهل تشعر بشعورٍ أفضل؟».

قال وهو يفتح عينيه ثانيةً: «لا، لكن لا يُمكِنك أن تُمنطِق السلوك الإنساني، عليك التحلي بالصبر، عليك أن تُراقِب وتتعلَّم، هذا وإلا ستفشل، سيقبضون عليك، وحينئذ.. نصف إرثي».

أغلق عينيه مرة أخرى، كان بإمكاني سماع الإجهاد يملأ صوته وهو يقول: «ستُصبِح شقيقتك شُرطية جيدة، أما أنت..».

ابتسم ببطءٍ، شاب ابتسامته القليل من الحُزن وهو يقول: «ستُصبِح شيئًا آخر، ستُحقِّق العدالة الحقيقية، لكن هذا سيحدُث فقط إن كُنت صبورًا، إن لم تسنح لك فُرصتك بعد.. انتظرها يا ديكستر».

بدا الأمر كُله مُدمِّرًا بالنسبة إلى وحش مُبتدئ يبلُغ من العُمر ثمانية عشر عامًا، كُل ما أردت فعله هو ذلك الشيء، كان هذا بسيطًا جدًّا حقًا، الذهاب للرقص في ضوء القمر مع شفرة حادة تُحلِّق بحُرية.. يا له من أمرٍ سهلٍ، طبيعي وسهل للغاية، أن تخترِق كُل هذا الهراء وصولًا إلى قلب الأشياء، لكن لم يكُن بإمكاني فعل ذلك، جعل هاري الأمر مُعقدًا.

قُلت: «لا أعرف ماذا سأفعل عندما تموت».

قال: «ستُبلي حسنًا».

«هناك الكثير من الأمور لأتذكَّرها».

مد يده ليضغط الزر المُعلَّق بسلكٍ خلف فراشه وهو يقول: «ستتذكَّرها».

أسقط السلك، بدا الأمر وكأنه جذبه بآخر ما تبقى من قوته، ليُسقطه بجانب الفراش، قال: «ستتذكَّر».

أغلق عينيه، ولدقيقةٍ.. كُنت وحيدًا في الغُرفة، ثُم دخلت المُمرضة وهي تحمل حُقنة، فتح هاري عينًا واحدةً وهو يقول: «لا يُمكننا دائمًا القيام بما نعتقِد أنه يتعيَّن علينا القيام به، لذلك لا يوجد شيء آخر تستطيع القيام به، انتظر».

مد يده من أجل الحصول على جُرعته وهو يُضيف: «بغض النظر عن.. الضغط.. الذي قد تشعُر به».

راقبته وهو مُستلقٍ هناك، يأخذ حقنته دون أن يجفل، مُدركًا أنه حتى الراحة التي ستجلبها له مؤقَّتة، أن نهايته قادمة، دون أن يستطيع فعل أي شيء لإيقافها، مُدركًا أيضًا أنه لم يكُن خائفًا، وأنه سيفعل ذلك بالطريقة الصحيحة، لأنه فعل كُل شيء آخر في حياته بطريقةٍ صحيحةٍ، وعَرِفت هذا أيضًا: لطالما فهمني هاري، لم يفعل ذلك أي شخص آخر، ولن يفعل ذلك أي شخص آخر، طوال الوقت وفي كُل هذا العالم، لن يفعلها سوى هاري فقط.

السبب الوحيد الذي جعلني أفكِّر في أن أكون إنسانًا هو أن أكون مثله تمامًا.

الفصل الحادي عشر

وهكذا.. كُنت صبورًا، لم يكُن الأمر سهلًا، لكنه كان قانون هاري، دع الزنبرك الفولاذي اللامع الموجود بالداخل هادئًا ومشدودًا، وانتظر، وراقب، أبقِ المُحرِّر الساخِن اللذيذ مُغلقًا بإحكام في صندوقه البارِد حتى يسمح له هاري بالخروج والتجوُّل طوال الليل، وآجلًا أم عاجلًا.. ستظهَر بعض الثغرات الصغيرة، وسيُمكِننا القفز من خلالها، آجلًا أم عاجلًا.. سأجد طريقة لأجعل دوكس يتغاضى عن رؤيتي.

انتظرت.

بالطبع يجد بعضنا صعوبة في القيام بذلك أكثر من الباقين، وبعد عدَّة أيام.. صباح يوم السبت، رن هاتفي.

قالت ديبرا دون مُقدِّمات: «اللعنة».

كان من المُريح أن أسمعها وهي تعود لشخصيتها الغريبة التي يُمكِن التعرُّف عليها مرة أخرى.

قُلت: «بخير، شكرًا لكِ، وأنتِ؟».

قالت: «كايل يدفعني للجنون، يقول أنه لا يوجد ما يُمكِننا فعله سوى الانتظار، لكنه لا يُخبرني بما ننتظره، يختفي لعشر أو اثنتي عشرة ساعة دون أن يخبرني أين كان، وبعدها ننتظِر أكثر، سئمت جدًّا من الانتظار».

قُلت: «الصبر فضيلة».

قالت: «سئمت من كوني فاضِلة كذلك، سئمت حتى الموت من ابتسامة كايل المُتعجرفة كلما سألته عما يُمكننا فعله للعثور على هذا الرجل».

قُلت: «حسنًا يا ديبس، لا أعرف ماذا يُمكِنني أن أفعل سوى تقديم تعاطفي، أنا آسف».

قالت: «أعتقد أن بإمكانك فعل أكثر من ذلك بكثير يا شقيقي».

تنهدت بشدة، على الأغلب كانت بسبب فوائد التنهُّد، تبدو التنهدات أفضل كثيرًا عبر الهاتف، قُلت: «هذه إحدى مُشكلات امتلاك سُمعة كمُقاتِل بالسلاح يا ديبس، يتوقَّع الجميع أن تُخرِج الفيشة من مقبسها كُل مرة بلمح البصر».

قالت: «ما زلت أعتقِد ذلك».

قُلت: «ثقتِك تغمُر قلبي بالدفء، لكنني لا أفقه شيئًا في هذا النوع من المُغامرات يا ديبرا، وهذا يجعلني ضعيفًا للغاية».

قالت: «عليّ أن أعثر على هذا الرجل يا ديكستر، أريد أن أغيظ كايل بالأمر».

«ظننت أنكِ مُعجبة به».

نخرت وهي تقول: «يا إلهي، أنت لا تعرف أي شيء عن النساء يا ديكستر.. أليس كذلك؟ بالطبع أنا مُعجبة به، لهذا أريد إغاظته بالأمر».

«حسنًا، الآن يبدو الأمر منطقيًا».

توقَّفت، قبل أن تقول دون اهتمام: «قال كايل بعض الأشياء المُثيرة للاهتمام بشأن دوكس».

شعرت أن صديقي صاحِب الأنياب الطويلة الموجود بالداخل يتمطَّط قليلًا وهو يخرّ كالقطط، قُلت: «لقد أصبحتِ خبيثة للغاية فجأة يا ديبرا، كُل ما عليكِ فعله هو أن تسأليني».

قالت: «لقد سألتك لتوي، وأجبتني بهذا الهراء حول أنه كيف لا يُمكِنك المُساعدة».

فجأة.. عادت ديبس الجيدة التي تتحدَّث بوضوحٍ مرة أخرى وهي تُضيف: «إذًا.. ماذا عن الأمر؟ ماذا لديك؟».

قُلت: «لا شيء حتى الآن».

قالت: «تبًا».

«لكن قد يكون بإمكاني أن أجد شيئًا ما».

«متى؟».

عليّ أن أعترِف أنني كُنت أشعُر بالضيق من موقِف كايل نحوي، ماذا قال؟ أنني سأكون (في وسط عالم من الخراء.. وسيتم طردي مع مياه المرحاض)؟ حقًا.. من الذي يكتب جُمله الحوارية؟ وإشادة ديبرا ببراعتي التي ظهرت من العدم، لطالما كانت البراعة من اختصاصي، لكنها لم تجد نفعًا في تهدئتي، لم يكُن عليّ أن أقولها، لكنني فعلت على أي حال: «ماذا عن تناول الغداء؟ لنقُل أنني سأجد شيئًا بحلول الساعة الواحدة، في مطعم بالين.. بما أن كايل سيتولى أمر الحساب».

قالت: «سأرى بشأن ذلك».

قبل أن تُضيف: «الأمر بشأن دوكس؟ جيد للغاية».

ثم أنهت المُكالمة، قُلت لنفسي: حسنًا، ووجدت نفسي فجأة لا أمانع فكرة أن أعمل قليلًا يوم السبت، فبعد كُل شيء.. كان البديل الوحيد

هو التسكّع مع ريتا، ومُشاهدة الطحالب وهي تنمو فوق الرقيب دوكس، لكن في حال وجدت شيئًا ما لديبس، فقد أجد الثغرة الصغيرة التي أبحث عنها، كان عليّ فقط أن أكون الفتى الذكي الذي نعتقِد جميعًا أنني هو.

لكن.. من أين أبدأ؟ لم يكُن هناك الكثير من الأمور المُهِمة التي يجب القيام بها، ومنذ أن أبعد كايل القسم عن مسرح الجريمة قبل أن نقوم بما هو أكثر من البحث عن البصمات، في كثيرٍ من الأحيان في الماضي.. كُنت قد ربحت بعض النقاط البسيطة لدى زملائي في قسم الشرطة عن طريق مُساعدتهم في تعقُّب الشياطين الملتوية والمُعتلَّة التي تعيش فقط من أجل القتل، لكن هذا كان بفضل فهمي لهم، كوني شيطانًا ملتويًا ومُعتلًّا بدوري، هذه المرة.. لم أستطِع الحصول على أي تلميحات من الراكِب المُظلِم، الذي كان قد خلد إلى نوم غير مُريح، صديقي المسكين، كان عليّ أن أعتمِد على ذكائي المُطلَق الطبيعي، الذي كان خاملًا بشكلٍ مُقلِق في الوقت الحالي.

ربما إن مددت عقلي ببعض الوقود، فسيدخُل في حالة تأهُّب قصوى، ذهبت إلى المطبخ ووجدت موزة، كانت لذيذة للغاية، لكن لسببٍ ما لم تُساعِد على إطلاق أي صواريخ ذهنية.

رميت القشر في القمامة ونظرت نحو الساعة، حسنًا.. أيها الفتى العزيز، لقد مرّت بالفعل خمس دقائق كاملة، مُمتاز، تمكَّنت بالفعل من معرفة أنه ليس بإمكانك التوصُّل إلى أي شيء، برافو يا ديكستر.

كان هناك بالفعل عدد قليل جدًّا من الأماكِن للبدء، في الواقِع.. كُل ما لديّ كان المنزل والضحية، ولأنني كُنت مُتأكِّدًا إلى حدٍ ما من أنه لن يكون لدى الضحية الكثير لتقوله، حتى لو أعدنا له لسانه، وهذا يترك

لي المنزل، بالطبع كان من المُمكِن أن يكون المنزل ملكًا للضحية، لكن الديكور كان يوحي بأنه مؤقَّت، لذا كُنت على يقينٍ أنه ليس ملكه.

من الغريب الابتعاد عن منزل كامل بهذه البساطة، لكنه فعل هذا، لم يُطارده أحدهم أو يُجبره على الهروب السريع أو يُصيبه بالذعر، هذا يعني أنه فعل هذا بكامل إرادته، كجزء من خطته.

كان هذا يعني أن لديه مكانًا آخر ليذهب إليه، على الأرجح في نطاق ميامي، بما أن كايل يبحث عنه هنا، كانت هذه هي نقطة البداية، وتوصَّلت إلى كُل شيء بنفسي، مرحبًا بك في المنزل أيها العقل المُفكِّر.

تترك العقارات آثار أقدام كبيرة نوعًا ما، حتى عندما تحاول أن تخفي أثرها، وخلال خمس عشرة دقيقة من الجلوس على حاسوبي.. استطعت العثور على شيءٍ ما، لم تكُن بصمة قدم كاملة بالطبع، لكنها كانت كافية للغاية لتكشِف لي عن شكل أصابعها.

كان المنزل الموجود في الشارع الرابع مُسجَّلًا باسم رامون بونتيا، لا أعرِف كيف توقَّع أن يفلِت بذلك الاسم في ميامي، لكن اسم رامون بونتيا كان اسمًا كوبيًا يُستخدم للمزاح، مثل جو بلو في الإنجليزية، كان قد تم دفع ثمن المنزل، ولا توجد أي ضرائِب مُستحقَّة، وهو ترتيب سليم لشخصٍ يُقدِّر الخصوصية مثلما أفترِض أن صديقنا الجديد يفعل، تمَّ شراء المنزل بدُفعة نقديَّة واحدة، حوالة مصرفيَّة من بنك في جواتيمالا، بدا هذا غريبًا بعض الشيء؛ خصوصًا مع دربنا الذي بدأ في السلفادور، وقادنا عبر الأعماق الغامضة لوكالةٍ حكوميةٍ غامضةٍ في واشنطن، فلماذا انعطاف الأمر يسارًا نحو جواتيمالا؟ لكن أظهرت دراسة سريعة حول غسيل الأموال المُعاصر أن الأمر مناسب للغاية، فعلى ما يبدو لم تعُد سويسرا وجُزر كايمن في وضعٍ جيدٍ، ففي حال رَغِبَ المرء في الحصول

على خدمات مصرفيَّة سريَّة في الدول الناطِقة بالإسبانية، فجواتيما لا هي الحل الأمثل.

سلَّط هذا السؤال المُثير للاهتمام الضوء على مقدار المال الذي امتلكه الدكتور عديم الأطراف، ومن أين أتى به، لكنه سؤال لم يكُن يؤدي إلى أي شيء في الوقت الحالي، كان عليّ أن أفترض أن لديه ما يكفي لشراء منزل آخر عندما ينتهي من هذا المنزل، وربما كان ضمن نفس نطاق الأسعار.

حسنًا إذا.. عُدت مرة أخرى إلى قاعدة بيانات مُقاطعة ميامي داد الخاصَّة بي، وبحثت عن عقارات أخرى تم شراؤها بنفس الطريقة في الفترة الأخيرة، من نفس البنك، كان هناك سبعة؛ أربعة منها كان قد تمّ بيعها بأكثر من مليون دولار، وهو ما أثار دهشتي.. كون المبلغ مُرتفعًا بعض الشيء بالنسبة للمُمتلكات التي يُمكِن التخلُّص منها، ربما تم شراؤها بواسطة ما هو أكثر شرًا من أباطرة المُخدرات ورؤساء شركة (Fortune 500) الهاربين.

ترك لي هذا عقارات بدا أمرها معقولًا، كان أحدهم في ليبرتي سيتي، وهي منطقة يكثر فيها سود البشرة بشكلٍ رئيسي بميامي، لكن بعد الفحص الدقيق.. تبيَّن أنها مجموعة شقق.

أما العقاران المُتبقيان، فكان أحدهما في هومستيد، على مرمى البصر من كومة النفايات الضخمة المعروفة محليًا باسم (ماونت تراشمور)[1]، وكان الآخر في الطرف الجنوبي من المدينة كذلك، قبالة طريق كويل روست.

---

(1) ماونت تراشمور: حديقة عامة تم افتتاحها عام 1974، وتعد مثالاً على إعادة استخدام مكب نفايات، حيث تضمَّن إنشاؤها تحويل مكب نفايات مهجور إلى حديقة عامة.

منزلان؛ كُنت على استعداد للمُراهنة على أن شخصًا جديدًا انتقَل للتو إلى أحدهما، وعلى أنه كان يفعل أشياء قد تُذهِل السيدات في لجنة الترحيب بالسكَّان الجُدد، لا أملك أي ضمانات بالطبع، لكن هذا بدا مُرجحًا بكُل تأكيد، وكان هذا.. بعد كُل شيء.. هو وقت تناول طعام الغداء.

كان بالين مطعمًا باهظ الأسعار لم تكُن مواردي المالية المتواضِعة لتسمح لي بتجربته، يتميَّز بديكورٍ أنيقٍ من الحوائط المكسوَّة بالخشب التي تجعلك تشعُر بالحاجة إلى رابطة عُنق وواقيات بُقع للأحذية، كما أن لديه واحدة من أفضل الإطلالات على خليج بيسكين في المدينة، وإذا كان المرء محظوظًا.. فسيتمكَّن من الحصول على واحدة من الطاولات التي تتمتَّع بذلك.

إما أن كايل كان محظوظًا أو أنه نثر سحره على رئيس النُدُل، لأنه كان ينتظر هو وديبرا بالخارج على واحدة من تلك الطاولات، وأمامهما زجاجة مياه معدنية وطبق مما بدا أنه كعك السلطعون، أمسكت بواحدة وأخذت قضمة وأنا أجلس على المقعد المواجِه لكايل.

قُلت: «هذا لذيذ، لا بد أن هذا هو المكان الذي تذهَب إليه السرطانات الجيدة حين تموت».

قال كايل: «ديبي قالت أن لديك شيئًا من أجلنا».

نظرت إلى شقيقتي، التي كانت دائمًا ديبرا أو ديبس، لكنها بالتأكيد لم تكُن ديبي أبدًا، ومع ذلك.. لم تقُل شيئًا، وبدت على استعداد لترك هذه الحرية الفاضحة بالمرور، لذا حوّلت انتباهي مرة أخرى إلى كايل، كان يرتدي النظارة الشمسية مرة أخرى، لَمع خاتم خنصره السخيف وهو يُبعد الشعر دون اهتمام عن جبهته.

قُلت: «أظن أن لديّ شيئًا ما، لكنني أريد أن أكون حريصًا على ألا يتم طردي مع مياه المرحاض».

نظر لي كايل لدقيقةٍ طويلةٍ، ثم هزّ رأسه بينما رفعت ابتسامة مُتردّدة فمه ربما لربع بوصة إلى الأعلى، وهو يقول: «حسنًا، لقد ضبطتني، لكنك ستندهش من عدد المرات التي تعمل فيها جُملة من هذا القبيل حقًا».

قُلت: «أنا مُتأكّد من أنني سأكون مُندهشًا».

قبل أن أمرِّر له نسخة مطبوعة أتيت بها من حاسوبي، وأنا أقول: «قد ترغب في النظر إلى هذا بينما ألتقِط أنفاسي».

عبس كايل وهو يفتَح الورقة مُتسائلًا: «ما هذا؟».

انحنت ديبرا للأمام، بدت مثل الكلب البوليسي الشغوف الذي لطالما كانت عليه وهي تقول: «لقد وجدت شيئًا! كُنت أعرف أنك ستفعل».

قال كايل: «إنهما عنوانان فحسب».

قُلت له: «ربما كان أحدهما مكانًا مُناسبًا للغاية للاختباء لمُمارس طبي غير تقليدي له ماضٍ في أمريكا الوسطى».

وأخبرته كيف وجدت العنوانين، يُحسَب له أنه بدا عليه التأثُّر، حتى وهو يرتدي النظارة الشمسية.

قال: «كان عليّ أن أفكِّر في هذا، هذا جيد للغاية».

أومأ وهو ينقر الورقة بأصبعه قائلًا: «اتبع المال، تعمل في كُل مرة».

قُلت: «لا يُمكنني أن أكون مُتأكِّدًا بالطبع».

قال: «حسنًا، سأراهِن على ذلك، أعتقِد أنك وجدت دكتور دانكو».

نظرت إلى ديبرا، هزَّت رأسها، لذلك نظرت إلى نظارة كايل الشمسية مرة أخرى وأنا أقول: «اسم مُثير للاهتمام، هل هو بولندي؟».

سعل تشوتسكي مُنظفًا حلقه وهو ينظُر للماء قائلًا: «قبل أن تولد على ما أعتقِد، كان هنالك إعلان تجاري في ذلك الوقت، شركة دانكو تُقدِّم.. قطَّاعة الخضراوات الآلية، تُقطِّع لأصابع.. أو لمُكعّبات».

حرَّك عدساته الداكِنة نحوي وهو يستكمِل: «هذا ما أطلقناه عليه، دكتور دانكو، كان يُقطِّع الخضراوات، إنه نوع من المزاح الذي تستسيغه عندما تكون بعيدًا عن المنزل وترى أشياء مروعةً».

قُلت: «لكن ها نحن الآن نراهم بالقُرب من الوطن، لماذا هو هنا؟».

قال كايل: «إنها قصة طويلة».

قالت ديبرا: «هذا يعني أنه لا يُريد إخبارك».

قُلت وأنا أنحني للأمام: «في هذه الحالة.. سأتناول كعكة سلطعون أخرى».

مددت يدي وتناولت آخر واحدة في الطبق، كانت لذيذة حقًا.

قالت ديبرا: «بحقك يا تشوتسكي، هناك فرصة جيدة لأن نعرف مكان هذا الرجل، والآن.. ماذا ستفعل حيال ذلك؟».

وضع يده على يدها وقال مُبتسمًا: «سأتناول طعام الغداء».

وأمسك قائمة الطعام بيده الأخرى، نظرت إليه ديبرا لدقيقةٍ، قبل أن تسحب يدها بعيدًا وهي تقول: «تبًا».

في الواقِع.. كان الطعام مُمتازًا، وحاول تشوتسكي جاهدًا أن يكون ودودًا ومُمتعًا، كما لو أنه قرَّر أنه حين لا يُمكِنك أن تقول الحقيقة، فحاول أن تبدو فاتنًا، وإحقاقًا للحق.. لم أستطع الشكوى، لأنني

دائمًا ما أستخدم تلك الحيلة للهروب، لكن ديبرا لم تبدُ سعيدة للغاية، عَبَسَت ونكزت طعامها بينما استمرّ كايل في سرد النكات وسؤالي إذا ما كُنت أحب حظوظ فريق ميامي دولفينز لكرة القدم الأمريكية هذا العام، لم أكُن أهتم حقًا بما إذا فاز الفريق بجائزة نوبل للأدب، لكن بما أنني إنسان مُبدِع مُصمَّم بشكلٍ جيدٍ، كان لديّ العديد من المُلاحظات الأصيلة التي سبق أن حضرتها حول هذا الموضوع، وهو الأمر الذي بدا أنه يُرضي تشوتسكي، وجعله يتحدَّث بأكبر قدر مُمكِن من الحميمية.

حتى أننا تناولنا الحلوى، بدا لي الأمر وكأنه يفرط في استخدام حيلة (شتِّتهم بالطعام)، لا سيما وأننا لم نُشتَّت أنا أو ديبرا، لكن الطعام كان جيدًا جدًا، لذا كان من القسوة أن أتذمَّر، بالطبع عملت ديبرا بكدٍ طوال حياتها لتكون قاسية، لذلك عندما وضع النادِل شيئًا مليئًا بالشوكولاتة أمام تشوتسكي، الذي التفت إلى ديبس مُمسكًا بشوكتين وهو يقول: «حسنًا».

انتهزت الفُرصة لتُلقي بمعلقتها بعصبية في مُنتصف الطاولة وهي تقول: «لا، لا أريد فنجان قهوة لعينًا آخر، ولا أريد حلوى الشوكولاتة اللعينة، أريد إجابة لعينة، متى سنذهب للقبض على هذا الرجل؟».

نظر لها بدهشةٍ طفيفةٍ، بل وحتى بشغفٍ حقيقي، كما لو أن الرجال في مجال عمله وجدوا أن إلقاء النساء للمعالِق أمر مفيد فاتِن، لكنه اعتقد أن التوقيت ربما يكون خاطئًا، قال: «هل يُمكنني إنهاء الحلوى أولًا؟».

الفصل الثاني عشر

قادت بنا ديبرا السيارة جنوبًا على طريق ديكسي السريع، أجل.. قُلت بنا، لدهشتي.. أصبحت عضوًا مُهِمًا في فرقة العدالة، وتمّ إخباري بأنه تم تكريمي بفُرصة لألقي بنفسي التي لا بديل لها في التهلكة، وعلى الرغم من أنني كُنت أبعد ما يكون عن السعادة، فإن حادثة واحدة صغيرة جعلت الأمر يستحق العناء.

كُنا نقف خارج المطعم في انتظار الخادم ليُحضر سيارة ديبرا، تمتم تشوتسكي بصوتٍ خافتٍ: «بحق اللعنة».

وانطلق نحو الممر، راقبته وهو يخرُج من البوابة ويُشير إلى سيارة تورس كستنائية اللون كانت متوقِّفة بشكلٍ عرضي بجوار نخلة، حدَّقت بي ديبس كما لو كان هذا كُله خطئي، وشاهد كلانا تشوتسكي وهو يلوِّح بيده نحو نافذة السائق، التي بدأت تهبط لتكشف -بالطبع- عن الرقيب دوكس اليقظ باستمرار، انحنى تشوتسكي عبر البوابة وقال شيئًا ما إلى دوكس، الذي نظر إليّ عبر الممر، هزَّ رأسه، ثم رفع زجاج نافذته وانطلق بعيدًا.

لم يقُل تشوتسكي أي شيء عندما انضمّ إلينا مرة أخرى، لكنه نَظَر إليّ بشكلٍ مُختلفٍ قليلًا، قبل أن يصعد إلى مقعد السيارة الأمامي.

قُدنا لُمدة عشرين دقيقة جنوبًا إلى حيث يتفرَّع طريق كويل روست شرقًا وغربًا ليقطع طريق ديكسي السريع، بجانب المول التجاري، على بُعد مبنيين فقط، حيث تؤدي سلسلة من الطُرق الجانبية إلى حي هادئ خاص بالطبقة العاملة، مكوَّن في الغالِب من منازل صغيرة وأنيقة، عادةً ما تتوقَّف سيارتان في ممراتهم القصيرة، ويتناثر عدد من الدراجات عبر الباحات.

مال أحد تلك المنازل إلى اليسار، ليقود إلى طريقٍ مسدودٍ، وها هو ذا.. في نهاية الطريق، وجدنا المنزل، منزلًا من الجص الأبيض الباهِت بحديقة أمامية مليئة بالشجيرات غير المُهذَّبة، توقَّفت شاحنة رمادية مُحطَّمة في الممر، زينتها حروف حمراء داكِنة تقول (الإخوة كروز للتنظيف).

قادت ديبس سيارتها في الطريق المسدود نحو الشارِع الموجود على بُعد نصف كُتلة سكنية إلى منزل تقف أمامه وفي حديقته الأمامية نصف دزينة من السيارات، وتندلع موسيقى الراب الصاخِبة من داخله، دارت ديبس بسيارتها لتواجه هدفنا، وصفَّتها أسفل شجرة، سألت: «ماذا تعتقِد؟».

هزَّ تشوتسكي كتفيه وهو يقول: «من المُمكِن أن يكون هو، لنُراقِبه لفترةٍ».

وكانت هذه كُل مُحادثاتنا المُبهِجة التي حدثَت خلال نصف ساعة، كان الأمر بالكاد يكفي لإبقاء العقل على قيد الحياة، ووجدت نفسي مُنجرِفًا عقليًا إلى الرف الصغير الموجود في شقتي، حيث يحتوي صندوق خشبي صغير على عدد من الشرائح الزجاجية، من ذلك النوع الذي تضعه تحت عدسة الميكروسكوب، تحتوي كُل شريحة على قطرة دم

واحدة، دم مُجفَّف جيدًا بالطبع، ولو لا ذلك.. لما كانت لديّ تلك الأشياء السيئة في منزلي، أربعون نافذة صغيرة تطل على ظلي الآخر، قطرة واحِدة من كُل مُغامرة من مُغامراتي الصغيرة، أولاها كانت مُمرِّضة -منذ زمن بعيد- تقتل مرضاها بجُرعة زائدة حَذِرة، بحجة تخفيف الألم، وفي الشريحة التالية في الصندوق، مُدرّسة الصيانة للمرحلة الثانوية التي كانت تخنق المُمرضات، تبايُن رائع، وأنا أحب السخرية بالأمر.

الكثير من الذكريات، وبينما كُنت أداعِب كُل واحدة منها، كُنت أحترق شوقًا لصنع واحدة جديدة، رقم واحد وأربعين، على الرغم من أن -شريحة ماكجريجور- صاحبة الرقم أربعين بالكاد جفَّت، لكن نظرًا لأنها كانت مُرتبطة بمشروعي القادم، شعرت بأن الأمر غير مُكتمِل، وكُنت حريصًا على الاستمرار في الأمر، بمُجرَّد أن أتأكَّد من ريكير، وأجد طريقة ما..

اعتدلت، ربما أغلقت الحلوى الغنيَّة شرايين جُمجمتي، لكنني كُنت قد نسيت بشكلٍ مؤقتٍ أمر رشوة ديبرا، قُلت: «ديبرا».

نظرت إليّ وعلى وجهها عبوس صغير من أثر التفكير وهي تقول: «ماذا؟».

قُلت: «ها نحن ذا».

قالت: «دون هراء».

قُلت: «دون أي شيء على الإطلاق، بل في الواقِع.. هناك نقص حاد في الهراء، وفي الحقيقة.. هذا بفضل جهودي العقلية الجبَّارة، ألم تأتِ على ذكر بعض الأشياء التي ستُخبرينني بها؟».

نظرت نحو تشوتسكي، كان يُحدِّق للأمام مُباشرةً، لا يزال يرتدي نظارته الشمسية دون أن يرمش، قالت: «أجل، حسنًا، خَدَم دوكس في القوات الخاصة حينما كان في الجيش».

«أعرِف ذلك، كان هذا موجودًا في ملفه الشخصي».

قال كايل دون أن يتحرَّك: «ما لا تعرفه يا صديقي، أن هناك جانبًا مُظلِمًا للقوات الخاصة، كان دوكس معهم».

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه لثانيةٍ واحدةٍ، صغيرة ومُفاجئة للغاية للدرجة التي لم أكُن أتخيّلها، وهو يستكمِل: «بمُجرَّد انضمامك للجانب المُظلِم، ينتهي الأمر، لا يُمكِنك التراجُع».

راقبت تشوتسكي يجلس بلا حراك لدقيقةٍ طويلةٍ قبل أن أنظر إلى ديبس، هزَّت كتفيها وهي تقول: «كان دوكس مُطلِق نيران، ترك الجيش الرجال في السلفادور يستعيرونه، وقتل العديد من الناس».

قال تشوتسكي: «كان جاهزًا لفعل أي شيء».

قُلت: «هذا يُفسِّر شخصيته».

فكَّرت في أنه يُفسِّر الكثير كذلك، مثل صدى الصوت الذي سمعته يأتي من ناحيته عندما زأر راكبي المُظلِم.

قال تشوتسكي: «عليك أن تفهم كيف كان الأمر».

كان من الغريب سماع صوته يأتي من وجهٍ غير مُتحرِّك ولا يحمل أي عواطِف على الإطلاق، كما لو أن الصوت قادِم من جهاز تسجيل وضعه أحدهم في جسده، استكمل حديثه: «اعتقدنا أننا نُنقِذ العالم، كُنا على استعداد للتضحية بأنفسنا أو بأي أمل في أي شيء طبيعي أو لطيف من أجل القضية، قبل أن يتضِح أننا كُنا نبيع أرواحنا فحسب، أنا، دوكس، و...».

قُلت: «والدكتور دانكو».

تنهَّد تشوتسكي وهو يقول: «والدكتور دانكو».

تحرَّك أخيرًا، أدار رأسه نحو ديبرا الوهلةِ، قبل أن ينظر للأمام ثانيةً، هزَّ رأسه، وبدت تلك الحركة ضخمة ومسرحية للغاية بعد سكونه لدرجة أنني شعرت بالحاجة للتصفيق، قال: «بدأ الدكتور دانكو بداية مثالية، تمامًا مثل بقيتنا، اكتشف أثناء دراسته للطب أن هناك شيئًا مفقودًا بداخله، وأن بإمكانه فعل بعض الأشياء بالناس دون أن يشعُر بأي تعاطُف على الإطلاق، لا شيء على الإطلاق، إن الأمر أندر بكثير مما تعتقِد».

قُلت بينما كانت ديبرا تحدِّق بي: «أنا مُتأكِّد من ذلك».

استطرد تشوتسكي قائلًا: «أحب دانكو بلده، لذا تحوَّل إلى الجانب المُظلِم بدوره، عن قصد، كي يستخدِم موهبته، وفي السلفادور.. ازدهر، كان يأخذ أحد الذين أحضرناهم من أجله، و...».

توقَّف ليلتقِط نفسًا، قبل أن يزفره ببطءٍ وهو يقول: «تبًا، لقد رأيت ما يفعله».

قُلت: «أصلي للغاية، مُبدِع».

نَخَر تشوتسكي ضاحكًا ضحكةً صغيرةً دون أي حس فكاهي، هزَّ رأسه ببطءٍ يُمنةً ويسرة وهو يقول: «مُبدِع، أجل، بإمكانك أن تقول هذا، قُلت أن القيام بهذه الأشياء لا يُزعِجه، لكن في السلفادور وقع في حبها، كان يجلس في جلسة الاستجواب، ويسأل أسئلة شخصية، وعندما كان يبدأ.. كان يُنادي الشخص باسمه، وكأنه طبيب أسنان أو شيء من هذا القبيل، ويقول: لنُجرِّب الرقم خمسة، أو الرقم سبعة، أيًا كان، كما لو كانت هناك تلك الأنماط المُختلِفة».

سألته: «أي أنماط؟».

بدا الأمر وكأنه سؤال طبيعي تمامًا، يُظهِر اهتمامًا مُهذبًا، ورغبةً في استمرار المُحادثة، لكن تشوتسكي استدار في مقعده ونظر إليّ وكأنني شيء يتطلَّب زجاجة كاملة من مُنظِّف الأرضيات، قال: «هذا غريب بالنسبة لك».

قُلت: «ليس بعد».

حدَّق في وجهي لما بدا وكأنه وقت طويل للغاية؛ ثُم هزَّ رأسه ونظر للأمام مرة أخرى وهو يقول: «لا أعرف ما هو نوع تلك الأنماط يا صديقي، لم أسأل أبدًا، آسف، ربما كان شيئًا له علاقة بما سيقطعه أولًا، مُجرَّد شيء يُسلي به نفسه، وكان يتحدَّث إليهم، يناديهم بأسمائهم، يُريهم ماذا كان يفعل».

ارتجف تشوتسكي قبل أن يُضيف: «بطريقةٍ ما.. جعل هذا الأمر أسوأ، كان يجب أن ترى ما فعله بالجانب الآخر».

قالت ديبرا بصرامةٍ: «ماذا عما فعله بكَ؟».

ترك ذقنه تسقُط فوق صدره، قبل أن يعتدل مرة أخرى وهو يقول: «وهذا أيضًا، على أي حال.. في النهاية تغيَّر شيء ما في الوطن، السياسة، هناك في البنتاجون، النظام الجديد وكل ذلك، ولم يريدوا أي علاقة لهم بما كُنا نفعله هناك، لذا جاء الأمر بهدوءٍ شديدٍ أنه لربما اشترى لنا الدكتور دانكو قطعة صغيرة من التوافق السياسي إذا ما سلمناه لهم».

سألته: «وتخليَّت عن أحد رجالك ليُقتَل؟».

بالكاد بدا الأمر عادلًا، أقصد.. ربما أكون لا أهتم بالحس الأخلاقي، لكنني على الأقل ألعب وفقًا للقواعد.

ظلّ كايل صامتًا لبرهةٍ، قبل أن يقول في النهاية وهو يبتسم ابتسامة أكبر هذه المرَّة: «لقد أخبرتك من قبل أننا كُنا قد بعنا أرواحنا يا صديقي، أجل.. لقد أوقعنا به وقاموا بالقضاء عليه».

قالت ديبرا: «لكنه ليس ميتًا».

لطالما كانت عمليَّة، قال تشوتسكي: «لقد خُدِعنا، أخذه الكوبيّون».

سألته ديبرا: «كوبيّون؟ لقد قُلت السلفادور».

«في هذا الوقت.. وُجِد الكوبيّون، كلما كانت هناك مشاكِل في الأمريكتين، كانوا يدعمون أحد الطرفين، مثلما نفعل نحن مع الطرف الآخر، أرادوا الحصول على طبيبنا، سَبَق أن أخبرتك.. كان مُميَّزًا، لذلك أخذوه، حاولوا استدراجه، ثم وضعوه في جزيرة باينز».

سألته: «هل هذا مُنتَجَع؟».

أصدر تشوتسكي شخيرًا صغيرًا جرَّاء الضحك وهو يقول: «ربما كان الملاذ الأخير، جزيرة باينز هي واحدة من أصعب سجون العالم، قضى الدكتور دانكو بعض الوقت القاسي هناك، أخبروه أن الطرف الذي يُحارب من أجله قد تخلّى عنه، ثم أروه الويل، وبعد عدة سنوات.. تم القبض على أحد رجالنا، قبل أن يظهر بهذه الطريقة، دون أذرع أو أقدام، اختصارًا للأمر.. دانكو يعمل معهم، والآن..».

هزَّ كتفيه وهو يُضيف: «إما أنهم أطلقوا سراحه، أو أنه هَرِب منهم، لا يهم ما حَدَث، المُهِم أنه يعرف من أوقَع به، ولديه قائمة بهم».

سألته ديبرا: «واسمك ضمن تلك القائمة؟».

قال تشوتسكي: «ربما».

يُمكنني أن أكون عمليًا بدوري بعد كُل شيء، لذا سألته: «واسم دوكس؟».

قال مرة أخرى: «ربما».

وهو الأمر الذي لم يبدُ مُفيدًا.

بالطبع بدت كُل الأمور المُتعلِّقة بدانكو مُثيرةً للاهتمام، لكنني كُنت هنا لسببٍ، قال تشوتسكي: «على أي حال.. هذا ما نواجهه».

لم يبدُ أن لدى أي شخص الكثير ليقوله عن هذا الأمر، بما في ذلك أنا، تدبّرت في الأمور التي سمعتها قليلًا، باحثًا عن طريقة لجعلها تُساعدني في غزو دوكس، عليّ أن أعترِف أنني لم أجد شيئًا في الوقت الحالي، والذي كان مُزعجًا، لكن يبدو أنني أحظى بفهمٍ أكبرٍ للدكتور دانكو العزيز، إذا كان فارغًا من الداخل بدوره، أليس كذلك؟ ذئب في ثوب حمل، كما أنه وجد طريقة بدوره لاستخدام موهبته من أجل الصالِح العام، مثل ديكستر العزيز القديم مرةً أخرى، لكنه الآن كان قد خَرَج عن القضبان، وبدأ يبدو كأنه مُجرَّد مُفترس آخر، بغض النَظَر عن الاتجاه المُزعِج الذي أجبرته تقنيته على أن يسلكه.

والغريب في الأمر.. ومع تلك البصيرة.. شقَّت فكرة أخرى طريقها إلى عقل ديكستر المُظلِم الذي يعمل بقوةٍ كمرجل يغلي، كانت مُجرَّد خاطرة عابرة قبل ذلك.. لكنها الآن تبدو فكرة جيدة للغاية، لماذا لا أجد الدكتور دانكو بنفسي، لأرقص معه رقصة مُظلمة؟ كان مُفترسًا ضلّ طريقه، مثل بقية الموجودين على قائمتي، ولا أحد -ولا حتى دوكس- يُمكن أن يعترض على زواله، وإذا كُنت قد فكَّرت عرضًا بشأن إيجاد الدكتور من قبل، فالآن.. عليّ اتخاذ إجراءات ضرورية كافية لأتخلَّص من إحباطي بشأن فقدان أثر ريكير، إذًا فإنه مثلي.. أليس

كذلك؟ سنرى بشأن هذا، نبضة من شيء بارد تسلَّقت عمودي الفقري صعودًا ووجدت نفسي أتطلَّع للقاء الدكتور ومُناقشة عمله بعُمق.

من بعيد.. سمعت هزيم الرعد الأول مع اقتراب عاصفة بعد الظهيرة، قال تشوتسكي: «تبًا، هل ستُمطِر؟».

قُلت: «كُل يوم في نفس هذا الوقت».

قال: «هذا ليس جيدًا، علينا أن نفعل شيئًا قبل أن تُمطِر، إنه دورك يا ديكستر».

قُلت: «أنا؟».

أفقت من تأملاتي في سوء المُمارسة الطبية للدكتور المُنشَق، كُنت قد تكيَّفت مع فكرة الذهاب في هذه الرحلة، لكن أن أضطر حقًا للقيام بشيءٍ ما.. كان هذا أكثر بقليلٍ مما توقعته، أعني.. أن لدينا هنا زوجًا من المُحاربين المُتمرسين يجلسان مكتوفي الأيدي، بينما سنُرسِل ديكستر المُرهَف ذا الغمّازات إلى الخطر؟ أين المنطق في ذلك؟

قال تشوتسكي: «أنت، أحتاج للتراجع قليلًا لأرى ماذا سيحدُث، إذا ما كان هو.. فبإمكاني القضاء عليه بشكلٍ أفضل، بينما ديبي..».

ابتسم إليها، رغم أنها بدت تنظر له بعبوسٍ وهو يُضيف: «ديبي شُرطيَّة أكثر من اللازِم، تمشي مثل شُرطيّة، تُحدِّق مثل شُرطيّة، وقد تحاول أن تكتب له مُخالفة، سيُميزها من على بُعد ميل، لذا هذا دورك يا ديكس..».

سألته: «دوري لأفعل ماذا؟».

وعليّ أن أعترِف أنني كُنت أشعر ببعض السخط.

قال: «ما عليك سوى المشي حول المنزل مرةً واحدةً، حول الطريق الأمامي وتعود، أبقِ أذنيك وعينيك مفتوحتين، ولا تكُن واضحًا للغاية».

قُلت: «لا أعرف كيف أكون واضحًا».

«عظيم، إذًا من المُفترض بهذا أن يكون سهلًا».

كان من الواضِح أن لا المنطِق ولا الغضب المُبرَّر تمامًا سيُفيدانني، لذا فتحت الباب وخَرَجت، لكنني لم أستطع منع نفسي من التصريح بتعليقٍ أخيرٍ، انحنيت على نافذة ديبرا لأقول: «أتمنى أن أعيش لأندم على ذلك».

ومما لا شك فيه أنني سمعت هزيم الرعد يدوي مرة أخرى من مكانٍ قريبٍ.

مشيت على الرصيف باتجاه المنزل، كانت هناك أوراق أشجار تحت قدمي، عبوتان من علب العصير المهروسة الساقطة من صندوق غداء طفل ما، اندفعت قطة خارج الأجمة العشبية أثناء مروري، وجلست فجأة لتلعق مخالبها وتُحدّق فيّ من مسافةٍ آمنةٍ.

تغيَّرَت الموسيقى في المنزل الذي تصطف كُل السيارات أمامه وصرخ شخص ما من الداخل: «واو!».

كان من اللطيف معرفة أن هناك من كان يقضي وقتًا مُمتعًا بينما كُنت أسير نحو خطر مُميت.

استدرت يسارًا وبدأت أسير حول الطريق الأمامي المُنحني، ألقيت نظرة خاطفة على المنزل وعلى الشاحنة المُصطفَّة أمامه، شعرت بالفخر الشديد نحو الطريقة غير الواضحة تمامًا التي ألقيتها بها، كان

العشب أشعث، وكان هناك العديد من الصُحف المُبلَّلة في الممر، ولم يكُن هناك أي كومة مرئية من أجزاء الجسد المُقطَّعة، لم يهرع أحدهم للخارج ليحاول قتلي، لكن عندما مررت بجوار المنزل كان بإمكاني سماع برنامج ألعاب باللغة الإسبانية يعمل بصوتٍ عالٍ على التلفاز، ارتفع صوت ذكوري فوق صوت المُذيع الهيستيري قبل أن يتهشَّم طبق، وهبَّت الرياح لتحمل أولى قطرات المطر الكبيرة والقاسية، كما حملت معها رائحة أمونيا قادمة من المنزل.

عبرت المنزل وعُدت إلى السيارة، تساقطت بضع قطرات أخرى من المطر، ودوى هزيم الرعد، لكن الأمطار لم تكُن قد هطلت بغزارةٍ بعد، صعدت إلى السيارة وأنا أقول: «لا شيء شريرًا بشكلٍ رهيبٍ، يحتاج العشب إلى الجز، وهناك رائحة أمونيا، أصوات داخل المنزل، فإما أنه يتحدَّث إلى نفسه أو أن هناك أكثر من واحد».

قال كايل: «أمونيا».

قُلت: «نعم، أعتقِد ذلك، على الأرجَح بفعل مواد التنظيف».

هزَّ كايل رأسه وهو يقول: «لا تتطلَّب خدمات التنظيف استخدام الأمونيا، الرائحة قوية للغاية، أنا أعرف من الذي يستخدم الأمونيا».

سألته ديبرا: «من؟».

ابتسم لها وهو يهبط من السيارة قائلًا: «سأعود حالًا».

قالت ديبرا: «كايل!».

لكنه لوَّح لها بيده وهو يتجه نحو باب المنزل الأمامي، تمتمت ديبرا وهو يطرق الباب: «تبًا».

طفق ينتظر وهو يتأمل السحب السوداء الخاصّة بالعاصفة القادمة، فُتِح الباب الأمامي، مدّ رجل قصير مُمتلئ الجسد ذو بشرة داكِنة وشعر أسود يسقط على جبهته رأسه للخارج، قال تشوتسكي شيئًا ما له، ولدقيقةٍ.. وقف كلاهما دون حراك، نظر الرجل القصير إلى الشارع، ثم إلى كايل، الذي أخرج يده ببطءٍ في جيبه ليريه شيئًا ما.. مال؟ نظر الرجل إليها قبل أن ينظر لتشوتسكي ثانيةً، قبل أن يفتح الباب على مصراعيه، دخل تشوتسكي للمنزل، قبل أن يُغلَق الباب.

قالت ديبرا وهي تقضم أظافرها: «تبًا».

وهي عادة لم أرها منذ كانت مُراهِقة، وعلى ما يبدو.. كان مذاقها طيبًا، لأنها عندما انتهت من واحد.. بدأت في الآخر، كانت تقضم أظفرها الثالث عندما فُتِحَ باب المنزل الصغير وخرج تشوتسكي مُبتسمًا وهو يلوِّح، أُغلِق الباب وهو يختفي خلف جدار من الماء حيث انفتحت الغيوم على مصاريعها أخيرًا، جاء يركض عبر الطريق نحو السيارة ورَكِب في المقعد الأمامي وهو مُبلَّل.

قال: «اللعنة! أنا مُبلَّل تمامًا!».

سألته ديبرا: «ماذا حدث للتو بحق اللعنة؟».

رفع تشوتسكي حاجبًا وهو ينظر نحوي قبل أن يزيح شعره عن جبهته وهو يقول: «ألا تتحدَّث بلباقةٍ أبدًا؟».

قالت: «اللعنة يا كايل».

قال: «رائحة الأمونيا، لا تُستخدم في العمليات الجراحية، ولا يستخدمها أي طاقم تنظيف تجاري».

قالت ديبرا: «لقد فعلنا ذلك بالفعل».

ابتسم وهو يقول: «لكن الأمونيا تستخدم في طبخ الميثامفيتامين، وهو ما تبيَّن أن هؤلاء يفعلونه».

سألته ديب: «هل دخلت لتوّك إلى مطبخ ميث؟ ماذا فعلت هناك بحق الجحيم؟».

ابتسم وهو يُخرج كيسًا من جيبه قائلًا: «ابتعت أونصة من الميث».

الفصل الثالث عشر

لم تتحدَّث ديبرا لعشر دقائق تقريبًا، قادت السيارة وهي تُحدِّق للأمام وفمها مُطبَق فحسب، كان بإمكاني رؤية العضلات تتقلَّص على جانب وجهها وصولًا إلى كتفيها، ولأنني أعرفها جيدًا.. كُنت مُتأكِّدًا تمامًا أن انفجارًا كان على وشك الحدوث، ولكن بما أنني لم أكُن أعرِف شيئًا تقريبًا عن الطريقة التي تتصرَّف بها ديبس الغارقة في الحُب، لم يكُن بإمكاني تقدير وقت حدوث هذا، جلس هدف الانفجار الوشيك -تشوتسكي- بجانبها على المقعد الأمامي، صامتًا بنفس القدر، لكنه بدا سعيدًا للغاية بالجلوس صامتًا والنظر إلى المشهَد.

كُنا على وشك الوصول إلى العنوان الثاني، وعندما كُنا نسير في ظل جبل تراشمور انفجَرَت ديبرا أخيرًا.

قالت وهي تضرب عجلة القيادة براحة يدها للتأكيد على غضبها: «اللعنة، هذا غير قانوني!».

نظر لها تشوتسكي بلُطفٍ وهو يقول: «أجل، أعرِف هذا».

قالت ديبرا: «أنا شُرطيَّة لعينة أقسمت على تطبيق القانون! لقد أخذت قسمًا على وقف ذلك النوع من الهراء.. وأنت!».

توقفت قليلًا، فقال بهدوء: «كان عليّ أن أتأكَّد، بدت هذه وكأنها أفضل طريقة».

قالت: «يجب عليّ أن أضع الأصفاد في يديكَ».

قال: «يبدو هذا مُمتعًا».

«يا ابن العاهرة».

«على الأقل..».

«لن أعبر إلى جانبك المُظلِم اللعين!».

قال: «لا، لن تفعلي، لن أسمَح لكِ يا ديبرا».

زفرت بشدةٍ وهي تلتفِت لتنظُر له، بادلها النظر، لم أر مُحادثة صامتة من قبل، وكانت هذه المُحادثة سريعة، انتقلت عيناها بقلقٍ من الجانب الأيسر من وجهه وصولًا للجانب الأيمن ثم إلى الأيسر ثانيةً، وبادلها النظر ببساطةٍ، هادئًا دون أن يرمش، كانت رائعة وفاتنة ومُثيرة للاهتمام تقريبًا بنفس الدرجة مثل حقيقة أن ديبس نَسيت أنها تقود السيارة.

قُلت: «أكره المُقاطَعَة، لكنني أعتقِد أن هناك شاحنة بيرة أمامنا مُباشرةً».

عادت برأسها للأمام وهي تقوم بالفرملة، في الوقت المُناسِب تمامًا لتجنُّب تحويلنا إلى مُلصَق على مُمتَص صدمات شاحنة تحمل حمولة من بيرة ميلر لايت، وهي تقول: «سأقوم بتبليغ النائِب العام عن ذلك العنوان.. غدًا».

قال تشوتسكي: «حسنًا».

«وستقوم بالتخلُّص من ذلك الكيس».

بدا مُتفاجئًا بعض الشيء وهو يقول: «لقد كلفني ذلك ألفي دولار».

كرَّرت قولها: «وستقوم بالتخلُّص من ذلك الكيس».

قال: «حسنًا».

عادا لتبادل النظر ثانيةً، وتركاني لأراقِب شاحنات البيرة المُميتة، ومع ذلك.. كان من الرائع رؤية كُل شيء مُستقرًا واستعادة انسجام الكون كي نتمكَّن من المضي قدمًا في العثور على وحش الأسبوع القاسي البشع، مؤمنين بمعرفة أن الحب سيسود دومًا، ولذلك كان من دواعي سرورنا أن نتجوَّل على جنوب طريق ديكسي السريع عبر نهاية العاصِفة المُمطِرة، وبينما تنقشِع الغيوم لتخرج الشمس من أسرها، اتجهنا إلى طريق قادنا إلى سلسلة ملتوية من الشوارع، وكُل ذلك مع إطلالة رائعة على كومة القمامة العملاقة المعروفة باسم جبل تراشمور.

كان المنزل الذي نبحث عنه في وسط ما بدا وكأنه آخر صف من المنازِل قبل أن تنتهي الحضارة وتسود القمامة، كان عند مُنعطَف طريق دائري، مررنا بجواره مرتين قبل أن نتأكَّد من أننا وجدناه، كان مسكنًا متواضعًا من ذلك النوع الخاضع للرهن العقاري ومكوَّنًا من ثلاث غُرف نوم، مطليًا بلونٍ أصفر باهِتٍ مُقلَّم بخطوطٍ بيضاء، وتمّ جزّ العُشب بدقةٍ شديدةٍ، لم يكُن بإمكاننا رؤية أي سيارة سواء في الممر أو في المرأب، تم تغطية لافتة (معروض للبيع) الموجودة في الباحة الأمامية بعلامة تقول (تم البيع!) بأحرفٍ حمراء زاهيةٍ.

قالت ديبرا: «ربما لم ينتقِل بعد».

قال تشوتسكي: «يجب أن يكون في مكانٍ ما».

كان من الصعب الجدال مع منطقه، استكمل حديثه قائلًا: «ففي بجانب الطريق، هل لديكِ لوح كتابة؟».

أوقفت ديبرا السيارة عابسة وهي تقول: «تحت المقعد، أحتاجه لأعمالي الورقية».

قال وهو يمد يده تحت المقعد لثانيةٍ قبل أن يسحبها مُمسِكًا بلوح كتابة معدني عادي مُثبَّتًا به العديد من الأوراق الرسمية: «لن ألطِخه».

قبل أن يُضيف: «مُمتاز، أعطيني قلمًا».

سألته وهي تُعطيه قلم حبر جاف أبيض رخيصًا له غطاء أزرق: «ماذا ستفعل؟».

قال تشوتسكي بابتسامةٍ: «لا يوقف أحد رجلًا بلوح كتابة أبدًا».

وقبل أن يتمكَّن أينا من قول أي شيء، كان خارج السيارة ويسير في الممر القصير بخطى بيروقراطيةٍ ثابتةٍ متوسطة السُرعة، توقَّف في مُنتصف الطريق ونَظَر إلى لوح الكتابة، قلَّب بضع صفحات وهو يقرأ شيئًا ما، قبل أن ينظُر إلى المنزل وهو يهز رأسه.

قُلت لديبرا: «يبدو جيدًا للغاية في ذلك النوع من الأشياء».

قالت: «من الأفضل له أن يكون جيدًا لعينًا».

قبل أن تقضم أظفرًا آخر، وقَلِقت من أنها ستنتهي منهم قريبًا.

أكمل تشوتسكي سيره في الممر، مُطالِعًا لوح كتابته، يبدو وكأنه غير مُدرِك لكونه يتسبَّب في نقصٍ حادٍ في الأظافِر في السيارة الموجودة من خلفه، بدا طبيعيًا وغير مُتسرِع، وكان من الواضِح أنه يتمتَّع بخبرةٍ كبيرةٍ إما في الغش أو الخِداع، اعتمادًا على الكلمة الأنسَب لوصف الأذى المُصرَّح به رسميًا، تاركًا ديبس تقضم أظافرها وتكاد تصطدِم بشاحِنات البيرة، ربما لم يكُن لديه تأثير جيد عليها في النهاية، على الرغم من أنه كان من الجيد أن يكون لعبوسها وللكدمات الناتِجة عن لكماتها البشِعة في الذراع هدف آخر، لطالما كُنت على استعدادٍ للسماح لشخصٍ آخر بتلقي الكدمات لفترةٍ من الوقت.

توقَّف تشوتسكي خارج الباب الأمامي، كتب شيئًا ما، وبعد ذلك.. على الرغم من أنني لم أر كيف فعلها، فتح الباب الأمامي ودَخل، وأغلق الباب من خلفه.

قالت ديبرا: «اللعنة، اقتحام ودخول مُمتلكات الغير، سيطلُب مني خطف طائرة بعد ذلك».

قُلت في تفاؤل: «لطالما أردت رؤية هافانا».

فقالت باقتضابٍ: «دقيقتان.. ثم سأطلب الدعم، وأدخُل خلفه».

بالحُكم على الطريقة التي كانت ترتجِف بها يدها وهي تمدها نحو اللا سلكي، فقد مرَّت دقيقة واحدة وتسع وخمسون ثانية قبل أن يُفتَح الباب الأمامي ويخرُج منه تشوتسكي، توقَّف في الممر، كَتَب شيئًا ما في لوح الكتابة، وعاد إلى السيارة.

قال وهو يركَب في المقعد الأمامي: «حسنًا، لنعد إلى المنزل».

سألته ديبرا: «هل كان المنزل خاليًا؟».

قال: «في مُنتهى النظافة، لا توجد به منشفة أو حتى علبة حساء مُعلَّب في أي مكان».

قالت وهي تُشغِّل المُحرِّك: «والآن.. ماذا سنفعل؟».

هزَّ رأسه وهو يقول: «سنعود للخطة «أ»».

سألته: «وما هي الخطة «أ» بحق الجحيم؟».

قال: «الصبر».

وعلى الرغم من تناول وجبة غداء لذيذة والقيام برحلة تسوُّق صغيرة بعد ذلك، فإننا عُدنا للانتظار، مرّ أسبوع حتى الآن بالطريقة المثالية المُمِلّة، لا يبدو أن الرقيب دوكس سيستسلِم قبل أن يكتمِل تحوّلي

إلى حُلية من حلى الكنبة ذات بطن مُمتلئ بالبيرة، لم أتمكَّن من إيجاد أي شيء آخر لأفعله باستثناء لعب الغميضة والرجل المشنوق مع كودي واستور، وتمثيل قُبلات وداع مسرحية فظيعة مع ريتا من أجل مُتعقبي.

ثم جاء رنين الهاتِف في مُنتصف الليل، كانت ليلة الأحد، واضطررت للذهاب إلى العمل في وقتٍ مُبكّرٍ من اليوم التالي، كان لدينا أنا وفينس ماسوكا اتفاق، وكان دوري في شراء الكعك المحلى، والآن.. ها هو الهاتف.. يرن بوقاحةٍ وكأنه ليس لديّ ما يهمني في هذا العالم، وكأن الكعك المُحلى سيشتري نفسه، نظرت للساعة الموجودة على المنضدة المجاورة، كانت 2:38 صباحًا، عليّ أن أعترِف أنني كُنت غريب الأطوار إلى حدٍ ما عندما رفعت السماعة وقُلت: «اتركني لشأني».

قالت ديبرا: «كايل اختفى يا ديكستر».

بدت مُتعَبة للغاية، متوتِّرة تمامًا، وغير مُتأكِّدة مما إذا كانت تريد إطلاق النار على شخصٍ ما أو البُكاء.

استغرقني الأمر لحظة فحسب ليبدأ عقلي القوي في العمل، قُلت: «حسنًا يا ديب، مع رجل من هذا القبيل.. ربما من الأفضل لكِ أن...».

قالت: «لقد اختفى يا ديكستر، اختطِفَ، الـ.. أخذه الرجل، الرجل الذي فعل ذلك الشيء لذلك الرجل».

وعلى الرغم من أنني شعرت فجأة وكأنني داخل حلقة من حلقات مُسلسل (The Sopranos) فإنني فَهِمت ما تعنيه، أيًا كان من حوَّل ذلك الشيء الذي كان موجودًا على الطاولة إلى حبة بطاطس صارِخة فقد اختطَف كايل، وعلى الأرجَح سيفعل به شيئًا مُشابهًا لذلك.

قُلت: «أجل، دكتور دانكو».

قبل أن أسألها: «كيف علمتِ بذلك؟».

قالت: «قال أن ذلك يُمكِن أن يحدُث، كايل هو الوحيد الذي يعرِف كيف يبدو الرجل، قال أن دانكو عندما سيكتشِف أن كايل هنا، سيقوم بمحاولة، كانت لدينا.. إشارة مُتفق عليها.. و.. اللعنة يا ديكستر، تعال إلى هنا فحسب، علينا أن نجده».

قبل أن تُنهي المُكالمة.

دائمًا ما أكون أنا، أليس كذلك؟ أنا لست شخصًا لطيفًا جدًّا حقًّا، لكن لسببٍ ما.. دائمًا ما يأتون إليّ لحل مشاكلهم، أوه يا ديكستر، وحش قاس همجي اختطَف حبيبي! حسنًا.. اللعنة، أنا وحش قاس همجي بدوري، ألا يجعلني هذا أستحق بعض الراحة؟

تنهّدت، على ما يبدو.. لا.

أتمنى أن يُقدِّر فينس أمر الكعك المُحلى.

الفصل الرابع عشر

كانت رحلة طولها خمس عشرة دقيقة وصولًا لمنزل ديبرا من حيث أعيش، ولمرةٍ.. لم أرَ الرقيب دوكس يتبعني، لكن ربما كان يستخدِم عباءة الإخفاء، على أي حال.. كان الزحام المروري قليلًا جدًا، حتى أنني قرَّرت أن أسلك الطريق السريع رقم 1، تعيش ديبرا في منزلٍ صغيرٍ في مادينا بكورال جابلز، مُزدحِم ببعض أشجار الفاكهة المُهمَلة وجدار من الصخور المرجانيَّة المُتهالِكة، أوقفت سيارتي بجوار سيارتها في الممر القصير، وكُنت على بُعد خطوتين فحسب عندما فتحت ديبرا بابها الأمامي.

قالت: «أين كُنت؟».

قُلت: «ذهبت لدرس اليوجا، ثُم عرجت على المركز التجاري لأبتاع الأحذية».

في الواقِع.. لقد هرعت إلى هنا، وصلت بعد أقل من عشرين دقيقة من مُكالمتها، وكُنت مُنزعِجًا بعض الشيء من النهج الذي تتبعه.

قالت وهي تتلفَّت في الظلام، مُمسكةً بالباب كما لو كانت تظنه سيطير بعيدًا: «ادخُل إلى هنا».

قُلت وأنا أدخُل: «حسنًا جلالتكِ».

تم تزيين منزل ديبرا الصغير ببذخٍ على الأسلوب المُعاصِر (لا -أملك- حياة)، بشكلٍ عامٍ.. بدت غُرفة معيشتها وكأنها غُرفة فندق رخيصة احتلّتها فرقة روك ونُهِبَت من كُل شيء عدا التلفاز وجهاز الفيديو، كان هناك مقعد ومنضدة صغيرة بجوار الأبواب الفرنسية التي تُفضي إلى فناء كاد يضيع وسط شجيرات مُتشابِكة، وجدت مقعدًا آخر في مكانٍ ما، كان مقعدًا مُتهالكًا قابلًا للطي، جذبته إلى جوار المنضدة من أجلي، تأثّرت كثيرًا بإيماءتها المضيافة لدرجة أنني خاطرت بحياتي وسلامة أطرافي وجلست على الشيء المُتهالِك، وأنا أقول: «حسنًا، منذ متى اختفى؟».

قالت: «اللعنة، منذ حوالي ثلاث ساعات ونصف».

هزَّت رأسها وهي تسقط في المقعد الآخر قبل أن تستكمل حديثها: «كان من المُفترض بنا أن نتقابَل هنا، و.. لم يحضر، ذهبت إلى فندقه، ولم يكُن هناك».

سألتها: «أوليس من المُمكِن أن يكون قد ذهب إلى مكانٍ ما فحسب؟».

لست فخورًا بذلك، لكن عليّ أن أعترف أنني بدوت مُتفائلا بعض الشيء، هزَّت ديبرا رأسها وهي تقول: «كانت محفظته ومفاتيحه لا تزال فوق الخزانة، لقد خطفه الرجل يا ديكس، علينا أن نجده قبل أن..».

عضَّت على شفتها وهي تُشيح بنظرها بعيدًا.

لم أكُن مُتأكّدًا على الإطلاق مما يُمكنني فعله من أجل العثور على كايل، فكما قُلت، لم يكُن هذا الشيء من نوع الأشياء التي أتمتَّع بالبصيرة بها، وقد سبق أن أعطيته أفضل ما لديّ في تعقُّب العقارات، لكن بما أن ديبرا كانت تتحدَّث بصيغة الجمع بالفعل، فلم يبدُ أن لديّ الكثير

من الخيارات بهذا الشأن، بسبب الروابِط الأسريَّة وما إلى ذلك، ورغم ذلك.. حاولت القيام بمناورةٍ صغيرةٍ، قُلت: «أنا آسف إن بدا هذا غبيًا يا ديبس، لكن هل بلغتِ عن الأمر؟». مكتبة .. سُر مَن قرأ

نظرت للأعلى بزمجرةٍ صغيرةٍ وهي تقول: «نعم، لقد فعلت، اتصلت بالنقيب ماثيوس، بدا مرتاحًا، وطلب مني ألا أصاب بالهستيريا، كما لو أنني سيدة عجوز مُصابة بالخرف».

هزَّت رأسها قبل أن تُضيف: «طلبت منه إصدار نشرة لكُل الوحدات، وقال: بأي شأن؟».

همست من بين أنفاسها: «بأي شأن.. اللعنة يا ديكستر، أردت أن أخنقه، لكن...».

قُلت: «لكنه كان مُحقًا».

قالت: «أجل، كايل هو الوحيد الذي يعرف كيف يبدو الرجل، لا نعرِف نوع السيارة التي يقودها، أو ما هو اسمه الحقيقي، أو.. اللعنة يا ديكستر، كُل ما أعرفه أنه قام باختطاف كايل».

تنفَّست بعُمقٍ وهي تُضيف: «على أي حال.. اتصل ماثيوس بأصدقاء كايل في واشنطن، قال أن هذا كُل ما يُمكِنه فعله».

هزَّت رأسها وبدت كئيبة للغاية وهي تنهي حديثها قائلةً: «سيرسلون شخصًا ما يوم الثلاثاء صباحًا».

قُلت مُتفائلًا: «حسنًا إذًا.. أعني.. نعلم أن هذا الرجل يعمَل ببطءٍ شديدٍ».

قالت: «صباح الثُلاثاء، بعد يومين تقريبًا، أين تعتقِد أنه سيبدأ يا ديكس؟ هل سيبتر قدمًا أولًا؟ أم ذراعًا؟ أم تُراه سيبتر كليهما في نفس الوقت؟».

قُلت: «لا، واحدًا في المرة».

رمقتني بنظرةٍ حادةٍ، فأضفت: «حسنًا، يبدو هذا منطقيًا، أليس كذلك؟».

قالت: «ليس بالنسبة لي، لا يبدو أي من ذلك منطقيًا».

«ديبرا، بتر الذراعين والقدمين ليس ما يريد هذا الرجل فعله، إنه فقط وسيلته لفعل ذلك».

«اللعنة يا ديكستر، تحدَّث بكلامٍ مفهومٍ».

«ما يُريد فعله هو أن يدمِّر ضحاياه تمامًا، أن يحطِّمهم من الداخل ومن الخارج، أن يُصيبهم بضررٍ غير قابل للإصلاح، أن يحوِّلهم إلى أكياس قُماشية موسيقية لن تحصل على أي شيء أبدًا باستثناء رعب مجنون لا نهاية له، بتر الأطراف والشفاه ليس سوى الوسيلة التي يـ.. ما الأمر؟».

قالت ديبرا: «بحق السماء يا ديكستر».

التوى وجهها بطريقةٍ لم أرها منذ وفاة والدتنا، أشاحَت بوجهها، وبدأ كتفاها يرتجفان، جعلني هذا أشعر بقليلٍ من عدم الارتياح، أقصد.. لا أشعر بالعواطِف، وأعلم أن ديبرا تفعل هذا كثيرًا، لكنها ليست من النوع الذي يظهر ذلك، إلا إذا كان الغضب عاطِفة، كانت الآن تُصدِر أصوات نحيب رطِبَة، وعَلِمت أنه على الأرجَح يجب عليّ أن أربت على كتفها وأن أقول: رويدكِ، أو شيئًا ما بنفس القدر من العُمق والإنسانية، لكنني لم أستطِع إجبار نفسي على فعل ذلك، هذه ديب، شقيقتي، ستعرِف أنني أزيِّف الأمر، وسـ...

ماذا ستفعل؟ ستبتر قدميّ وذراعيّ؟ أسوأ ما يُمكِن أن تفعله هو أن تخبرني أن أتوقَّف عن ذلك، وستعود لتكون الرقيب غضبان مرة أخرى، وحتى هذا سيكون تحسُّنًا كبيرًا على ذبولها الواضِح، على أي حال.. كان من الواضِح أن هذا أحد تلك الأوقات التي تتطلَّب استجابة بشريَّة، وبما أنني عَرِفت بعد دراسة طويلة ما سيفعله أي إنسان، قُمت بفعله، وقفت ومشيت نحوها، وضعت يدي على كتفها، ربتُّ عليها، وقُلت: «حسنًا يا ديب، رويدكِ قليلًا».

بدا الأمر أكثر غباءً مما كُنت أخشى، لكنها انحنت نحوي وشهقت، لذا افترضت أن هذا كان الشيء الصحيح الذي يجب فعله بعد كُل شيء.

سألتني: «هل يُمكنك الوقوع في حُب شخص ما خلال أسبوع؟».

قُلت: «لا أعتقِد أن بإمكاني فعل ذلك على الإطلاق».

قالت: «لا أستطيع تحمُّل ذلك يا ديكستر، إذا قُتِلَ كايل، أو تحوَّل إلى.. يا إلهي، فلا أعرِف ماذا سأفعل».

وانهارت عليّ مرة أخرى وهي تبكي، فقُلت: «رويدكِ قليلًا».

شهقت شهقة طويلة وقوية، قبل أن تنفخ أنفها في منديل ورقي كان على المنضدة الموجودة بجوارها، قبل أن تقول: «أتمنى لو توقّفت عن قول ذلك».

قُلت: «أنا آسف، لا أعرِف ماذا أقول لكِ غير ذلك».

«أخبرني ما الذي ينوي هذا الرجل فعله، أخبرني كيف أجده».

استندت بظهري إلى المقعد الصغير المُتهالِك وأنا أقول: «لا أعتقِد أن بإمكاني هذا يا ديبس، ليس لديّ الكثير من الإحساس بما سيفعله».

قالت: «هراء».

«بل أنا جاد، أقصد.. من الناحية الفنيّة.. لم يقتل أي شخص بعد كما تعرفين».

قالت: «أنت بالفعل تفهم هذا الرجل أكثر من كايل يا ديكستر، وهو يعرف من هو، علينا أن نجده، علينا أن نـ..».

عضَّت شفتها السُفلى، كُنت أخشى أن تبدأ بالنحيب ثانيةً، وهو الأمر الذي كان سيجعلني عاجزًا تمامًا لأنها أخبرتني بالفعل أنه ليس بإمكاني أن أقول: رويدكِ قليلًا ثانيةً، لكنها استجمعت قواها ثانيةً مثل شقيقتي الرقيبة القويَّة التي كانت عليها، ونفخت أنفها مرة أخرى.

«سأحاوِل يا ديب، هل يُمكنني أن أفترِض أنكِ وكايل أنجزتما كُل الأعمال الأساسية؟ تحدّثتما إلى الشهود وما إلى ذلك؟».

هزَّت رأسها وهي تقول: «لم نحتج إلى ذلك، كايل عَرِفَ..».

توقَّفت بعدما نطقت بذلك الفعل الماضي، قبل أن تستكمِل بصرامةٍ: «كايل يعرِف من فعل ذلك، ويعرِف من يجب أن يكون التالي».

«معذرةً.. يعرِف من التالي؟».

عبسَت ديبرا وهي تقول: «لا يبدو الأمر كذلك، قال كايل أن هناك أربعة رجال في ميامي مدرجون في القائمة، أحدهم مفقود، اكتشف كايل أنه تم اختطافه بالفعل، لكن ذلك أعطانا القليل من الوقت لنضع الثلاثة الباقين تحت المُراقبة».

«من هؤلاء الأربعة يا ديبرا؟ وهل كان كايل يعرفهم؟».

تنهَّدت وهي تقول: «لم يُخبرني كايل بأسمائهم، لكنهم كانوا جميعًا جزءًا من فريقٍ ما، في السلفادور، مع ذلك.. الدكتور دانكو، لذا..».

بسطت يدها وبدت عاجِزة، وهو ما كان جديدًا عليها، وعلى الرغم من أن هذا مدَّها بسحرٍ خلابٍ لفتاةٍ صغيرةٍ، فإن الشيء الوحيد الذي فعله لي كان أن جعلني أشعر بمزيدٍ من العبء، العالم بأسره يدور بمرحٍ، ويورِّط نفسه في أكثر المُشكِلات فظاعةً، وبعد ذلك.. يعود الأمر برمَّته إلى ديكستر المُغامِر لوضع الأمور في نصابِها الصحيح مرة أخرى، لا يبدو هذا عادلًا، لكن ماذا بإمكاني أن أفعل؟

والأهم من ذلك.. ماذا بإمكاني أن أفعل الآن؟ لم أجِد أي طريقة للعثور على كايل قبل فوات الأوان، وعلى الرغم من كوني مُتأكِّدًا تمامًا من عدم بوحي بهذا بصوتٍ عالٍ، فإن ديبرا تصرَّفَت كما لو أنني فعلت، ضربت المنضدة بإحدى يديها وهي تقول: «علينا أن نجده قبل أن يبدأ مع كايل، قبل أن يبدأ حتى يا ديكستر، لأنني.. أعني.. هل من المُفترض أن آمل أن يفقد كايل ذراعًا فحسب قبل أن نصل إلى هناك؟ أو قدمًا؟ وفي كلتا الحالتين.. كايل..».

أشاحَت بوجهها قبل أن تُكمِل حديثها، حملقت في الظلام عبر الأبواب الفرنسيّة المجاورة للمنضدة الصغيرة، بالطبع كانت مُحقَّة، بدا أنه لم يكُن هناك الكثير لنفعله لإعادة كايل غير مُصاب بالأذى، لأنه مع كُل الحظ الموجود في العالَم، فعقلي المُبهِر لا يستطيع أن يقودنا إليه قبل أن يشرع بالعمل، وحينئذ.. إلى متى سيصمُد كايل؟ من المُفترض أنه حَصَلَ على نوع من التدريب للتعامُل مع هذا النوع من الأشياء، وكان يعرف ماذا سيحدُث، لذلك..

لكن انتظر لحظة، أغلقت عينيّ وحاولت التفكير في الأمر، سيعرِف الدكتور دانكو أن كايل محُترف، وكما سَبَق لي أن أخبرت ديبرا، فإن الهدف من الأمر برمته هو تحطيم الضحية إلى قطع صراخ غير قابلة للإصلاح، وبالتالي..

فتحت عينيّ وقُلت: «ديب..».

نظرت نحوي وأنا أستكمِل: «أنا في موقفٍ نادرٍ لأنني أمتلك القليل من الأمل لأقدِّمه».

قالت: «بُح بالأمر».

قُلت: «هذا مجُرَّد تخمين، لكنني أعتقِد أن الدكتور المخبول سيُبقي على كايل لفترةٍ من الوقت، دون أن يعمل عليه».

عبست وهي تسألني: «ولماذا سيفعل ذلك؟».

«لجعله يبقى لفترةٍ أطول، لتليينه، كايل يعرف ما هو آتٍ، ومُستعِد له، لكن الآن.. تخيَّلي أنه قد تُرك ملقيًا في الظلام، مُقيَّدًا، لتعمل مُخيّلته، ولهذا أظن أنه ربما.. هناك ضحية أخرى ستسبِقه، الرجل المفقود، سيسمعها كايل، المناشير والمشارِط، الأنَّات والهمسات، حتى أنه سيشم الرائحة، سيعرف أن دوره قادِم، لكنه لن يعرف متى، سيشرف على الجنون قبل أن يفقد أظفر قدم».

قالت: «يا إلهي، هل هذه هي نُسختك من الأمل؟».

«بالطبع، هذا يمدنا بالقليل من الوقت الإضافي للعثور عليه».

قالت مرة أخرى: «يا إلهي».

قُلت: «يُمكن أن أكون مُخطئًا».

نظرت عبر النافذة وهي تقول: «لا تُخطئ هذه المرة يا ديكستر».

هززت رأسي، كان هذا عملًا شاقًا للغاية، ولن يكون مُمتعًا على الإطلاق، لم يكُن بوسعي سوى التفكير في أمرين فحسب لأجربهما، ولم يكُن أيهما مُمكِنًا حتى الصباح، تلفّت حولي بحثًا عن ساعة، وفقًا لجهاز الفيديو، فالساعة كانت 12:00، 12:00، 12:00، سألتها: «هل لديكِ ساعة؟».

عبست ديبرا وهي تقول: «لماذا تحتاج ساعة؟».

قُلت: «لمعرفة الوقت، أعتقِد أن هذه هي فائدتها المُعتادة».

سألتني: «وما الفرق الذي سيُحدثه هذا بحق الجحيم؟».

«ديبرا، هناك القليل جدًّا للاستمرار هنا، سيتعيَّن علينا العودة للقيام بكُل الأمور الروتينية التي أبعد تشوتسكي القسم عن القيام بها، ولحُسن الحظ.. يُمكِننا استخدام شارتك للتجوُّل وطرح الأسئلة، لكن سيتحتَّم علينا الانتظار حتى الصباح».

قالت: «اللعنة، أنا أكره الانتظار».

قُلت: «رويدكِ قليلًا».

حدجتني ديبرا بنظرةٍ حادةٍ للغاية، لكنها لم تقُل شيئًا.

لم أكُن أحب الانتظار بدوري، لكنني انتظرت كثيرًا في الآونة الأخيرة لدرجة أنه ربما أضحى أسهل بالنسبة لي، على أي حال.. انتظرنا، غفونا في مقاعدنا حتى أشرقت الشمس، وبعد ذلك.. نظرًا لأنني كُنت رب منزل في الآونة الأخيرة، صنعت القهوة لكلينا، فنجانًا واحدًا في المرة، بما أن ماكينة صُنع القهوة الخاصّة بديبرا كانت واحدة من تلك الماكينات التي تصنع كوبًا واحدًا في المرة، والمصنوعة من أجل هؤلاء الذين لا يتوقعون أن يحصلوا على كثيرٍ من المُتعة أو الذين لا يملكون حياة، لم يكُن هناك أي

شيء صالح للأكل في الثلاجة، إلا إذا كُنت كلبًا وحشيًا، وهو ما كان مُخيبًا للآمال: ديكستر شاب بصحةٍ جيدةٍ وشهيةٍ مفتوحةٍ، ولم تكُن مواجهة ما كان من المؤكَّد أنه سيكون يومًا صعبًا بمعدةٍ فارغةٍ فكرة سعيدة، أعلم أن العائلة تأتي أولًا، لكن ألا يعني هذا أنها تأتي بعد الإفطار؟

حسنًا.. سيقوم ديكستر الشجاع بالتضحية مرة أخرى، بروحٍ نبيلةٍ للغاية، ودون أن أتوقَّع شكرًا، لكن على المرء القيام بما ينبغي فعله.

الفصل الخامس عشر

كان الطبيب مارك سبيلمان رجلًا ضخمًا يبدو وكأنه لاعب دفاع مُتقاعِد أكثر من طبيب طوارئ، لكنه كان الطبيب المناوِب عندما نقلت سيارة الإسعاف الشيء إلى مُستشفى جاكسون التذكاري، ولم يكُن سعيدًا بذلك على الإطلاق، قال لنا: «إذا تحتَّم عليّ أن أرى شيئًا كهذا مرة أخرى، فسأتقاعَد وأربي كلاب الداشهند[1]».

هزَّ رأسه قبل أن يُضيف: «أنتم تعرفون كيف تبدو غُرفة الطوارئ في مُستشفى جاكسون، واحدة من أكثرهم ازدحامًا على الإطلاق، تأتي كُل الأمور الغريبة إلى هنا، من واحدة من أكثر مُدن العالم جنونًا، لكن هذا..».

طرق سبيلمان مرتين على المنضدة الموجودة في غُرفة الموظفين الخضراء حيث جلسنا فيها معه وهو يقول: «كان أمرًا مُختلِفًا».

سألته ديبرا: «ما هو التشخيص؟».

نَظَر إليها بحدةٍ وهو يقول: «هل هذه مزحة؟ لا يوجد تشخيص، ولن يوجد واحد أبدًا، جسديًا.. لم يتبقَ ما يكفي لفعل أي شيء سوى الحفاظ على حياته، إذا أردتما تسميتها بذلك، أما عقليًا؟».

(1) كلاب الداشهند: سلالة من الكلاب تتميَّز بأنها قصيرة الأرجل وطويلة الجسم.

رفع كلتا قبضتيه قبل أن يهبط بهما على المنضدة وهو يُضيف: «أنا لست طبيبًا نفسيًا، لكن لم يتبقَ أي شيء هناك ومن المُستحيل تمامًا حصوله على لحظة واحدة واضِحة مرة أخرى، الأمل الوحيد لديه هو أن نبقيه مُخدَّرًا للدرجة التي لا تجعله يعرِف هويته، حتى يموت، وهو الأمر الذي نأمَل جميعًا لصالحه أن يحدُث قريبًا».

نظر إلى ساعته، رولكس لطيفة للغاية، قبل أن يقول: «هل سيستغرِق هذا وقتًا طويلًا؟ أنا أعمل كما تعرفان».

سألته ديبرا: «هل كانت هناك آثار لأي نوع من المُخدرات في الدم؟».

نَخَر سبيلمان وهو يقول: «آثار، تبًا، كان دم هذا الرجل عبارة عن خليط، لم أر مثل هذا المزيج من قبل، كُلها مُصمَّمة لإبقائه مُستيقظًا، لكنها تقضي على الألم الجسدي كيلا تقتله صدمة عمليات البتر المُتعدِّدة».

سألته: «هل كان هناك أي شيء غير اعتيادي بشأن تلك العمليات؟».

قال سبيلمان: «لقد تلقى هذا الرجل تدريبًا، لقد تمّ إجراؤها جميعًا بتقنية جراحية جيدة للغاية، لكن بإمكان أي كُلية طب في العالم أن تُعلِّمه ذلك».

زفر بشدةٍ قبل أن تمُر ابتسامة اعتذار على وجهه سريعًا وهو يضيف: «بعضها كان قد شفي بالفعل».

سألته ديبرا: «ما هو الإطار الزمني الذي يخبرنا به ذلك؟».

رفع سبيلمان كتفيه وهو يقول: «من أربع إلى ستة أسابيع، من البداية إلى النهاية، لقد استغرَق ما لا يقل عن شهر ليبتر أطراف هذا الرجل، قطعة صغيرة في المرة، لا أستطيع أن أتخيَّل أمرًا أكثر فظاعةً».

قُلت وأنا أحاول أن أكون مُفيدًا كعادتي: «لقد فعل ذلك أمام المرآة، ليُجبِر الضحية على المُشاهدة».

بدا سبيلمان مرعوبًا وهو يقول: «يا إلهي!».

جلس دون حِراك لدقيقةٍ قبل أن يقول: «يا إلهي!».

هزَّ رأسه قبل أن ينظر لساعته الرولكس ثانيةً، فرد يديه قبل أن يهبط بهما على المنضدة مرة أخرى وهو يقول: «اسمعا، أود مُساعدتكما هنا حقًا، لكن هذا.. لا أعتقد حقًا أن هناك أي شيء يُمكِنني إخباركما به ليفيدكما بأي شيء، دعوني أوفر عليكما بعض الوقت هنا، هذا السيد.. تشيزني؟».

قالت ديبرا: «تشوتسكي».

رفع حاجبه وزمَّ شفتيه وهو يقول: «أجل، هذا هو، اتصَل واقترح أنه ربما عليّ أن أحصل على بطاقة هويّة من خلال فحص الشبكية عبر قاعدة بيانات مُعيَّنة في فيرجينيا، على أي حال.. وصلني الفاكس بالأمس، مع تأكيد إيجابي بهوية الضحية، سآتي بها لكما».

وَقَفَ واختفى عبر القاعة، ثم عاد بعد دقيقة وهو يُمسِك بقطعةٍ من الورق، وضعها أمام ديبرا وهو يقول: «ها هي، اسمه مانويل بورخيس، مواطِن من السلفادور، يعمل في الاستيراد، أعلم أنه ليس بالكثير، لكن صدقاني.. هذا كُل شيء، وبهيئته الحالية.. لا أعتقِد أننا سنحصُل منه على هذا القدر».

تمتم مُكبِر صوت داخلي مُعلَّق بالسقف بشيء ما ربما أتوا به من برنامج تليفزيوني، رَفَع سبيلمان رأسه وعَبَس، قبل أن يقول: «عليّ أن أذهَب، آمل أن تمسكا به».

خرج من الغُرفة مُتجِهًا نحو الممر بسُرعة كبيرة لدرجة أن ورقة الفاكس التي كان قد وضعها على المنضدة.. اهتزَّت.

نظرت إلى ديبرا، التي لم تبدُ مُتحمّسة أبدًا بحصولنا على اسم الضحية، قُلت: «حسنًا، أعلم أنه ليس الكثير».

هزَّت رأسها، قبل أن تقول: «ليس كثيرًا بما يكفي ليُصبِح تطوّرًا كبيرًا، هذا لا شيء».

نظرت للفاكس، قرأته سريعًا وهي تقول: «السلفادور، مُتصِل بشيءٍ ما يُدعى (الحافة)».

قُلت: «هذا جانبنا».

نظرت لي، فوضّحت: «الجانب الذي دعمته الولايات المُتحدَة، بحثت عنه عبر الإنترنت».

«رائع، إذًا اكتشفنا شيئًا نعرفه بالفعل».

نهضت وتوجَّهَت إلى الباب، بالطبع ليس بنفس سُرعة دكتور سبيلمان، لكنها كانت سريعة بما فيه الكفاية كي أضطر إلى الإسراع، ولم أتمكَّن من اللحاق بها حتى كانت عند باب ساحة انتظار السيارات.

قادت ديبرا السيارة على طول الطريق نحو المنزل الصغير الموجود في شمال غرب الشارع الرابع حيث بدأ كُل شيء بسُرعةٍ وصمتٍ، كان فكها مُطبَقًا، اختفى الشريط الأصفر بالطبع، لكن ديبرا صفَّت سيارتها بشكلٍ عشوائي على أي حال، شُرطية مثالية، خرجت من السيارة، تبعتها في الممر القصير المؤدي إلى المنزل المجاوِر للمنزل الذي وجدنا فيه الحاجِز البشري، قرعت ديبرا الجرس دون أن تتكلَّم، وبعد دقيقةٍ.. فُتِح الباب، خرج رجل في مُنتصف العُمر يرتدي نظّارة بإطارٍ ذهبي وقميص مكسيكي بني اللون، ونظر لنا مُتسائلًا.

قالت ديبرا وهي تُشهِر شارتها: «نحتاج للتحدُّث مع آرييل ميدينا».

قال الرجل: «أمي تستريح في الوقت الحالي».

قالت ديبرا: «الأمر عاجِل».

نظر إليها، ثم إليّ قبل أن يقول وهو يُغلِق الباب: «لحظة واحِدة».

حدَّقت ديبرا مُباشرةً في الباب، راقبتها وعضلات فكها تتشنَّج لدقيقتين قبل أن يفتح الرجل الباب مرة أخرى وهو يقول: «تفضلا بالدخول».

تبعناه إلى غُرفةٍ مُظلمةٍ صغيرة مُزدحِمة بالعشرات من الطاولات الصغيرة، كانت جميعها مُزيَّنة بمقالات دينية وصور مؤطَّرة، جلست آرييل، السيدة العجوز التي اكتشفت الشيء الذي كان في البيت المجاور وبَكَت على كتف ديبرا، على أريكة كبيرة ووثيرة مُزيَّنة بمفارش على ذراعيها وظهرها، قالت عندما رأت ديبرا: «آآآآآه».

ووقفت لتحتضنها، وقفت ديبرا التي كان يجب عليها أن تتوقَّع حضنًا من سيدة كوبية عجوز بحرجٍ لدقيقةٍ قبل أن تحتضنها بدورها بشكلٍ مُرتبكٍ وهي تربت عدة مرات على ظهر العجوز، ابتعدت ديبرا بمُجرَّد أن تمكَّنت من ذلك، عادت آرييل للجلوس وهي تربت على الوسادة الموجودة بجوارها، حيث جلست ديبرا.

بدأت العجوز من توها في حديث سريع للغاية باللغة الإسبانية، أتحدَّث بعض الإسبانية، وفي كثير من الأحيان أتمكَّن من فهم الكوبية كذلك، لكنني كُنت أتلقى كلمة واحدة فقط من كُل عشر كلمات من ثرثرة آرييل، نظرت ديبرا لي دون حول ولا قوة، مهما كانت الأسباب الخيالية التي دفعتها لذلك.. اختارت أن تدرس الفرنسية في المدرسة، كانت تشعر بالقلق من كون المرأة ربما تتحدَّث باللُغة الأترورية[1] القديمة.

---

(1) أترورِيا: عادةً ما يُشار إليها في النصوص اليونانية واللاتينية بتيرانيا، وكانت منطقة في وسط إيطاليا.

قُلت بالإسبانية: «من فضلِك يا سيدتي، أختي لا تتحدَّث الإسبانية».

نظرت آرييل إلى ديبرا وقد خفت حماسها وهي تقول: «حقًا؟ لازارو!».

تقدَّم ابنها للأمام، استأنفت حديثها المسرحي بقليلٍ من الصمت، وبدأ بالترجمة من أجلها: «أتيت إلى هنا من سانتياجو دي كوبا في عام 1962، رأيت بعض الأشياء الفظيعة تحت حُكم الرئيس الكوبي باتيستا، اختفى الناس، قبل أن يأتي كاسترو، ولبعض الوقت.. كان لديّ أمل».

هزَّت رأسها وبسطت يديها وهي تقول: «صدقوا أو لا تصدقوا، لكن هذا ما فكَّرنا به في ذلك الوقت، ستختلِف الأمور، لكن سُرعان ما عادت الأمور لسابِقها مرة أخرى، بل وأسوأ، لذلك أتيت إلى هنا، إلى الولايات المُتحدة، لأنه هنا.. لا يختفي الناس، لا تُطلق النار على الناس في الشوارع، ولا يعذِّبون، هذا ما اعتقدته، والآن.. هذا».

لوَّحت بيدها نحو المنزل المجاور، قالت ديبرا: «أحتاج أن أسألكِ بعض الأسئلة».

ترجم لها لازارو فأومأت آرييل ببساطةٍ، وأكملت قصتها المُثيرة قائلةً: «حتى مع كاسترو، لم يفعلوا أبدًا شيئًا من هذا القبيل، صحيح أنهم يقتلون الناس، أو يضعونهم في سجن جزيرة باينز، لكنهم لم يفعلوا شيئًا مثل هذا أبدًا، ليس في كوبا، بل في أمريكا فحسب».

قاطعتها ديبرا قائلة: «هل رأيتِ الرجل الذي يسكُن المنزل المجاور من قبل؟ الرجل الذي فَعَل ذلك؟ أريد أن أعرِف، سيكون هناك واحد آخر إذا لم نتمكَّن من إيجاده».

حدَّقت بها آرييل قبل أن تقول عبر ابنها: «لماذا تسألينني هذا السؤال؟ هذا ليس عملكِ، امرأة جميلة مثلك، يجب عليها أن تحصل على زوج، على عائلة».

قُلت بالإسبانية: «الضحية القادمة هو حبيب شقيقتي».

حدقَّت بي ديبرا، بينما قالت آرييل: «آااااه».

طقطقت بلسانها وهي تومئ برأسها قائلةً: «حسنًا، أنا لا أعرف بماذا أخبركِ، لقد رأيت الرجل، ربما مرتين».

هزَّت كتفيها فمالت ديبرا للأمام في نفاد صبر، استكملت حديثها: «دائمًا في الليل، وعن بُعد، لكن بإمكاني القول أنه رجل صغير، قصير للغاية، ونحيف كذلك، يرتدي نظارات كبيرة، أكبر من تلك، لا أعرف، لم يخرُج أبدًا، كان هادئًا للغاية، وأحيانًا كُنا نسمع موسيقى».

ابتسمت قليلًا وهي تُضيف: «تيتو بوينتي».

وكرَّر لازارو الاسم كصدى الصوت دون داعٍ: «تيتو بوينتي».

قُلت: «من شأن هذا أن يُخفي الضوضاء».

نظروا لي جميعًا، فشعرت بقليلٍ من الإحراج بسبب كُل هذا الانتباه، سألتها ديبرا: «هل كان لديه سيارة؟».

عبست آرييل وهي تُجيب: «شاحنة، كان يقود شاحنة قديمة بيضاء دون نوافذ، كانت نظيفة للغاية، لكن بها العديد من بُقع الصدأ والخدوش، رأيتها مرات قليلة، لكنه دائمًا ما كان يبقيها في المرأب».

سألتها: «لا أفترض أنكِ قد رأيتِ لوحة الترخيص؟».

نظرت لي، قبل أن تقول عبر ابنها: «بل فعلت».

رفعت إحدى يديها للأعلى مبسوطة الكف وهي تقول: «عدم الحصول على الرقم، هذا يحدُث في الأفلام القديمة فحسب، لكنني أعلم أنها لوحة ترخيص خاصة بفلوريدا، صفراء اللون وعليها رسم كارتوني لطفل صغير».

توقَّفت عن الحديث وهي تحدِّق بي، لأنني كُنت أضحَك، لم يكُن أمرًا لائقًا على الإطلاق، وبكُل تأكيد لم يكُن شيئًا أمارسه بانتظام، لكنني كُنت أضحك بالفعل، ولم أستطع منع نفسي، حدَّقت بي ديبرا بدورها وهي تسأل: «ما هو الأمر المُضحِك اللعين؟».

قُلت: «لوحة الترخيص، أنا آسف يا ديبس، لكن يا إلهي، ألا تعرفين ما هي لوحات فلوريدا الصفراء؟ والتي يملك هذا الرجل واحدةً منهم، ويفعل ما يفعله..».

ابتلعت ريقي بصعوبةٍ لأمنع نفسي من الضحك مرةً أخرى، لكن الأمر تطلَّب مني الكثير من ضبط النفس.

«حسنًا، اللعنة على ذلك، ما هو المُضحِك بشأن لوحة الترخيص الصفراء؟».

قُلت: «إنها لوحة خاصة يا ديب، تلك التي تقول: اختر الحياة».

وبعد ذلك.. تخيَّلت الدكتور دانكو وهو يتجوَّل حول ضحاياه الملتويين، يملأهم بالمواد الكيميائية، ويبتر أطرافهم بحرصٍ بالغٍ كي يُبقيهم على قيد الحياة خلال الأمر كُله، خشيت أن أضحك مرة أخرى وأنا أقول: «اختر الحياة».

أريد أن أقابِل هذا الرجل حقًا.

عُدنا إلى السيارة في صمتٍ، ركبت ديبرا قبل أن تُبلِّغ النقيب ماثيوس بمواصفات الشاحنة، ووافَق على أنه ربما كان بإمكانه الآن أن يُطلِق نشرة لكُل الوحدات، تلفَّت من حولي بينما كانَت تتحدَّث إلى النقيب، كانت الحدائق مُشذَّبة بعنايةٍ، أغلبها مُزيَّن بصخورٍ ملوَّنةٍ، بينما قُيِّدَ عدد صغير من دراجات الأطفال بسلاسل معدنية في الحدائق الأمامية، ولاح طبق برتقالي في الخلفية، حي صغير لطيف للعيش فيه، أو للعمل به، أو لتربية أسرة فيه، أو لبتر ذراعي وقدمي شخص ما.

قالت ديبرا لتُقاطِع تأملاتي الريفية: «اركَب».

دخلت السيارة فانطلقَت، وعندما توقَّفنا في إحدى الإشارات الحمراء، نظرت لي ديب وهي تقول: «اخترت وقتًا غريبًا لتبدأ بالضحك».

قُلت: «حقا يا ديب، هذا هو أول تلميح نحصُل عليه عن شخصية الرجل، نعلم أن لديه حسًا فكاهيًا، أعتقِد أن هذا تقدُّم هائل».

«بالتأكيد، ربما أمكننا الإمساك به في نادٍ للكوميديا».

قُلت: «سنُمسِك به يا ديب».

وعلى الرغم من أن كلينا لم يُصدّقني، فإنها نخرت فحسب، تغيَّر الضوء، فضغطت على دواسة الوقود كما لو كانت تقتل ثعبانًا سامًا.

تحرَّكنا عبر الزحام المروري وصولًا إلى منزل ديب، كانت ساعة الذروة الصباحيّة قد اقترَبَت من نهايتها، اندفعت سيارة على الرصيف لتصطدم بعمود إنارة أمام الكنيسة الموجودة عند زاوية شارع فلاجَر والشارع الرابع والثلاثين، وقف شُرطي بجانب السيارة بين رجلين يصرخان على بعضهما البعض، بينما جلسَت فتاة صغيرة على الرصيف وهي تبكي، إيقاع فتَّان ليومٍ ساحرٍ آخر في الجنة.

وصلنا بعد دقائق قليلة، صفَّت ديبرا سيارتها بجوار سيارتي في الممر، أطفأت مُحرّكها، ولدقيقةٍ.. جلس كلانا صامتًا ونحن نسمع دقّات مُحرِّك التبريد، قبل أن تقول: «تبًا».

«أتفِق».

سألتني: «ماذا سنفعل الآن؟».

قُلت: «سننام، أنا مُتعَب للغاية على أن أستطيع التفكير».

ضربت عجلة القيادة بكلتا يديها وهي تقول: «وكيف سيُمكنني النوم يا ديكستر؟ وأنا أعلم أن كايل..».

ضربت عجلة القيادة مرة أخرى وهي تقول: «تبًا».

«ستظهَر الشاحنة يا ديب، أنتِ تعلمين هذا، ستلفظ قاعدة البيانات كُل شاحنة بيضاء بلوحة مكتوب عليها: اختر الحياة، ومع إطلاق نشرة لكُل الوحدات.. أضحى هذا مسألة وقت فحسب».

قالت: «لا يملك كايل الوقت».

قُلت: «يحتاج البشر للنوم يا ديبس، وكذلك أنا».

صرَخَت إطارات شاحنة توصيل عند الركن قبل أن تتوقَّف أمام منزل ديبرا، هبط سائقها وهو يُمسِك بيده طردًا صغيرًا واقترب من باب ديب الأمامي، قالت مرة أخرى: «تبًا».

قبل أن تهبط من السيارة لتُحضِر الطرد، أغلقت عينيّ وجلست لدقيقةٍ أخرى، أتأمّل.. وهو ما أفعله بدلًا من التفكير عندما أكون مُرهقًا للغاية، بدا الأمر حقًا وكأنه جهد مهدور، لم أفكِّر سوى في تساؤلي عن أين تركت حذاء الركض خاصتي، ولأن حس الدعابة عندي على ما يبدو ما زال خامًلا.. فقد وجدت هذا مُضحِكًا، ولدهشتي العظيمة..

سمعت صدى صوت ضحكة خافتة للغاية من الراكِب المُظلِم، سألته: **لماذا وجدت هذا مُضحكًا؟ هل لأنني تركت الحذاء في منزل ريتا؟** بالطبع.. لم يُجبني، ربما كان الشيء المسكين لا يزال عابسًا، ورغم ذلك.. استمرّ في الضحك، سألته: **هل يبدو شيء آخر مُضحكًا؟** ومرة أخرى.. لم يُجبني؛ مُجرَّد شعور خافِت بالترقُّب والجوع.

استدار الساعي ورحل بعيدًا، تمامًا عندما كُنت على وشك التثاؤب، والتمطُّط، عليّ أن أعترِف أن قواي العقلية المضبوطة بدقةٍ لم تكُن تعمل، سمعت نوعًا من الأنين الذي قد يُطلقه شخص على وشك التقيؤ، فتحت عينيّ ونظرت لأرى ديبرا تترنَّح خطوة للأمام قبل أن تجلس بعُنفٍ على سلمها الأمامي، خرجت من السيارة وهرعت إليها وأنا أقول: «ما الأمر يا ديب؟».

ألقت بالطرد ودفنت وجهها بين كفيها وهي تُطلِق المزيد من الأصوات غير المُعتادة، جلست بجوارها والتقطت الطرد، كان طردًا صغيرًا، وبداخله كيس مُحكَم الإغلاق، وبداخل هذا الكيس.. كان هناك أصبع بشري.

أصبع مزيّن بخاتم خنصر كبير وردي اللون.

الفصل السادس عشر

تطلَّب الأمر ما هو أكثر من الربت على كتف ديبرا وقول: رويدكِ قليلًا من أجل تهدئتها هذه المرة، في الواقِع تحتَّم علي أن أجبرها على تجرُّع كوب كبير من مشروب البراندي بالنعناع، كُنت أعلَم أنها بحاجةٍ إلى نوع من المُساعدة الكيميائية للاسترخاء أو حتى النوم إن أمكَن، لكن ديبس لم تتناوَل يومًا دواءً أقوى من مُسكِّن التايلينول، ولم تكُن تشرَب، عثرت أخيرًا على زجاجة المشروب تحت حوض مطبخها، وبعد التأكُّد من أنها لا تحتوي على منظفٍ للمصرَف، أجبرتها على أن تشرب كوبًا منها، وبالحُكم على طعمها.. فربما كانت مُنظفًا للمصرف كذلك.

كانت ترتجِف وتحاول التقيؤ لكنها شربتها، كانت أضعف وأكثر خدرًا من أن تقاوم.

وبينما هي مُستلقيَّة على مقعدها، ألقيت بضع قطع من ملابسها في حقيبة تسوُّق، وحملتها متوجّهًا نحو الباب الأمامي، نظرت للحقيبة قبل أن تنظر لي وهي تقول بلعثمةٍ ودون أن تهتَم بالإجابة: «ماذا تفعل؟».

قُلت: «ستقيمين معي لعدة أيام».

قالت: «لا أرغَب في ذلك».

قُلت: «لا يهم، عليكِ القيام بذلك».

مكتبة
t.me/soramnqraa

عادت بناظرها إلى حقيبة الملابس المجاورة للباب وهي تقول: «لماذا؟».

مشيت نحوها قبل أن أجلس القرفصاء بجوار مقعدها وأنا أقول: «إنه يعرف من تكونين وأين تسكنين يا ديبرا، دعينا نحاول أن نجعل هذا أكثر صعوبةً بالنسبة له.. حسنًا؟».

ارتجفَت مرةً أخرى، لكنها لم تقُل شيئًا بينما ساعدتها في الوقوف على قدميها والخروج عبر الباب، بعد نصف ساعة وكوب آخر من المشروب كانت نائمة في فراشي، تشخُر بصوتٍ خافتٍ، تركت لها مُلاحظة أن تتصل بي عندما تستيقظ، قبل أن آخذ طردها المفاجئ الصغير وأتوجَّه إلى العمل.

لم أتوقَّع أن أجد أي أدلة مُهِمَّة عبر إجراء فحص معملي على الأصبع، لكن نظرًا لأنني أعمل بالطب الشرعي من أجل كسب لقمة عيشي، فبدا الأمر وكأنني يجب أن أسمع رأي محترف آخر في الحقيقة، ولأنني آخُذ جميع التزاماتي على محمل الجد، توقَّفت في الطريق لشراء الكعك المحلى، وبينما أقترِب من مكاتِب الطابِق الثاني، ظَهَر فينس ماسوكا عبر الممر في الاتجاه المُقابِل، رفعت الحقيبة وانحنيت تبجيلًا وأنا أقول: «مولاي.. لقد أحضرت لك هدية».

قال: «مرحبًا أيها الجندب، هناك شيء ما يُسمى الوقت، عليكَ أن تستكشِف أسراره».

رَفَع معصمه وأشار إلى ساعته قائلًا: «أنا في طريقي لتناول طعام الغداء، وها أنت ذا تجلب لي إفطاري الآن؟».

قُلت: «أن تأتي مُتأخِّرًا أفضل من ألا تأتي أبدًا».

هزَّ رأسه وهو يقول: «لا، لقد تغيَّرَت بعض التروس داخل فمي بالفعل، أنا الآن ذاهِب لآتي ببعض من الروبا فييخا[1] والموز».

قُلت: «إذا رفضت هديتي من الطعام، فسأعطيك الأصبع».

رفع حاجبه، فسلَّمته طرد ديب وأنا أضيف: «هل يُمكنني الحصول على نصف ساعة من وقتك قبل أن تذهب لتناول الغداء؟».

نَظَر إلى الصندوق الصغير وهو يقول: «لا أظن أنني سأرغَب في فتح هذا على معدة فارِغة، أليس كذلك؟».

«حسنًا إذًا.. ماذا عن كعكة مُحلّاة؟».

استغرَق الأمر أكثر من نصف ساعة، لكن بحلول الوقت الذي غادَر فيه فينس لتناول الغداء، علِمنا أنه لا يوجد أي شيء لنعرِفه من خلال أصبع كايل، كان البتر نظيفًا واحترافيًا للغاية، وتمَّ باستخدام أداة حادة للغاية لم تترك أي أثر في الجرح، لم يكُن هناك شيء تحت الظفر باستثناء القليل من الأوساخ التي يُمكِن أن تأتي من أي مكان، أزلت الخاتِم، لكننا لم نجد أي خيوط أو شعيرات أو أنسِجة، وبطريقةٍ ما.. فشل كايل في نقش عنوان أو رقم هاتِف على الخاتِم من الداخل، كانت فصيلة دم كايل هي (AB+).

وضعت الأصبع في وحدة تبريد، ووضعت الخاتِم في جيبي، لم يكُن ذلك إجراءً صحيحًا تمامًا، لكنني كُنت مُتأكِّدًا أن ديبرا ستريده في حال لم نستعِد كايل.. في حالته الطبيعية، بدا الأمر وكأننا إذا ما استعدناه، فسنستعيده عن طريق الطرود.. قطعة واحدة في كُل مرة، أنا لست شخصًا عاطفيًا بالطبع، لكن لا يبدو هذا الأمر وكأنه سيثلِج قلبها.

(1) روبا فييخا: أحد الأطباق الوطنية في كوبا، ويُصنَع بشكلٍ أساسي من لحم البقر.

كُنت مُتعَبًا جدًا حقًا، وبما أن ديبرا لم تتصل بي بعد، فقد قرَّرت أن من ضمن حقوقي التوجُّه إلى المنزل لأخذ قيلولة، بدأت أمطار بعد الظُهر بمُجرَّد أن ركبت سيارتي، انطلقت في طريق لوجين مُباشرةً وسط الزحام المروري الخفيف نسبيًا، عُدت إلى المنزل بينما لم يصرخ أحدهم عليّ سوى مرة واحدة، وهو ما يُعَد رقمًا قياسيًا جديدًا، شققت طريقي وسط المطر لأكتشِف رحيل ديبرا، كانت قد كتبت لي مُلاحظة تقول أنها ستُحدّثني لاحقًا، شعرت بالارتياح.. لأنني لم أكُن أتطلَّع للنوم على أريكتي الضيقة، استلقيت في فراشي ونمت دون انقطاع إلى ما بعد السادسة مساءً بقليل.

بطبيعة الحال.. حتى جسدي الذي كان كالآلة القوية يحتاج إلى قدر مُعيَّن من الصيانة، وعندما جلست في فراشي شعرت كأنني بحاجةٍ ماسةٍ لتغيير زيت، ليلةٍ طويلةٍ ونومٍ قليلٍ، دون إفطار، توتُّر وقلق في محاولة التفكير في شيء باستثناء: رويدكِ قليلًا لأقوله لديبرا.. تركت كُل تلك الأمور أثرها، شعرت كما لو أن شخصًا ما قد تسلَّل إلى الداخل ليحشو رأسي برمال الشاطئ، بما في ذلك أغطية الزجاجات وأعقاب السجائر.

ولا يوجد سوى حل واحد فقط لهذه الحالة العرضية، ألا وهو التمرين، لكن عندما قرَّرت أن ما أحتاجه حقًا هو الركض لمسافة ميلين أو ثلاثة، تذكَّرت مرةً أخرى أنني قد وضعت حذائي في غير مكانه الصحيح، لم يكُن في مكانه المُعتاد بجوار الباب، ولم يكُن في سيارتي، كانت هذه هي ميامي، لذلك كان من المُمكِن أن يكون أحدهم قد اقتحَم شقتي وسرقه، فبعد كُل شيء.. كان زوجًا لطيفًا من أحذية (New Balance)، لكنني أعتقد أنه من الأرجَح أنني تركته في منزل ريتا، بالنسبة لي.. القرار هو الفعل، لذا ركبت سيارتي متوجِّهًا إلى منزل ريتا.

انتهى المطر منذ وقت طويل، نادرًا ما استمرّ في الهطول لأكثر من ساعة واحدة، وكانت الشوارع جافة بالفعل ومليئة بالحشود التوّاقة للقتل المُعتادة، قومي، ظهرت السيارة التورس كستنائية اللون خلفي عند غروب الشمس، وبقي معي طوال الطريق، كان من اللطيف رؤية دوكس يعود إلى العمل، كُنت قد شعرت بالإهمال قليلًا، صفّ سيارته عبر الشارِع مرةً أخرى وأنا أطرق الباب، أوقف محرِّكه عن العمل عندما فَتَحَت ريتا الباب وهي تقول: «حسنًا.. يا لها من مُفاجأة».

رفعت وجهها لتحصل على قُبلة، أعطيتها واحدةً، جعلتها أكثر إثارةً قليلًا للترفيه عن الرقيب دوكس، قُلت: «لا توجد طريقة سهلة لقول الأمر، لكنني أتيت من أجل حذاء الجري الخاص بي».

ابتسمت ريتا وهي تفتح الباب على مصراعيه قائلةً: «في الحقيقة.. لقد ارتديت حذائي للتو، هل تريد أن نتعرَّق معًا؟».

قُلت: «هذه هي أفضل دعوة تلقيتها طوال اليوم».

وجدت حذائي في مرأبها بجوار آلة الغسيل، مع سروال قصير وقميص دون أكمام، مغسولين وجاهزين للارتداء، ذهبت إلى الحمَّام وبدلت ملابسي، تاركًا ملابس عملي مطويَّة بعنايةٍ على مقعد المرحاض، وفي غضون دقائق قليلة كُنا نتجوَّل أنا وريتا في الحي معًا، لوَّحت للرقيب دوكس عندما اقتربنا منه، ركضنا في الشارِع، قبل أن نتجه يمينًا بعد عدة بنايات، ثم حول محيط المُنتزه المجاوِر، كُنا قد ركضنا في هذا الطريق معًا من قبل، وكُنت قد قدرت طوله بأقل من ثلاثة أميال، كُنا مُعتادين على سُرعة بعضنا البعض، وبعد حوالي نصف ساعة، كُنا مُتعرّقين وجاهزين لمواجهة تحديات أمسية أخرى من الحياة على كوكب الأرض، وقفنا عند

الباب الأمامي لمنزل ريتا، قالت: «إذا كُنت لا تُمانِع، سأستحِم أولًا، بهذه الطريقة سيُمكنني تحضير العشاء بينما تستحِم بدورك».

قُلت: «بالطبع، سأجلس هنا لأقطّر عرقًا».

ابتسمت ريتا وقالت: «سأحضر لك بيرة».

عادت بعد دقيقة وأعطتني واحدة وذهبت قبل أن تُغلِق الباب، جلست على الدرج وشربت البيرة، مرَّت الأيام القليلة الماضية في ضبابيّة وحشيّة، وكُنت قد ابتعدت تمامًا عن حياتي الطبيعيَّة لدرجة أنني استمتعت حقًا بهذه اللحظة من التأمُّل السلمي، جالسًا بهدوء هناك وأنا أشرب البيرة بينما كان تشوتسكي يتحوَّل لقطع غيار في مكانٍ ما من المدينة، دارت الحياة من حولي بجروحها المتنوّعة، بالخنق، والتقطيع، لكن ديكستر كان في وقت بيرة ميلر الخاص به، رفعت العبوة في نخبٍ للرقيب دوكس.

سمعت جلبةً في مكانٍ ما من المنزل، كان هناك صراخ وقليل من الصياح، كما لو أن ريتا قد اكتشفت وجود فرقة البيتلز في حمَّامها، قبل أن يُفتَح الباب الأمامي لتجذبني ريتا من رقبتي بقبضةٍ خانقةٍ، أسقطت عبوة البيرة وأنا أشهق من أجل الهواء، قُلت: «ماذا؟ ماذا فعلت؟».

رأيت استور وكودي يشاهدان ما يحدُث عبر الباب، قُلت: «أنا آسف جدًا، لن يحدث هذا مرة أخرى أبدًا».

لكن ريتا استمرَّت في الضغط وهي تقول: «أوه يا ديكستر».

كانت تبكي، ابتسمت استور لي، وشبكت يديها معًا تحت ذقنها، بينما راقب كودي فحسب، وهو يومئ قليلًا، قالت ريتا مرةً أخرى: «أوه يا ديكستر».

قُلت وأنا أكافِح بشدةٍ للحصول على بعض الهواء: «أرجوكِ، أعدكِ أنه كان حادثًا، وأنني لم أقصده، ماذا فعلت؟».

رضخت ريتا أخيرًا، وخفَّفت قبضتها الُمميتة، وهي تقول مرة أخرى: «أوه يا ديكستر».

وضعت يديها على وجهي ونظرت لي بابتسامةٍ عمياء ووجه مليء بالدموع وهي تقول: «أوه! أنت!».

لأكون صريحًا لم يكُن هذا يُشبهني كثيرًا في الوقت الحالي، قالت وهي تبكي قليلًا: «أنا آسفة، كان هذا حادثًا، آمُل ألا تكون خطَّطت لشيءٍ خاصٍ حقًا».

«لو سمحتِ يا ريتا، ما الذي يحدُث؟».

اتسعت ابتسامتها أكثر وهي تقول: «أوه يا ديكستر، أنا حقًا.. كان الأمر مُجرَّد.. احتاجَت استور لاستخدام المرحاض، وعندما حملت ملابسك، سقط على الأرض، و.. أوه يا ديكستر! إنه جميل للغاية».

قالت: أوه يا ديكستر العديد من المرات لدرجة أنني شعرت بالغرابة، لكن ما زلت لا أعرِف ما الذي يحدُث.

إلى أن رفعت ريتا يدها أمامها، وفي يدها اليُسرى.. تلألأ خاتم ماسي ضخم على بنصرها.

خاتم تشوتسكي.

قالت مرة أخرى: «أوه يا ديكستر».

قبل أن تدفِن وجهها في كتفي وهي تُضيف: «أجل، أجل، أجل! لقد جعلتني في غاية السعادة!».

قال كودي بهدوء: «حسنًا».

وبعد ذلك.. ماذا يُمكِنك أن تقول باستثناء مبروك؟ مرَّت بقية الليلة في مزيجٍ غير واضِح من عدم التصديق وبيرة ميلر لايت، كُنت أعلم جيدًا أن هناك سلسلة من الكلمات المثالية، الهادئة، والمنطقية تُحلِّق في الفضاء في مكانٍ ما يُمكنني أن أعيد صياغتها لأتحدَّث إلى ريتا لأجعلها تتفهَّم أنني لم أكُن أتقدَّم لها حقًا، وسنضحَك جميعًا ونقول تصبح على خير، لكن كُلما بحثت عن تلك الجُملة السحرية المراوِغة، كلما هربت مني بشكلٍ أسرع، ووجدت نفسي أفكِّر في أن ربما عبوة أخرى من البيرة ستفتَح لي أبواب الإدراك، وبعد عدة عبوات.. ذهبت ريتا إلى المتجر القريب وعادت بزجاجة من الشمبانيا، شربنا الشمبانيا وبدا أن الجميع سُعداء للغاية، وأدى شيء إلى آخر، لينتهي بي المطاف بطريقةٍ ما في فراش ريتا مرةً أخرى، شاهدًا على بعض الأحداث غير المُحتَملة وغير المؤثّرة على الإطلاق.

ومرةً أخرى أجد نفسي أتساءل بينما أنجرِف إلى نومٍ مذهول وغير مُصدق: كيف تحدُث هذه الأشياء الفظيعة لي دومًا؟

أن تستيقظ بعد ليلة كهذه ليس أمرًا مُمتعًا أبدًا، لكن أن تستيقظ في مُنتصف الليل وتُفكِّر: يا إلهي.. ديبرا! هو أمر أسوأ، قد تعتقِد أنني كُنت مُذنبًا أو قلقًا بشأن إهمال شخص ما كان يعتمِد عليّ، وفي هذه الحالة.. ستكون مُخطئًا للغاية، فكما قُلت من قبل، أنا لا أشعر بالعواطِف حقًا، ورغم ذلك.. يمكنني أن أشعر بالخوف، وكانت فكرة غضب ديبرا المُحتمَل هي ما أثارَت مشاعري، هرعت لارتداء ملابسي ونجحت في التسلُّل إلى سيارتي دون إيقاظ أي أحد، لم يعُد الرقيب دوكس في موقعه عبر الشارِع، كان من الجيد معرفة أن حتى دوكس قد يحتاج للنوم أحيانًا، أو ربما اعتقدَ أن الشخص الذي تقدَّم للخطبة لتوه يستحِق القليل من الخصوصيّة، وبمعرفتي الجيدة له..

لم يبدُ هذا مرجحًا، سيكون من الأرجَح أن يكون قد أُنتخِبَ لمنصب البابا واضطرّ للسفر إلى الفاتيكان.

توجّهت إلى المنزل بسُرعة، وفحصت آلة الرد على المُكالمات الخاصّة بي، كانت هناك رسالة مُسجَّلة واحدة تحثّني على شراء مجموعة جديدة من الإطارات قبل فوات الأوان، والتي بدت مشؤومة بما فيه الكفاية، لكنني لم أجد رسائل من ديبس، صنعت القهوة وانتظرت صوت اصطدام جريدة الصباح ببابي، ساد الصباح شعور بعدم الواقعية سببته آثار ما بعد الثمالة بالشمبانيا، خاطِب.. حقًا؟ حسنًا، تمنيّت لو أن بإمكاني تأنيب نفسي والمُطالبة بمعرفة ما كُنت أفكّر فيه، لكن الحقيقة هي أنني -للأسف- لم أفعل أي شيء خاطئ، لقد التزمت تمامًا بالفضيلة والاجتهاد، ولم أفعل شيئًا يُمكِن وصفه بالغباء المُدقع، وبغض النظر عن ذلك.. فقد كُنت أمضي في الحياة بأسلوبٍ نبيلٍ، بل وحتى نموذجي، أهتم بشؤوني الخاصّة وأحاول مُساعدة شقيقتي في استعادة حبيبها، أمارس الرياضة، أتناول الكثير من الخضراوات، بل ومُتوقِّف عن تقطيع الوحوش الأخرى، وبطريقةٍ ما.. تسلَّل هذا السلوك الطاهر واللائق من خلفي وعضني في مؤخرتي، فكما اعتاد هاري أن يقول: لا يمُر العمل الجيد أبدًا دون عقاب.

وماذا يُمكنني أن أفعل حيال ذلك الآن؟ بالتأكيد ستعود ريتا إلى رشدها، أقصد: أنا؟ حقًا؟ من ذا الذي يرغَب في الزواج مني؟ كان لا بُد من وجود بدائل أفضل، كأن تُصبِح راهِبة، أو أن تنضم إلى قوات حفظ السلام، هذا ديكستر الذي نتحدَّث عنه، ألا يُمكنها أن تجد شخصًا يُمكِن أن يكون بشريًا على الأقل في مدينة بحجم ميامي؟ وما أمر تسرُّعها في الزواج مرة أخرى على أي حال؟ لم يسر الأمر على ما يُرام

معها في المرة الأولى، لكن يبدو أنها كانت على أهبة الاستعداد للعودة للأمر مرة أخرى، هل النساء يائسات بهذا القدر من أجل الزواج؟

بالطبع كان هناك أطفال للتفكير بشأنهم، تقضي الحكمة التقليدية بأنهم بحاجةٍ إلى أبٍ، وهذا أمر يجب أن نقرَّه، لأنه أين كُنت لأكون دون هاري؟ فقد بدا استور وكودي سعيدين للغاية، فحتى لو جعلت ريتا ترى الخطأ الكوميدي الذي قد حدث، فهل سيتفهَّم الأطفال هذا؟

كُنت أتناول فنجان قهوتي الثاني عندما وصلت الصحيفة، تصفَّحت الأقسام الرئيسية، وشعرت بالارتياح لاكتشاف أن الأشياء الرهيبة ما زالت تحدُث في كُل مكان تقريبًا، على الأقل لم يُصَب بقية العالم بالجنون بعد.

بحلول الساعة السابعة صباحًا، ظننت أنه سيكون من الآمن الاتصال بديبرا عبر هاتفها المحمول، لكنها لم تُجِب؛ فتركت لها رسالة، وبعد خمس عشرة دقيقة.. اتصلت بي، قُلت وأنا أشعر بالدهشة من الطريقة التي بدوت مُبتهجًا بها: «صباح الخير يا شقيقتي، هل حظيت بقسطٍ من النوم؟».

قالت عابسةً: «قليلًا، استيقظت حوالي الساعة الرابعة بالأمس، تعقَّبت الطرد إلى مكانٍ في هياليه[1]، قُدت السيارة في المنطقة طوال الليل بحثًا عن الشاحنة البيضاء».

قُلت: «إذا كان قد سلَّم الطرد في هياليه، فعلى الأرجَح قاد سيارته من كي ويست للقيام بذلك».

(1) هياليه: مدينة أمريكية تقع في ولاية فلوريدا.

قالت في غضبٍ: «اللعنة، أعلم ذلك، لكن ماذا كان من المُفترض بي أن أفعل بحق الجحيم؟».

اضطررت إلى الاعتراف: «لا أعرف، لكن ألن يأتي هذا الرجل من واشنطن إلى هنا اليوم؟».

قالت: «ما زلنا لا نعلم عنه أي شيء بعد، فقط لأن كايل كان جيدًا، لا يعني هذا أن هذا الرجل سيكون كذلك».

كان من الواضِح أنها لا تتذكَّر أن كايل لم يحرص على أن يبدو جيدًا أبدًا، على الأقل في العلن، بل في الواقع.. لم يفعل شيئًا على الإطلاق، باستثناء التسبُّب في القبض عليه وبتر أصبعه، لكن لم يبدُ من الصواب أن أعلِّق على مدى جودته، لذا قُلت ببساطةٍ: «حسنًا، لنفترِض أن الرجل الجديد يعرف شيئًا لا نعرفه عن الأمر».

نخرت ديبرا وهي تقول: «لن يكون هذا صعبًا، سأحدِّثك عندما يصل».

أنهت المُكالمة، فبدأت أستعد من أجل الذهاب للعمل.

الفصل السابع عشر

كانت الساعة 12:30 عندما دلفت ديبرا إلى مكتبي المتواضِع الموجود خارج مُختبر الطب الشرعي وهي تُلقي بشريط كاسيت على مكتبي، نظرت إليها؛ لم تبدُ سعيدة، لكن ذلك لم يكُن أمرًا جديدًا، قالت: «استمِع إلى هذا، من آلة تسجيل المُكالمات الموجودة في المنزل».

فتحت مُشغِّل الموسيقى المحمول الخاص بي ووضعت الشريط الذي ألقت به ديبرا بداخله، ضغطت زر التشغيل، أصدر الشريط صوتًا عاليًا، قبل أن يقول صوت غير مألوف: «الرقيب.. مورجان.. أليس كذلك؟ هذا دان بورديت، من.. قال كايل تشوتسكي أنه يجب الاتصال بكِ، لقد وصلت إلى المطار، وسأتصل بكِ بشأن الاجتماع معًا عندما أصل إلى فندقي، الذي...».

كان هناك صوت حفيف، من الواضِح أنه أبعد الهاتف المحمول عن فمه، لأن صوته بدا أضعف وهو يقول: «ماذا؟ أوه.. مرحبًا، هذا لطيف، حسنًا، شكرًا».

عاد صوته قويًا مرة أخرى وهو يُضيف: «لقد قابلت سائقكِ للتو، شكرًا على إرسال شخص ما، حسنًا، سأتصل بكِ من الفندق».

مدَّت ديبرا يدها عبر مكتبي وأطفأت الجهاز وهي تقول: «أنا لم أرسل أي شخص للمطار اللعين، وبالتأكيد لم يفعل النقيب ماثيوس هذا هو الآخر، هل أرسلت شخصًا ما إلى المطار اللعين يا ديكستر؟».

قُلت: «لقد نفد البنزين من سيارتي الليموزين».

قالت: «حسنًا إذًا.. اللعنة على ذلك».

وكان عليّ أن أتِفق مع تحليلها.

قُلت: «على أي حال.. اكتشفنا مدى جودة بديل كايل على الأقل».

انهارت ديبرا على الكُرسي القابِل للطي الموجود بجوار مكتبي وهي تقول: «عُدنا لنقطة البداية اللعينة، وكايل..».

عضَّت شفتها ولم تُنه جُملتها، سألتها: «هل أخبرتِ النقيب ماثيوس بهذا بعد؟».

هزَّت رأسها، فقُلت: «حسنًا، يجب عليه أن يتصل بهم، سيرسلون شخصًا آخر».

«بالتأكيد، هذا رائع.. سيرسلون شخصًا آخر، الذي ربما يستطيع الوصول لقسم الأمتعة هذه المرة، اللعنة يا ديكستر».

قُلت: «علينا أن نُخبرهم يا ديبس، بالمُناسبة.. من هُم؟ هل أخبركِ كايل من قبل لحساب من يعمل؟».

تنهَّدت وهي تقول: «لا، لطالما مَزح بشأن عمله في وكالةٍ حكوميةٍ أخرى، لكنه لم يقُل يومًا لماذا كان ذلك مُضحِكًا».

قُلت: «حسنًا، أيا ما كانوا، فعليهم أن يعرفوا».

أخرجت الشريط من مُشغِّل الموسيقى المحمول ووضعته أمامها على المكتب وأنا أضيف: «يجب أن يكون هناك ما يُمكنهم فعله».

لم تتحرَّك ديبرا للحظة قبل أن تقول وهي تمسك بالشريط وتندفع خارج مكتبي: «لماذا أشعر أنهم فعلوا ذلك بالفعل، وأن بورديت كان هو؟».

كُنت أرشف القهوة وأهضم غدائي بمُساعدة كعكة ضخمة برقائق الشوكولاتة عندما أتت المُكالمة للإبلاغ عن مسرح جريمة في منطقة ميامي شورز، توجَّهت أنا وأنجيل «لست قريبه» إلى حيث عُثِر على جُثة في سقيفة منزل صغير يطل على قناة كان قد هُدِمَ وأعيد بناؤه، كان البناء قد توقَّف مؤقتًا بينما رَفَع كل من المالك والمقاول دعاوى قضائية ضد بعضهما البعض، تسلَّل صبيان مُراهقان كانا قد هربا من المدرسة إلى داخل المنزل ليجدا الجُثة، وُضِعَت فوق غطاء بلاستيكي ثقيل يُغطي لوحًا من الأبلكاش كان قد فُرِدَ فوق دعامتي نشر، استخدم أحدهم منشارًا كهربائيًا ليبتَر الرأس، الساقين، والذراعين بدقةٍ، تُرِكَ كُل شيء على هذه الحالة، مع وجود الجذع في المُنتصَف، بينما بُتِرَت الأطراف ببساطةٍ وتحريكها بعيدًا بضع بوصات.

وعلى الرغم من أن الراكِب المُظلِم كان يضحك ويهمس بأشياء صغيرة مُظلِمة في أذني، فإنني وضعت غيرتي جانبًا وشرعت في العمل، بالطبع كان هناك الكثير من بُقع الدم المُتناثرة لأعمل عليها، ولا تزال طازِجة للغاية، وعلى الأرجَح أنني كُنت لأقضي يومًا مُفعمًا بالبهجة في البحث والتحليل إذا لم يصدف وأن أسمع ضابِطًا يرتدي الزي الرسمي الذي كان أول من وَصَل إلى مكان الحادِث وهو يتحدَّث مع أحد المُحقِّقين.

كان الضابط سنايدر يقول: «كانت المحفظة هناك بالقُرب من الجُثة، كان فيها رخصة قيادة من ولاية فيرجينيا باسم دانيال شيستر بورديت».

قُلت لصوت الثرثرة السعيد الآتي من المقعد الخلفي لعقلي: حسنًا إذًا، من شأن هذا أن يُفسِّر الكثير بالتأكيد، أليس كذلك؟ نظرت إلى الجُثة مرةً أخرى، وعلى الرغم من أن بتر الرأس والأطراف كان سريعًا ووحشيًا، لكنني وجدت أن الدقة في الترتيب كانت مألوفة بعض

الشيء، ضحك الراكِب المُظلِم بسعادةٍ، كانت المسافة بين الجذع وكُل جزء كما لو أنها قيسَت بدقةٍ، وقد قُدِّمَ الأمر برمّته كدرس في علم التشريح، وفُصِلَت عظمة الفخذ عن عظمة الساق.

قال سنايدر لأحد المُحققين: «تحفّظت على الصبيين اللذين وجداه في سيارة الدورية».

ألقيت نظرةً خاطفةً عليهما، وأنا أتساءل كيف يُمكنني أن أطلعهما على أخباري، بالطبع كان من المُمكِن أن أكون مُخطئًا، لكن..

سمعت شخصًا ما يتمتم: «يا ابن العاهرة».

نظرت للخلف إلى حيث يجلس أنجيل «لست قريبه» القرفصاء على الجانب الآخر من الجُثة، كان يستخدم ملقاطه مرةً أخرى وهو يحمل قطعة ورق صغيرة، تقدَّمت من خلفه ونظرت من فوق كتفه.

وبخط يدٍ سيئ وواضحٍ، كتب أحدهم: «(Pogue)».

قبل أن يشطبها بخطٍ واحدٍ.

سألني أنجيل: «ماذا يعني هذا؟ هل هذا اسمه؟».

قُلت: «بل يعني الشخص الذي يجلس خلف مكتبه، ليُصدِر الأوامر للقوات التي تُقاتِل حقًا».

نظر لي وهو يسألني: «كيف تعرف كُل هذا الهراء؟».

قُلت: «أرى الكثير من الأفلام».

نظر أنجيل إلى الأسفل نحو الورقة وهو يقول: «أعتقِد أنه نفس خط اليد».

قُلت: «مثل الآخر».

قال: «هذا الأمر لم يحدُث أبدًا، أعرِف.. فقد كُنت هناك».

استقمت وأخذت نفسًا، وأنا أفكِّر كم من اللطيف أن أكون مُحِقًا، قُلت: «وهذا لم يحدُث أبدًا كذلك».

مشيت حيث يقِف الضابط سنايدر مُتحدِّثًا مع المُحقِّق.

كان المُحقِّق المعني هو رجل له جسد يُشبه الكُمثرى ويُدعى كولتر، كان يرشف من زجاجة بلاستيكية كبيرة من الماونتن ديو، وينظر نحو القناة التي تجري في الباحة الخلفية، قبل أن يسأل سنايدر: «في رأيك.. كم يبلغ ثمن مكانٍ كهذا؟ يطل على قناةٍ كتلك، على بُعد أقل من ميل من الخليج؟ ماذا تعتقِد.. نصف مليون؟ أكثر؟».

قُلت: «من فضلك أيها المُحقِّق، أعتقِد أن لدينا مُشكلة هنا».

لطالما أردت قول ذلك، لكن يبدو أن هذا لم يُثِر إعجاب كولتر.

«مُشكِلة! هل كُنت تُشاهد مُسلسل (CSI) أو ما شابه؟».

قُلت: «بورديت عميل فيدرالي، عليك أن تُكلِّم النقيب ماثيوس حالًا لتُبلِغه».

قال كولتر: «لا بُد لي من ذلك».

قُلت: «هذا مُرتبِط بشيءٍ ما لا يُفترَض بنا أن نلمسه، لقد أتوا من واشنطن وطلبوا من النقيب التراجُع».

أخذ كولتر جرعة كبيرة من زجاجته وهو يسألني: «وهل تراجَع النقيب؟».

قُلت: «مثل الأرنب».

استدار كولتر ونَظَر إلى جُثة بورديت قبل أن يقول: «فيدرالي».

أخذ جرعة أخرى بينما يُحدِّق إلى الرأس والأطراف المقطوعة ثم هزَّ رأسه قائلًا: «لطالما تمزَّق هؤلاء الرجال تحت الضغط».

نظر للخلف عبر النافذة وهو يُخرِج هاتفه المحمول.

وصلت ديبرا إلى مكان الحادث في الوقت نفسه الذي كان أنجيل «لست قريبه» يُعيد فيه مُعداته إلى الشاحنة، قبل ثلاث دقائق من وصول النقيب ماثيوس، لا أقصد انتقاد النقيب، لكن إحقاقًا للحق.. لم تكُن ديبس مُضطرّة إلى رش مُزيل عرق للإبطين، كما فعل هو، وإعادة ربط رابطة عنقه التي لا بُد أنها استغرقت بعض الوقت أيضًا، وبعد دقائق من وصول ماثيوس وصلت سيارة كُنت أعرفها جيدًا، سيارة فورد تورس كستنائية اللون، يقودها الرقيب دوكس، قُلت بابتهاج: «مرحى، مرحى، كُل أفراد الجماعة هنا».

نظر لي الضابط سنايدر كما لو كُنت قد اقترحت أن نرقص عراة، لكن كولتر دسَّ سبابته في فوهة زجاجة الصودا الخاصَّة به وتركها تتدلى بينما تحرَّك مُبتعدًا للقاء النقيب.

كانت ديبرا تنظر إلى المشهد من الخارج وتوجَّه شريك سنايدر لتحريك الشريط المُحيط بالمكان للخلف قليلًا، بحلول الوقت الذي تقدَّمت فيه للتحدُّث معي، كُنت قد وصلت إلى نتيجةٍ مُذهلةٍ، لقد بدأ الأمر كتمرين في نزوةٍ ساخرةٍ، لكنه نما إلى شيءٍ لا يُمكنني مُجادلته، مهما حاولت، تقدَّمت نحو نافذة كولتر باهظة الثمن ونظرت للخارج، مُتكئًا إلى الحائط ومُفكرًا بشدةٍ في الفكرة، ولسببٍ ما.. وجد الراكِب المُظلِم الفكرة مُسليَّة للغاية وبدأ يهمس بأهزوجةٍ مُخيفةٍ، في النهاية.. شعرت كما لو أنني أبيع أسرارًا نوويةً إلى طالبان، وأدركت أن هذا كان كُل ما يُمكِننا فعله.

قُلت وهي تسير نحوي حيث أقف بجوار النافذة: «ديبرا، لن يأتي الفُرسان هذه المرة».

قالت: «بالطبع يا شيرلوك».

«كُلنا هنا، وكُلنا غير كافين».

دفعت خُصلة شعر بعيدًا عن وجهها وهي تزفر بعُمقٍ وهي تسأل: «ماذا قُلت؟».

«لكنكِ لم تتخذي الخطوة التالية يا أختي، بما أننا غير كافين، فنحن بحاجةٍ للمُساعدة، من شخصٍ ما يعرف شيئًا ما عن هذا الـ..».

«بحق المسيح يا ديكستر! لقد أطعمنا أناسًا كهؤلاء لهذا الرجل!».

قُلت: «وهذا يعني أن المُرشَّح الوحيد المُتبقي في الوقت الحالي هو الرقيب دوكس».

قد لا يكون من العدل أن نقول أنها فَغَرَت فمها، لكنها حدَّقَت بي وفمها مفتوح قبل أن تلتفِت لتنظُر إلى دوكس، حيث وَقَف وهو يتحدَّث مع النقيب ماثيوس بجوار جُثة بورديت.

كرَّرت قولي: «الرقيب دوكس، الذي كان رقيبًا سابقًا في القوات الخاصّة عَمَل في مُهِمَّة مُستقِلة في السلفادور».

نظرت لي مرة أخرى، ثم نظرت إلى دوكس ثانيةً، فقُلت: «ديبرا، إذا ما أردنا أن نجِد كايل، فعلينا أن نعرف المزيد عن هذا، نحتاج لمعرفة الأسماء الموجودة على قائمة كايل، ونحتاج لمعرفة نوع الفريق الذي كوَّنوه، ولماذا يحدُث كُل هذا، ودوكس هو الشخص الوحيد الذي يُمكنني التفكير فيه ويعرف أيًا من ذلك».

قالت: «دوكس يريدك ميتًا».

قُلت بأفضل ابتساماتي المُثابِرة المُبتهجَة: «لا توجد ظروف عمل مثالية على الإطلاق، وأعتقِد أنه يُريد لذلك أن ينتهي بنفس القدر الذي أراد به كايل ذلك».

قالت ديبرا: «ربما ليس بنفس قدر كايل، وليس بقدري كذلك».

قُلت: «حسنًا إذًا، يبدو هذا أفضل خيار لكِ».

بَدَت ديبرا غير مُقتنِعة لسببٍ ما، قالت: «لن يتخلى النقيب ماثيوس عن دوكس من أجل ذلك، علينا أن نوضِّح له الأمر».

أشرت إلى المكان الذي يتشاوَر فيه النقيب ماثيوس مع دوكس قائلًا: «راقبي».

مَضَغَت ديبرا شفتيها للحظةٍ قبل أن تقول في النهاية: «اللعنة، من المُمكِن أن ينجَح هذا».

قُلت: «لا أستطيع التفكير في أي شيء آخر قد ينجَح كذلك».

أخذت نفسًا آخر، ثم.. وكما لو أن شخصًا آخر قد ضغط على زر، تقدَّمت للأمام نحو النقيب ماثيوس ودوكس وهي مُطبقة الفك، تلكعت في الخلف، محاولًا الاندماج مع الجدران العارية قدر الإمكان حتى لا ينقض دوكس لينتزِع قلبي.

قالت ديبرا: «نحن بحاجة لأن نكون استباقيين في هذا الأمر».

وعلى الرغم من أن كلمة (استباقي) هي واحدة من كلماته المُفضّلة، فإن ماثيوس حدَّق بها وكأنها صرصور في طبق سلطة، وهو يقول: «ما نحتاجه، أن يُرسِل.. هؤلاء.. الموجودون في واشنطن شخصًا مؤهلًا لتنظيف هذا الوضع».

أشارَت ديبرا إلى بورديت وهي تقول: «لقد أرسلوه».

نظر ماثيوس إلى بورديت وهو يزم شفتيه قائلًا: «ماذا تقترحين؟».

قالت وهي تومئ نحوي: «لدينا بعض الخيوط».

كُنت أتمنى لو لم تفعل حقًا، لأن ماثيوس طوَّح رأسه نحوي، والأسوأ.. أن دوكس فعل بدوره، ولو كان لتعبير الكلب الجائع الذي ارتسم على وجهه أي دلالة، فمن الواضح أنه يغيِّر من مشاعره نحوي.

سألني ماثيوس: «ما هو دورك في هذا؟».

قالت ديبرا: «إنه يُقدِّم المُساعدة للطب الشرعي».

أومأت برأسي في تواضع، قال دوكس: «تبًا».

قالت ديبرا: «هناك عامل زمني، علينا أن نجد هذا الرجل قبل أن.. قبل ظهور المزيد من هؤلاء، لن يُمكِننا إخفاء ذلك للأبد».

لطالما كُنت مُفيدًا، لذلك قُلت: «أعتقِد أن مُصطَلح (نهم الإعلام) قد يكون مُناسبًا».

حدَّق بي ماثيوس.

تابعت ديبرا: «أعرِف الشكل العام لما كان يحاول كايل.. لما كان يحاول تشوتسكي القيام به، لكن لا يُمكنني الاستمرار به لأنني لا أعرِف أي تفاصيل أساسية».

أشارت بذقنها نحو دوكس وهي تُضيف: «الرقيب دوكس يعرِف».

بدا دوكس مُندهشًا، كان من الواضِح أنه تعبير لم يُمارسه بما فيه الكفاية، لكن قبل أن يتمكَّن من التحدُّث، استكملت ديبرا حديثها: «أعتقد أن بإمكان ثلاثتنا معًا الإمساك بهذا الرجل قبل يصل عميل فيدرالي آخر ويُلِم بما حدث حتى الآن علمًا».

قال دوكس ثانيةً: «تبًا، هل تريدين مني أن أعمل معه؟».

لم يحتج للإشارة كي يعرف الجميع من يقصِد، لكنه فعل ذلك على أي حال، مُشيرًا بسبابة عضلية في وجهي.

قالت ديبرا: «أجل، أريدك أن تفعل ذلك».

مضغ النقيب ماثيوس شفتيه وهو يبدو غير مُتأكِّد، قال دوكس مرةً أخرى: «تبًا».

آمل أن تتحسَّن مهاراته في إجراء المُحادثات إذا ما كُنا سنعمل معًا.

قال ماثيوس لدوكس: «قُلت أنك تعلم شيئًا عن ذلك الأمر».

أشاح الرقيب بنظره بعيدًا عني على مضضٍ لينظُر إلى النقيب وهو يقول: «أجل».

قال ماثيوس: «من.. من خلفيتك العسكرية».

لم يبد خائفًا للغاية من تعبير دوكس عن غضبه الشديد، لكن ربما كان هذا من سمات القيادة.

قال دوكس ثانيةً: «أجل».

عَبَسَ النقيب ماثيوس وحاول قدر الإمكان أن يبدو مثل رجل على وشك اتخاذ قرار مهم، تمكَّن بقيتنا من السيطرة على قشعريرتنا.

أخيرًا قال النقيب ماثيوس: «مورجان».

نظر إلى ديبس، ثم توقَّف حين توقَّفت شاحنة كُتِب على جانبها (Action News) أمام المنزل الصغير، وبدأ العديدون في الهبوط منها، قال ماثيوس وهو ينظر نحو الجُثة، ثُم إلى دوكس: «اللعنة، هل نستطيع القيام بذلك أيها الرقيب؟».

قال دوكس: «لن يُعجِبهم ذلك في واشنطن، ولا يُعجبني ذلك هنا كذلك».

قال ماثيوس: «لقد بدأت أفقد الاهتمام بما يحلو لهم في واشنطن، لدينا مشاكلنا الخاصّة، هل نستطيع التعامل مع ذلك؟».

نظر دوكس لي، حاولت أن أبدو جادًا ومُلتزِمًا، لكنه هزَّ رأسه فحسب وهو يقول: «أجل، يُمكنني فعل ذلك».

ربت ماثيوس على كتفه وهو يقول: «رجل جيد».

وهرع للخارج للحديث مع الطاقم الإخباري.

استمرّ دوكس في النظر إليّ، بادلته النظر وأنا أقول: «فكِّر في مدى سهولة تتبُّعي».

قال: «حين سينتهي ذلك، سيكون لنا حديث آخر».

قُلت: «لكن ليس قبل أن ينتهي ذلك».

أومأ برأسه أخيرًا وهو يقول: «حتى ذلك الحين».

الفصل الثامن عشر

اصطحبنا دوكس إلى مقهى في حي كالي أوتشو بميامي، مُقابِل لمعرض بيع السيارات، قادنا إلى طاولةٍ صغيرةٍ في الركن الخلفي، وجلس في مواجهة الباب، قال: «يُمكِننا التحدُّث هنا».

جعل هذا التصرُّف الأمر يبدو كأننا في فيلم جاسوسية لحدٍ كبيرٍ، لدرجة أنني تمنّيت لو أحضرت نظارة شمسية، ومع ذلك.. فربما تأتي لنا نظارة تشوتسكي في البريد، ونأمل ألا تُرفَق بها أنفه.

وقبل أن نتحدَّث، أتى رجل من الغُرفة الخلفية وصافَح دوكس قائلًا بالإسبانيّة: «ألبرتو، كيف حالك؟».

وأجابه دوكس بإسبانيةٍ جيدةٍ للغاية، لأكون صادقًا.. أفضل من لغتي الإسبانيّة، على الرغم من أنني أعتقِد أن لكنتي أفضل، قال: «لويس، بشأن ذلك الأمر..».

تجاذبا أطراف الحديث لدقيقةٍ، ثم أحضَر لنا لويس أكوابًا صغيرة من القهوة الكوبية الحلوة المروّعة وطبقًا من المُعجّنات الكوبية، أومأ لدوكس مرة ثم اختفى في الغُرفة الخلفية.

راقبت ديبرا الأمر برمته بنفاد صبرٍ، وعندما تركنا لويس أخيرًا، قالت في انفجارٍ: «نحن بحاجةٍ لأسماء كُل من كان في السلفادور».

نظر دوكس إليها فحسب وهو يرشف قهوته، ثم قال: «تلك قائمة كبيرة».

عبست ديبرا وهي تقول: «أنت تعرِف ما أعنيه، اللعنة يا دوكس، لقد حصل على كايل».

ابتسم دوكس وهو يُكشِّر عن أنيابه قائلًا: «أجل، إن كايل يتقدَّم في العُمر، لم يكُن ليحصل عليه أبدًا وهو في أوج عطائه».

سألته: «ماذا كُنت تفعل هناك بالضبط؟».

كُنت أعلَم أنها وقاحة، لكن فضولي حول كيفية إجابته كان أقوى مني، ظل مُبتسِمًا، هذا لو كان هذا ما يفعله، حدَّق دوكس بي وقال: «ما رأيك؟».

ومن تحت عتبة السمع، ظهرت همهمة خافتة من الطَرَب الوحشي، جاءت من أعماق مقعدي الخلفي المُظلِم، من مُفترسٍ ينادي مُفترسًا آخر في ليلة قمرية، وإحقاقًا للحقِ.. ما الذي كان من المُمكِن أن يفعل؟ ومثلما يعرفني دوكس، كُنت أعرِفه على حقيقته: قاتلٍ بدمٍ بارد، حتى دون ما قاله تشوتسكي، كان من الواضِح جدًّا أنه بالنظر لَما كان دوكس يفعله في مهرجانٍ للقتل مثل السلفادور، فلربما كان واحدًا من رماة الحلقات.

قالت ديبرا: «لننُهي مُسابقة التحديق تلك، أحتاج إلى بعض الأسماء».

التقط دوكس إحدى المُعجّنات وعاد بظهره للخلف، قال وهو يقضم قضمة: «لماذا لا تطلعوني على آخر المُستجدات؟».

نَقَرَت ديبرا بأصبعها على المنضدة قبل أن تُقرِّر أن هذا يبدو منطقيًا.

قالت: «حسنًا، لقد حصلنا على وصف تقريبي للرجل الذي فَعَل ذلك، وشاحنته، شاحنة بيضاء».

هزَّ دوكس رأسه قائلًا: «لا يهم، نحن نعلم من الذي يفعل ذلك».

قُلت: «حصلنا أيضًا على بطاقة هويَّة خاصَّة بالضحية الأولى، رجل اسمه مانويل بورخيس».

قال دوكس: «حسنًا، ماني العجوز؟ وَجَب عليكم حقًا أن تتركاني أطلِق النار عليه».

سألته: «هل هو صديقك؟».

لكن دوكس تجاهلني وهو يقول: «ماذا لديكما أيضًا؟».

قالت ديبرا: «كان لدى كايل قائمة بالأسماء، رجال آخرون من نفس الفرقة، قال أن أحدهم سيكون الضحية القادِمة، لكنه لم يُخبرني بالأسماء».

قال دوكس: «لا، لم يفعَل».

قالت: «ولهذا نحتاج منك أن تُخبرنا».

فكَّر دوكس في ذلك مليًا على ما يبدو قبل أن يقول: «إذا ما كُنت بارعًا مثل كايل، كُنت لأختار أحد هؤلاء الرجال لأتعقَّبه».

زمَّت ديبرا شفتيها وهي تومئ بينما تابَع دوكس: «المُشكلة هي.. أنني لست بارعًا مثل كايل، بل أنا مُجرَّد شُرطي قروي بسيط».

سألته: «هل تُريد آلة البانجو الموسيقية؟».

ولسببٍ ما.. لم يضحَك، استمرَّ قائلًا بعد أن رمقني بنظرةٍ حادةٍ: «أعرف أن هناك رجلًا واحدًا فقط من الفريق القديم هُنا في ميامي، أوسكار أكوستا، رأيته في متجر (Publix) منذ عامين، بإمكاننا تعقُّبه».

أومأ برأسه نحو ديبرا وهو يقول: «هناك اسمان آخران يُمكنني التفكير بهما، ابحثي عنهما، اكتشفي إذا ما كانا هنا».

بسط يديه وهو ينخُر قبل أن يُضيف: «أما عمّا بإمكاني فعله، فربما يمكنني الاتصال ببعض الرفاق القدامى في فرجينيا، لكنني لا أضمن لكِ ما قد يُثيره ذلك، على أي حال.. لديكِ يومان لتُقرّري فيهما إذا ما كُنت يجب أن أسألهم حقًا أو ما الذي سنفعله بهذا الشأن».

قالت ديبرا: «ماذا سنفعل إذًا؟ هل سنتعقَّب ذلك الرجل؟ الذي رأيته؟ أم نتحدَّث معه؟».

هزَّ دوكس رأسه قائلًا: «لقد تذكَّرني، بإمكاني التحدُّث معه، وأنتما حاولا مُراقبته، سيعلم بالأمر وعلى الأرجَح سيختفي».

نظر إلى ساعته وهو يقول: «الثالثة إلا رُبع، سيعود أوسكار إلى المنزل في غضون ساعتين، انتظرا مُكالمتي».

ابتسم لي ابتسامة تعني أنه يُراقبني وهو يُضيف: «لماذا لا تذهَب وتنتظِر مع خطيبتك الجميلة؟».

ثُم وقف وخَرَج من المقهى، تاركًا أمر الدفع لنا.

حدَّقت بي ديبرا وهي تقول: «خطيبتك؟».

قُلت: «ليس حقًا».

«أنت خاطِب!».

قُلت: «كُنت سأخبركِ».

«متى؟ في ذكراك السنويَّة الثالثة».

قُلت: «عندما أعرِف كيف حَدَث ذلك، ما زلت لا أصدِّق ذلك حقًا».

نخرت قائلةً وهي تقف: «ولا أنا، هيا.. سأعيدك إلى العمل، ثم يُمكنك أن تذهَب لتنتظِر مع خطيبتك».

تركت بعض النقود على الطاولة وتبعتها بخنوع.

وَقَف فينس ماسوكا في البهو عندما خرجنا أنا وديبرا من المصعد، قال: «مرحبًا أيها الصبي، كيف حالك؟».

قالت ديبرا قبل أن أتمكَّن من الرد: «إنه خاطِب».

نظر فينس إليها كما لو أنها قالت إنني حامِل، وقال: «إنه ماذا؟».

قالت: «خاطِب، على وشك الزواج».

«زواج؟ ديكستر؟».

بدا أن وجهه يُكافِح من أجل إيجاد التعبير المُناسِب، وهي المُهِمّة التي لم تكُن سهلة كونه مُعتادًا على تزييف تعبيراته، وهو أحد أسباب توافقي معه؛ شخصان صناعيّان، مثل حبتي بازلاء في جرابٍ حقيقي، استقرَّ أخيرًا على ما بدا وكأنه مُفاجأة مُبهِجة، لم يكُن مُقنِعًا للغاية، لكنه لا يزال خيارًا سليمًا، قال وهو يعطيني عناقًا مُرتبِكًا: «تهانينا القلبيّة».

كُنت ما زلت أشعر بالحيرة الشديدة تجاه الأمر برمته، وأتساءل عمّا إذا ما كان عليّ المضي قدمًا في الأمر، قُلت: «شكرًا لك».

قال وهو يفرك يديه معًا: «لا يُمكِننا ترك هذا يمُر دون عِقاب، مساء الغد في منزلي؟».

سألته: «لماذا؟».

أعطاني أفضل ابتساماته المُزيَّفة وهو يقول: «طقوس يابانيَّة قديمة، تعود إلى عهد شوجونية توكوجاوا[1]، سنثمَل ونُشاهد الأفلام القذرة».

---

(1) شوجونية توكوجاوا: كان نظامًا سياسيًا إقطاعيًا في اليابان أسسه توكوجاوا إياسو، وتعرف الفترة التي ساد فيها هذا النظام بفترة إيدو التي جاء اسمها من اسم مدينة إيدو.

ثُم التفت ليرمق ديبرا بنظرةٍ شهوانيةٍ: «بإمكاننا إقناع أختك بالقفز من الكعكة».

قالت ديبس: «ماذا لو قفزت على مؤخرتك بدلًا من ذلك؟».

حاولت تجنُّب أي شيء ستجعل مُشاركتي به الأمر أكثر رسميةً، كما حاولت أيضًا منع هذا الثُنائي من تبادُل الإهانات الذكية قبل أن يُصيباني بصُداعٍ، قُلت: «هذا لطيف للغاية يا فينس، لكن لا أعتقِد أن...».

لم يتركني فينس أنهي جُملتي.

قال: «لا، لا، هذا أمر ضروري، مسألة شَرَف، لا مَفر، غدًا، الثامنة مساءً».

نَظَر إلى ديبرا وهي تبتعِد قبل أن يُضيف: «ولديكِ أربع وعشرون ساعة فقط للتدرُّب على رقصتكِ».

قالت: «فلتذهب لتتدرَّب على رقصتك».

قال بضحكته المُزيَّفة بفظاعةٍ وهو يختفي في نهاية الممر: «هاها!».

تمتمت ديبرا وهي تستدير لتذهَب في الاتجاه المُقابِل: «مهووس صغير، اذهَب إلى خطيبتك بعد العمل، وسأتصل بك عندما أسمَع من دوكس».

لم يتبق الكثير من الوقت حتى انتهاء يوم العمل، كتبت تقارير عن بعض الأشياء، طلبت علبة من الليمونيل[1] من مورِّدنا، وأقررت بتسلُّم نصف دستة من المُذكّرات التي تراكمت في صندوق بريدي

---

(1) الليمونيل: مُركب كيميائي يتخذ في الحالة الطبيعية شكل بلور صلب ذي لون أبيض مائل إلى الصفرة، قابل للذوبان في أغلب المُذيبات العضوية، لكِنه غير قابِل للذوبان في الماء، عِند مزجه بمؤكسد مُناسب يعطي لونًا متوهجًا أزرق مُميّزًا.

الإليكتروني، توجَّهت إلى سيارتي، شاعرًا بالإنجاز الحقيقي، قُمت بقيادتها عبر مذبَحة ساعة الذروة المُهدِّئة للأعصاب، توقَّفت عند شقتي لتغيير ملابسي؛ لم أرَ ديبس في أي مكان، لكن الفراش كان غير مُرتَّب، لذا عَلِمت أنها كانت هنا، وضعت أشيائي في حقيبة يد وتوجَّهت إلى منزل ريتا.

كان الظلام قد حلَّ عندما وصلت إلى منزل ريتا، لم أرِد حقًا الذهاب إلى هناك، لكنني لست واثِقًا تمامًا مما يُمكِنني فعله خلاف ذلك، تتوقَّع ديبرا أن أكون هناك إذا ما احتاجت للعثور عليّ، وهي تستخدِم شقتي، لذلك صففت السيارة في ممر منزل ريتا وخرجت منها، وبدافِع التعوُّد.. نظرت عبر الشارِع إلى مكان وقوف سيارة الرقيب دوكس، كان فارِغًا بالطبع، لأنه مشغول بالحديث مع أوسكار، رفيقه القديم في الجيش، قبل أن يتنامى إلى إدراكي فجأة أنني كُنت حرًا، بعيدًا عن عيون الكلب البوليسي البارِدة التي منعتني من أن أكون أنا لفترةٍ طويلةٍ، تصاعدت بداخلي ترنيمة بطيئة مُتزايِدة من البهجة المُظلِمة، وكاستجابةً لها أتاني صوت الطرقات من القمر الذي ظهر فجأة من خلف سحابة مُنخفِضة مُظلِمة، القمر الأحدَب المتوهِّج الذي لا يزال قريبًا وضخمًا ويترقرق في السماء المُظلِمة، واندلعت الموسيقى من مُكبّرات الصوت لتصدَح في الطوابِق العُليا من حلبة ديكستر المُظلِمة، وتحوَّلَت الهمسات الخبيثة إلى هتافٍ صاخبٍ لتتناغَم مع موسيقى القمر، ترنيمة مُثيرة من (افعلها، افعلها، افعلها)، واقشعرَّ جسدي من الداخل إلى الخارج عندما وضع تلك النُقطة في الحُسبان وفكَّرت: لم لا؟

لم لا بالفعل؟ بإمكاني التسلُّل لقضاء بضع ساعات سعيدة.. وسآخذ هاتفي المحمول معي بالطبع، لا أريد أن أكون مُستهترًا حيال ذلك، لكن

لماذا لا أستغل فُرصة ليلة مُقمِرة بدون دوكس لأنزلِق في النسيم المُظلِم؟ جذبتني فكرة الأحذية الحمراء مثل المد الربيعي[1]، يعيش ريكير على بُعد أميال قليلة من هنا، بإمكاني أن أكون هناك في غضون عشر دقائق، يُمكنني أن أتسلَّل لأجد الدليل الذي أحتاجه، وبعد ذلك.. أفترِض أنني سأضطر للارتجال، لأن الصوت الموجود تحت عتبة السمع كان مليئًا بالأفكار الليلة، وبالتأكيد سيُمكِننا التوصُّل لشيء يقودنا إلى التحرُّر الرائع الذي كُنا في أمس الحاجة إليه، عَوَت الأصوات: **افعلها يا ديكستر**، وعندما توقَّفت على أطراف أصابعي لأستمِع وأعيد التفكير مرة أخرى: لماذا لا؟ خرجت دون إجابة معقولة..

فُتِح باب ريتا الأمامي عن آخره وظهرت استور وهي تقول لمن هُم في المنزل: «إنه هو! إنه هنا!».

وها أنا ذا، هنا.. بدلًا من هناك، مستلقيًا على الأريكة بدلًا من الرقص في الظلام، أرتدي قناع ديكستر المُرهَق على الأريكة بدلًا من القناع الفضي اللامِع لديكستر المُنتقِم.

قالت ريتا وهي تملأ المدخل ببهجةٍ دافئةٍ جيدةٍ لدرجة أنني شعرت بأسناني تصطَك: «تعالَ إلى الداخل».

كانت الجماهير المُحتشِدة بالداخل تعوي في خيبة أمل، قبل أن تخرُج من الملعب ببطءٍ، انتهت اللعبة، لأنه بعد كُل شيء.. ماذا بإمكاننا أن نفعل؟ بالطبع لا شيء، وهو بالضبط ما فعلناه، تبعت الموكب السعيد لريتا واستور وكودي الهادئ كعادته بخنوعٍ إلى داخل المنزل، لم أتمكَّن

(1) المد الربيعي: مصطلح شائع لا علاقة له بموسم الربيع، فهو مصطلح مشتق من مفهوم المد والجزر، ويحدث مرتين في كل شهر قمري طوال العام بغض النظر عن الفصل.

من التذمُّر، لكن حقًا: ألم يكُن هذا دفعًا لحدود الموقِف بما فيه الكفاية؟ ألم نستفِد جميعًا من طبيعة ديكستر الجيدة المُبهِجة بثلاث مرَّات أكثر من اللازِم؟

كان العشاء مُمتِعًا بشكلٍ مُزعِجٍ، وكأنما يُثبَت لي أنني أشتري سعادة وقطعًا من لحم الخنزير تكفيني مدى الحياة، وتماشيت مع الأمر حتى ولو لم يكُن قلبي مُعلَّقًا به، قطَّعت اللحم لقطعٍ صغيرةٍ، مُتمنيًا لو أنني أقطِّع شيئًا آخر، وأفكِّر في أكلة لحوم البشر الموجودين في جنوب المُحيط الهادئ الذين يشيرون إلى البشر كـ (لحم الخنزير الطويل)، كان هذا مُناسِبًا حقًا، لأنني كُنت أتوق لتقطيع هذا النوع من لحم الخنزير، وليس ذلك الشيء المُغطى بحساء الفطر الفاتر الموجود في طبقي، لكنني ابتسمت وطعنت الفاصوليا الخضراء، وشققت طريقي عبر محنة تقطيع لحم الخنزير وصولًا للقهوة بطريقةٍ ما، لكنني نجوت.

بعد العشاء.. رشفنا أنا وريتا قهوتنا بينما أكل الأطفال قطعًا صغيرةً من الزبادي المُجمَّد، وعلى الرغم من أن القهوة تُعتَبر من المنبهات، فإنها لم تُساعدني على التفكير في طريقة للخروج من هذا.. ولا حتى في طريقة للتسلُّل من هنا لبضع ساعات، ناهيك عن تجنُّب هذا النعيم الذي سيدوم مدى الحياة والذي تسلَّلَ من خلفي وجذبني من عنقي، شعرت وكأنني أتلاشى ببطءٍ عند الحواف وأذوب في تنكّري، حتى يختلط القناع المطاطي السعيد بملامحي الحقيقية في النهاية، وسأصبح حقًا الشيء الذي كُنت أتظاهَر بكونه، أصطحِب الأطفال لمباريات كُرة القدم، أشتري الزهور عندما أشرب الكثير من البيرة، أقارِن المُنظّفات وأخفّض التكاليف بدلًا من تخليص الأشرار من لحمهم غير الضروري،

كانت هذه أفكارًا مُحبِطةً، وربما كُنت سأكون غير سعيد إن لم يدُق جرس الباب في الوقت المُناسِب.

قُلت: «لا بد أنها ديبرا».

كُنت مُتأكِّدًا تمامًا من احتفاظي بأغلب الأمل بالإنقاذ في صوتي، وقفت وتوجّهت نحو الباب الأمامي، فتحته ليكشِف عن امرأة جميلة المظهر ذات وزن زائِد وشعر أشقر طويل.

قالت: «لا بد وأنك.. إحم.. هل ريتا هنا؟».

حسنًا، أفترِض أنني (إحم)، على الرغم من أنني لم أكُن على علمٍ بذلك حتى الآن، ناديت ريتا التي حضرت مُبتسِمة وهي تقول: «كاثي، من اللطيف أن أراكِ، كيف حال الأولاد؟».

قبل أن توضِّح لي قائلةً: «كاثي تعيش في المنزل المجاوِر».

كُنت أعرِف مُعظم أطفال الحي، لكنني لا أعرِف والديهم، لكن من الواضِح أن تلك الأم كانت والدة الصبي الذي يعيش في المنزل المجاوِر والذي يبلُغ من العُمر أحد عشر عامًا، وشقيقه الأكبر الذي يكاد يكون غائبًا دائمًا، وبما أن هذا يعني أنها على الأرجَح لا تحمل سيارة مُفخّخة أو قنينة من الجمرة الخبيثة، ابتسمت وعُدت إلى الطاولة مع كودي واستور.

قالت: «جايسون في مُعسكر الفرقة، بينما يتسكّع نيك حول المنزل محاولًا الوصول لسن البلوغ كي يتمكَّن من تنمية شاربه».

قالت ريتا: «يا إلهي».

همست استور قائلةً: «نيكي غريب الأطوار، أرادني أن أنزل بنطالي كي يتمكَّن من النظر».

قام كودي بتقليب الزبادي المُجمَّد محولًا إياه إلى ما يُشبِه البودينج المُجمَّد.

قالت كاثي: «اسمعي يا ريتا، أنا آسفة لإزعاجكم في وقت العشاء».

«لقد انتهينا للتو، هل ترغبين في بعض القهوة؟».

قالت: «لا، أتناول كوبًا واحدًا في اليوم، أوامِر الأطباء، لكن الأمر يتعلَّق بكلبنا، أردت فقط أن أسألك هل رأيتِ راسكال؟ إنه مُختفٍ منذ يومين، ونيك قَلِق للغاية».

قالت ريتا: «لم أره، لكن دعيني أسأل الأطفال».

لكن عندما استدارَت لتسألهما، نظر إليّ كودي، ونهض دونما صوت، وخرج من الغُرفة، وكذلك فعلت استور.

قالت: «لم نَرَهُ، منذ أن أسقط القمامة الأسبوع الماضي».

ثُمّ تبعتْ كودي خارج الغُرفة، تاركين حلواهما على المنضدة، نصف مأكولة، راقبتهما ريتا يمضيان بفم مفتوحٍ، قبل أن تعود إلى جارتها لتقول: «أنا آسفة يا كاثي، أعتقِد أن أحدًا لم يَرَه، لكننا سنُبقي أعيننا مفتوحة، أنا مُتأكِّدة أنه سيعاوِد الظهور، أخبري نيك ألا يقلق».

ثرثرت مع كاثي لدقيقةٍ أخرى، بينما نظرت أنا للزبادي المُجمَّد وأنا أتساءل عمّا رأيته لتوي.

أُغلِق الباب الأمامي، وعادت ريتا لقهوتها البارِدة، قالت: «كاثي شخص لطيف، لكن أحيانًا يكون من الصعب التعامُل مع أطفالها، إنها مُطلّقة، اشترى زوجها السابِق مكانًا في إسلامورادا[1]، هل كان مُحاميًا؟ لكنه بقي هناك، لذلك كان على كاثي أن تُربي الأولاد وحدها،

(1) إسلامورادا: مدينة في ولاية فلوريدا.

ولا أعتقِد أنها صارِمة بما يكفي في بعض الأحيان، تعمل كمُمرّضة مع أخصائي أقدام في الجامعة».

سألتها: «ماذا عن مقاس حذائها؟».

سألتني ريتا وهي تعض شفتها: «هل أثرثر؟ أنا آسفة، أظن أنني قَلِقة بعض الشيء.. أنا مُتأكِّدة أنه فقط...».

هزَّت رأسها وهي تقول: «ديكستر، هل أنت...».

لم تتسن لي الفُرصة أبدًا لأعرِف ماذا فعلت، لأن هاتفي المحمول رنَّ، قُلت: «معذرةً».

ذهبت إلى الطاولة الموجودة بجوار الباب الأمامي حيث تركته، بدأت ديبرا حديثها دون أن تقول (مرحبًا): «اتصل دوكس لتوّه، تبيَّن أن الرجل الذي ذَهَب للتحدُّث معه قد هرب، يحاول دوكس معرفة أين ذهب، لكنه يحتاج للدعم».

قُلت: «بسُرعة يا واتسون، بدأت اللعبة على قدم وساقٍ[1]».

لكن ديبرا لم تكُن في مزاجِ أدبي، قالت: «سأقلّك في غضون خمس دقائق».

(1) اقتباس من روايات شيرلوك هولمز للكاتب آرثر كونان دويل.

الفصل التاسع عشر

تركت ريتا بعد توضيح سريع وخرجت لأنتظِر، كانت ديبرا شخصًا يحترِم مواعيده، وفي غضون خمس دقائق ونصف، كُنا متّجهين شمالًا على طريق ديكسي السريع.

قالت: «إنهم بالخارج في ميامي بيتش، قال دوكس أنه اقترب من الرجل، أوسكار، وأخبره بما يجري، فقال أوسكار: دعني أفكِّر بالأمر، قال دوكس: حسنًا، سأتصِل بك، لكنه بقي يُراقب المنزل من بداية الشارِع، وبعد عشر دقائق.. خرج الرجل من الباب ودلف إلى سيارته وهو يحمل حقيبة كبيرة».

«لماذا يهرب الآن؟».

«ألن تهرب إذا ما عَرِفت أن دانكو يُلاحِقك؟».

قُلت وأنا أفكِّر في سعادةٍ فيما سأفعله في الواقِع إذا ما التقيت بالدكتور وجهًا لوجه: «لا، سأنصب له فخًا من نوعٍ ما، وسأتركه ليأتي».

ثُم فكَّرت في المزيد، لكنني لم أقُله بصوتٍ عالٍ لديبرا.

قالت: «حسنًا، أوسكار ليس مثلك».

قُلت: «هناك القليلون منّا، إلى أين اتجه؟».

عبست وهي تهز رأسها قائلةً: «يتجوَّل في الأرجاء فحسب في الوقت الحالي، ودوكس يتبعه».

سألتها: «إلى أين سيقودنا في اعتقادكِ؟».

هزَّت ديبرا رأسها وهي تدور حول سيارة كاديلاك قديمة مُحمّلة بمُراهقين صارخين، وهي تقول: «لا يهم».

توجّهت إلى المُنحدر نحو طريق بالميتو السريع وهي تدعَس دواسة الوقود بقوةٍ حتى لامست أرضية السيارة، وأضافَت: «ما زال أوسكار هو أفضل فُرصة لنا، إذا ما حاول مُغادرة المنطقة سنُمسِك به، لكن حتى ذلك الوقت.. نحتاج للبقاء معه لنرى ما سيحدُث».

«فكرة جيدة جدًا، رائعة حقًا.. لكن ما الذي نعتقد أنه سيحدُث بالضبط؟».

انفجرت صائحة فيّ: «لا أعرِف يا ديكستر، لكننا نعرف أن هذا الرجل آجلًا أو عاجلًا يُمثّل هدفًا، حسنًا؟ والآن.. هو يعلم ذلك بدوره، لذلك ربما يحاول معرفة إذا ما كان مُراقَبًا قبل أن يهرب فحسب، اللعنة».

دارت حول شاحنة قديمة مُحمَّلة بأقفاص الدجاج، كانت الشاحنة تسير بسُرعة تصل إلى خمسة وثلاثين ميلًا في الساعة، دون مصابيح خلفية، وجلس ثلاثة رجال فوق قمة الحمولة، يتشبَّثون بقُبعات مُمزَّقة بيدٍ وبالحمولة باليدِ الأخرى، أعطتهم ديبرا صفّارة إنذار سريعة وهي تدور من حولهم، لم يبدُ أن لها أي تأثير، لم يرمش الرجال الموجودون فوق الحمولة حتى.

عدَّلت عجلة القيادة وأسرعت ثانيةً وهي تقول: «على أي حال.. يُريدنا دوكس في ميامي للدعم، كي لا يسرح أوسكار بخياله بعيدًا، سنعمل بالتوازي على طول بيسكاين».

كان هذا منطقيًا، ما دام أوسكار في ميامي بيتش، فلن يتمكَّن من الهروب من أي اتجاهٍ آخرٍ، إذا ما حاول أن يندفِع عبر جسر أو توجَّه شمالًا إلى الجانب البعيد من حديقة هاولوفر ليعبُرها، فسنكون هناك للقبض عليه، كُنا نحاصره.. ما لم يكُن لديه مروحية مُخبّأة، تركت ديبرا تقود، توجَّهت شمالًا بسُرعة دون أن تقتل أي شخص.

بالقُرب من المطار.. توجَّهنا شرقًا في الطريق رقم (836)، نال الزحام المروري منّا قليلًا هنا، شقّت ديبرا طريقها بتركيزٍ شديدٍ داخله وخارجه، احتفظت بأفكاري لنفسي وهي تعرض سنوات تدريبها على زحام ميامي المروري بالفوز بما كان بمثابة لعبة مجانيَّة سيفوز بها كُل مجانين السرعة، عبرنا التقاطُع مع شارع (I-95)، دلفنا إلى جادة بيسكاين، أخذت نفسًا عميقًا وتركته يخرُج بحرصٍ بينما خفَّفَت ديبرا سُرعتها بفعل الزحام المروري وصولًا للسرعة الطبيعية.

طقطق اللا سلكي فجأة وأتانا صوت دوكس عبر السماعة الخارجية وهو يقول: «ما هو موقعكِ يا مورجان؟».

رفعت ديبرا الميكروفون وهي تقول: «بيسكاين، عند طريق ماكارثر السريع».

سادت لحظة صمت صغيرة، ثُمّ قال دوكس: « لقد صفَّ سيارته في الجسر المُتحرِك الموجود في طريق البندقية السريع، قومي بتغطيته من جانبكِ».

قالت ديبرا: «عُلِمَ ويُنفَّذ».

ولم أستطِع منع نفسي من قول: «أشعر أن الأمر رسمي للغاية عندما تقولين ذلك».

قالت: «ماذا يعني هذا؟».

قُلت: «لا شيء حقًا».

نظرت لي، نظرة جادة تليق بشُرطيّة، لكن وجهها كان ما زال شابًا، وشعرت للحظةٍ وكأننا أطفال مرة أخرى، نجلس في سيارة الدورية الخاصّة بهاري ونلعب (عسكَر وحرامية)، باستثناء أنه في هذه المرّة.. تعيَّن عليّ أن أكون الشخص الجيد، وهو شعور مُقلِق للغاية.

ولأنها تشاركني نفس الذكرى، قالت: «هذه ليست لعبة يا ديكستر، حياة كايل على المحك هنا».

عادت ملامحها مرة أخرى إلى وجه السمكة الجاد وهي تُتابع حديثها: «أعلم أنه ربما لا يبدو هذا منطقيًا بالنسبة لك، لكنني أهتم بشأن هذا الرجل، إنه يجعلني أشعر بالـ.. اللعنة، ها أنت ذا على وشك أن تتزوَّج، وما زلت لن تستطيع فهم ذلك أبدًا».

كُنا قد وصلنا لإشارة المرور الموجودة في شمال شرق الشارع الخامس عشر، واتجهنا يمينًا، لاح ما تبقى من مول أومني التجاري يسارًا وكان جسر البندقية أمامنا.

قُلت: «لست جيدًا في الشعور بالأشياء يا ديبس، ولا أعرِف شيئًا حقًا عن موضوع الزواج هذا، لكنني لا أحب الوضع كثيرًا عندما تكونين غير سعيدة».

صفّت ديبرا السيارة قبالة ليتل مارينا الموجودة بجوار مبنى هيرالد القديم، كانت مُقدّمة السيارة تواجِه جسر البندقية المُتحرِّك، ظلّت صامتة لدقيقةٍ، قبل أن تهمس قائلةً من بين أنفاسها: «أنا آسفة».

فاجأني ذلك قليلًا، لأنني أعترِف أنني كُنت أستعِد لقول شيء مُشابه للغاية، فقط للحفاظ على مجرى علاقتنا الاجتماعية، من شبه المؤكّد أنني كُنت لأصيغها بطريقةٍ أكثر ذكاءً بقليل، لكنها ستكون بنفس الجوهر، قُلت: «علامَ؟».

«لم أقصِد أن.. أعرِف أنك مُختلِف يا ديكس، أنا أحاوِل حقًا التعوُّد على ذلك و.. لكنك ما زلت شقيقي».

قُلت: «المُتبنى».

«هذا هراء وأنت تعرف ذلك، أنت شقيقي، وأنا أعلَم أنك هُنا بسببي فقط».

«في الواقِع.. كُنت آمل أن أتمكَّن من قول (عُلِم ويُنفَّذ) لاحقًا في اللا سلكي».

نخرت قائلةً: «حسنًا، لتكُن أحمق، لكن شكرًا على أي حال».

«عفوًا».

أمسكت اللا سلكي وهي تقول: «ماذا يفعل يا دوكس؟».

بعد لحظة صمت قصيرة، أجاب دوكس: «يبدو كأنه يتحدَّث في هاتفه المحمول».

عبست ديبرا ونظرت لي قائلة: «إذا ما كان يهرب، فمن يُكلِّم في الهاتِف؟».

هزت كتفيّ قائلًا: «ربما كان يُدبِّر لنفسه طريقة للخروج من البلاد، أو..».

توقَّفت، بدت الفكرة غبية للغاية كي تخطر لي، وكان من المُفترض أن يكون هذا كافيًا لإبعادها عن رأسي تلقائيًا، لكن بطريقةٍ ما.. ها هي ذي، تتقافَز فوق المادة الرمادية وهي تلوِّح بأعلامٍ حمراء صغيرة.

سألت ديبرا: «ماذا؟».

هززت رأسي وأنا أقول: «مُستحيل، فكرة غبية، مُجرَّد فكرة جامِحة ترفض الاختفاء».

«حسنًا، جامحة إلى أي مدى؟».

«ماذا لو.. لقد قُلت لتوي أن هذا غبي».

صاحت: «والأكثر غباءً أن تضيع الوقت بهذه الطريقة، ما هي الفكرة؟».

قُلت: «ماذا لو أن أوسكار يتصل بالدكتور الجيد، ويحاوِل مساومته على الهروب؟».

وقد كُنت مُحقًا؛ بدا هذا غبيًا.

نخرت ديبس قائلةً: «يساومه على ماذا؟».

قُلت: «حسنًا، قال دوكس أنه كان يحمل حقيبة، لذا بإمكانه أن يضع فيها المال، سندات لحامله، مجموعة طوابع، لا أعرِف، لكن ربما يكون لديه شيء ما قد يكون أكثر قيمة لصديقنا الجرَّاح».

«مثل ماذا؟».

«من المُحتمل أنه يعرِف أين يختبئ كُل شخص من الفريق القديم».

قالت: «اللعنة، سيقوم بالتخلي عن الجميع في مُقابِل حياته؟».

عضّت شفتها وهي تفكّر في الأمر، بعد دقيقة.. هزّت رأسها وهي تقول: «هذا بعيد المنال لحدٍ ما».

قُلت: «ما هو بعيد المنال هو درب كبير من الغباء».

«لا بُد أن يعرف أوسكار طريقة ما للتواصُل مع الدكتور».

«بإمكان الشبح دومًا أن يجد طريقة للتواصل مع آخر، هناك قوائم وقواعد بيانات وجهات اتصال مُتبادلة كما تعرفين، ألم تري فيلم (Bourne Identity)؟».

قالت: «بلى، لكن كيف نعرِف إذا ما كان أوسكار قد رآه؟».

«أنا أقول أن الأمر مُمكِن فحسب».

نظرَت عبر النافذة، غارِقة في التفكير، قبل أن تتبدَّل ملامحها وهي تهز رأسها قائلةً: «قال كايل شيئًا ما.. أنه بعد فترة من الوقت ستنسى إلى أي فريق تنتمي، كلاعِب البيسبول الحُر، لذا ستكون ودودًا مع الرجال الذين ينتمون للجانب الآخر، وهذا.. تبًا، هذا غباء».

«لذا مهما كان الجانب الذي ينتمي إليه دانكو، فسيجد أوسكار طريقة للوصول إليه».

قالت: «المشكلة اللعينة، أننا لا نستطيع».

ساد الهدوء بيننا بعد ذلك لبضع دقائق، أفترِض أن ديبس كانت تُفكِّر في كايل وتتساءل عمّا إذا كُنّا سنجده في الوقت المُناسِب، حاولت أن أتخيَّل الاهتمام بريتا بنفس الطريقة.. لكن هذا لم يحدُث، فكما أوضَحَت ديبرا بذكاءٍ.. كُنت خاطِبًا وما زلت لا أفهم الأمر، ولن أفهَم ذلك أبدًا، وعادةً ما اعتبرت هذا نعمة، لطالما شعرت أنه من الأفضل التفكير بعقلي، بدلًا من التفكير ببعض الأجزاء المُجعَّدة الأخرى الموجودة نحو الجنوب قليلًا، أعني.. بجديةٍ.. ألا يرى الناس أنفسهم أبدًا، يترنَّحون بفعل سيلان اللعاب والغريزة الحيوانية، تُظهِر كُل تلك الأعين المُترَقرِقة

بالدموع والوهن مخابيل بشكلٍ كلي على شيء حتى الحيوانات لديها ما يكفي من الإدراك لتتجاوزه سريعًا حتى تتمكَّن من المضي قدمًا في مساعٍ أكثر منطقية، كالبحث عن لحوم طازِجة؟

حسنًا.. فكما اتفقنا جميعًا، لن أفهم ذلك، لذا نظرت عبر المياه إلى الأضواء الخافتة للمنازِل الموجودة على الجانب الآخر من الجسر، كان هناك عدد قليل من المباني السكنيّة بجوار كُشك تحصيل الرسوم، ثُم تبعثرت منازل كبيرة بعض الشيء، ربما إذا فزت في اليانصيب.. سيكون باستطاعتي الحصول على وكيل عقارات قادِر على أن يريني شيئًا بقبوٍ صغيرٍ، كبير بما يكفي لاحتواء مصور قتل واحِدًا في مكانٍ مُريحٍ تحت الأرض، وبينما فكَّرت في الأمر.. أتاني صوت الهمس الخافِت من الصوت الموجود في مقعدي الخلفي، لكن بالطبع لم يكُن هناك ما يُمكنني فعله حيال ذلك، باستثناء ربما التصفيق للقمر المُعلَّق فوق المياه، وطفا صوت الجرس عبر نفس المياه المطلية بلون القمر، مما يُشير إلى أن الجسر المُتحرّك على وشك الارتفاع.

طقطق اللا سلكي ودوكس يقول: «إنه يتحرَّك، سيترك الجسر المُتحرّك، راقباه.. سيارة تويوتا بيضاء من طراز (4Runner)».

قالت ديبرا عبر اللا سلكي: «أراه، سنلحق به».

هبطت سيارة الدفع الرباعي البيضاء من الجسر وتوجَّهت نحو الطريق الخامس عشر قبل لحظات من صعوده، بعد توقُّف قصير لنسمح له بالمضي قدمًا، حرَّكت ديبرا السيارة وتبعته، انعطف يمينًا عند جادة بوليفارد في بيسكاين، وبعد دقيقةٍ فعلنا ذلك بدورنا، قالت في اللا سلكي: «توجَّه شمالًا في بيسكاين».

قال دوكس: «عُلِم، سأتابعه من هنا».

تحرَّكت السيارة بسرعة طبيعية عبر حركة الزحام المروري المُعتدِلة، مُحافظةً على سُرعة لا تزيد على خمسة أميال في الساعة فوق الحد الأقصى للسُرعة، التي تُعتبَر سُرعة السُيَّاح في ميامي، والبطيئة بما يكفي لتبرير انفجار أبواق السائقين المارّين بجواره، لكن يبدو أن أوسكار لم يُمانِع ذلك، التزم بجميع إشارات المرور وبقي في الحارة اليُمنى، يتحرَّك كما لو لم يكُن لديه مكان مُعيّن ليذهَب إليه، وأنه فقط في رحلة استرخاء بعد العشاء.

عندما وصلنا للطريق السريع رقم (79)، التقطت ديبرا اللا سلكي وهي تقول: «نحن نجتاز شارِع 79، يتجّه جنوبًا دون أن يبدو في عجلةٍ من أمره».

قال دوكس: «عُلِم ويُنفَّذ».

نظرت لي ديبرا فقُلت: «لم أقُل أي شيء».

قالت: «أنت تُفكِّر في الأمر اللعين».

تحرَّكنا شمالًا، توقَّفنا مرتين في إشارتين مروريتين، كانت ديبرا حريصة على أن تتخلَّف عنه ببضع سيارات، وهو الأمر الذي لم يكُن هينًا في شوارِع ميامي، خصوصًا وأن مُعظَم السيارات تحاوِل الدوران، العبور، أو اجتياز السيارات الأخرى، مرَّت سيارة إطفاء وهي تُصدِر عويلًا في الجهة الأخرى، يصدَح بوقها بقوةٍ عند التقاطعات، بدا تأثيره على بقية السائقين كثُغاء خروف، تجاهلوا صفّارات الإنذار وتشبّثوا بأماكنهم التي حصلوا عليها بشق الأنفُس في الحارة المرورية المُزدحِمة، وببساطةٍ.. ولأنه سائِق في ميامي بدوره.. كان الرجل الجالِس خلف عجلة القيادة يشق طريقه وهو يضغط البوق وصفّارة الإنذار ليُغنيا أغنية ثُنائية من أجل الزحام المروري.

وصلنا إلى شارع (123d)، وهو آخر مكان لنعبره وصولًا إلى ميامي بيتش، قبل أن يمُر الطريق رقم (826) شمالًا نحو ميامي بيتش، استمرّ أوسكار في الاتجاه شمالًا، أخبرت ديبرا دوكس بذلك عندما مررنا به.

تمتمت ديبرا وهي تضع اللا سلكي: «إلى أين يتجه بحق الجحيم؟».

قُلت: «ربما يقود سيارته فحسب، إنها ليلة جميلة».

«حسنًا، هل تُريد أن تكتب قصيدة؟».

في ظل الظروف العادية، كُنت سأحظى بردٍ رائعٍ على ذلك السؤال، لكن ربما بسبب طبيعة مُطاردتنا المُثيرة، لم يتبادَر أي شيء إلى ذهني، على أي حال.. بدت ديبس في حاجةٍ لانتصارٍ، حتى لو كان صغيرًا.

وبعد بضع بنايات، انعطف أوسكار نحو الحارة اليُسرى فجأة، واستدار يسارًا عبر طريق قادم، فصدحت مجموعة كاملة من الأبواق الغاضِبة من السائقين الذين يتحرَّكون في كلا الاتجاهين.

أخبرت ديبرا دوكس: «إنه يتجه غربًا نحو الشارع رقم (135)».

قال دوكس: «أنا أعبر الجسر المُتحرِّك خلفكما».

تساءلت ديبس بصوتٍ عالٍ: «ماذا يوجد في الشارِع رقم (135)؟».

قُلت: «مطار أوبا لوكا، على بُعد بضعة أميال للأمام مُباشرةً».

قالت وهي تلتقِط اللا سلكي: «تبًا، دوكس.. مطار أوبا لوكا من هذا الطريق».

قال: «أنا في طريقي».

كان بإمكاني سماع صوت صفارة الإنذار الخاصّة به تنطلِق قبل أن يُغلِق اللا سلكي.

لطالما حظي مطار أوبا لوكا بشعبيةٍ بين تُجّار المُخدّرات، وكذلك بين هؤلاء الذين يعملون في عملياتٍ سريةٍ، كان هذا ترتيبًا مُفيدًا، مع الأخذ في الاعتبار أن الخط الفاصل بين كليهما كان غالبًا غير واضِح تمامًا، يُمكِن بسهولةٍ أن يكون لدى أوسكار طائرة صغيرة تنتظره هناك، مُستعدةً لإخراجه من البلاد ونقله إلى أي مكان في منطقة البحر الكاريبي أو أمريكا الوسطى أو الجنوبية، مع اتصالات ببقية العالم بالطبع، مع أنني كُنت أشك أنه سيتوجَّه إلى السودان، أو حتى إلى بيروت، كان ذهابه إلى مكانٍ ما في البحر الكاريبي هو الأكثر رجوحًا، لكن على أي حال.. فالخروج من البلاد بدا وكأنه خطوة معقولة في ظل الظروف الحالية، وكان مطار أوبا لوكا مكانًا منطقيًا للبدء.

كانت سُرعة أوسكار تزداد الآن تدريجيًا، على الرغم من أن شارع 135 لم يكُن واسعًا وسهلًا مثل بيسكاين بوليفارد، صعدنا جسرًا صغيرًا يعبُر قناة، زاد أوسكار من سُرعته فجأة وهو يهبط من الجهة الأخرى، قبل أن يفر وعجلاته تصدر صريرًا بين الزحام المروري حول منحنى على شكل حرف (S) في الطريق.

قالت ديبرا: «اللعنة، هناك شيء ما أخافه، لا بُد أنه رآنا».

أسرعت للبقاء خلفه، لا تزال تحافظ على تخلّفها عنه بسيارتين أو ثلاث، على الرغم من أن تظاهرنا بأننا لا نتبعه قد أضحى عديم الجدوى قليلًا الآن.

هناك شيء ما أخافه بالفعل، لأن أوسكار كان يقود بجنون، قريب بشكلٍ خطيرٍ من التصادُم في الزحام المروري أو الصعود إلى الرصيف، وبطبيعة الحال.. لم تكُن ديبس لتسمَح لنفسها بخسارة هذا النوع من مسابقات الهراء، بقيت معه وهي تتجوَّل وسط السيارات التي كانت

لا تزال تحاول التعافي من لقائها مع أوسكار، انعطف إلى الحارة اليُمنى البعيدة، مُجبرًا سيارة بويك قديمة على الدوران بعيدًا، لتصطدِم بالرصيف، وتحطِّم سياجًا معدنيًّا خاصًا بفناء أمامي لمنزل أزرق فاتح.

هل كانت رؤية سيارتنا الصغيرة غير المُميَّزة كافيةً لجعل أوسكار يتصرَّف بهذه الطريقة؟ كان من اللطيف التفكير في ذلك وجعلني هذا أشعر بالأهمية البالغة، لكنني لم أصدِّق ذلك.. حتى الآن، لقد كان يتصرَّف بطريقة هادئة وتحت السيطرة، إذا ما أراد أن يتخلَّص منّا.. فكان من المُرجَّح أن يقوم بسلسلة من الحركات الصعبة المُفاجئة، كأن يتجاوَز الجسر المُتحرِّك وهو يرتفِع، لماذا أصيب بالذُعر فجأة؟ انحنيت للأمام ونظرت عبر المرآة الجانبية فقط من أجل أن أكون قد قُمت بشيءٍ ما، أخبرتني الحروف الكبيرة الموجودة على سطح المرآة أن الأشياء كانت أقرَب مما تبدو، فلتكُن الأشياء على ما هي عليه، كانت هذه فكرة غير سارة للغاية، لأن شيئًا ما ظهر على المرآة في الوقت الحالي.

شاحنة بيضاء مُهشَّمة.

وكانت تتبعنا، وتتبَع أوسكار، تُماشي سُرعتنا، تتحرَّك داخل وخارج الزحام المروري، قُلت: «حسنًا، لم تكُن فكرة غبية بعد كُل شيء».

رفعت صوتي ليعلو فوق صرير الإطارات وصوت أبواق سائقي السيارات الأخرى وأنا أقول: «ديبرا، لا أريد أن أشتِّت انتباهكِ عن قيادتكِ الروتينية، لكن إذا كان لديكِ دقيقة.. هل تستطيعين النظر في المرآة الأمامية؟».

نخرت وهي تقول: «ما الذي من المُفترض أن يعنيه ذلك بحق اللعنة؟».

لكنها حرَّكت عينيها نحو المرآة، من حُسن الحظ أننا كُنا على امتداد طريق مُستقيم، لأنها كادت تنسى للحظة أنها كانت تقود وهي تهمس: «تبًا».

قُلت: «أجل، هذا ما اعتقدته».

ظهر الجسر العلوي الموجود في الطريق (I-95) عبر الطريق أمامه مُباشرةً، وقبل أن يعبُر من تحته مُباشرةً، انحرف أوسكار بعُنفٍ نحو اليمين عبر ثلاث حارات لينعطف في شارعٍ جانبي مواز للطريق السريع، سبَّت ديبرا وهي تسحب سيارتها لتتبعه، قالت: «أخبِر دوكس!».

التقطت اللا سلكي بطاعةٍ وأنا أقول: «نحن لسنا بمُفردنا أيها الرقيب دوكس».

همّس اللا سلكي ودوكس يقول: «ماذا تعني بحق اللعنة؟».

وكأنه سَمِعَ رد ديبرا وأعجبه للدرجة التي جعلته يُردِّده.

قُلت: «لقد انعطفنا يمينًا نحو الجادة السادِسة، وهناك شاحنة بيضاء تتبعنا».

لم أجد ردًا، فقُلت مرة أخرى: «هل ذكرت أن الشاحنة بيضاء؟».

هذه المرة شعرت بالرضا الشديد عندما سمعت الرقيب دوكس ينخَر وهو يقول: «ابن العاهرة».

قُلت: «هذا بالضبط ما اعتقدناه».

قال: «دع الشاحنة تسبقكما وابقيا معهما».

تمتمت ديبرا وهي تجز على أسنانها: «بالطبع».

قبل أن تقول شيئًا أسوأ بكثير، شعرت بالإغراء لقول شيء مُشابِه، لأنه عندما أغلَق دوكس الراديو الخاص به، توجَّه أوسكار إلى أعلى

مُنحدَر الجسر ونحن نتبعه، وفي اللحظة الأخيرة.. تراجَع بسيارته للخلف واتجه إلى أسفل المُنحدر المرصوف باتجاه الجادة السادسة، ارتدّت سيارته وهي تضرب الطريق وترنَّحت يمينًا في حالة سُكر دامت للحظة، قبل أن تعتدِل وتتزايد سُرعتها، ضغطت ديبرا على الفرامِل لندور نصف دورة؛ انزلقت الشاحنة البيضاء أمامنا وارتدَّت عن أسفل المُنحدر، لتُقرِّب المسافة بينها وبين السيارة، وبعد نصف ثانية.. عدَّلَت ديبرا من وضعها لنخرُج من دوراننا ونتوجَّه إلى الشارِع.

كان الطريق الجانبي هنا ضيقًا، يحدّه صف من المنازِل يمينًا، وسد مُرتفِع من الإسمنت الأصفر يسارًا، والطريق رقم (I-95) في الأمام، أسرعنا لتجاوز عدة مبانٍ، توقَّف زوجان عجوزان صغيرا الحجم يُمسِكان بأيدي بعضهما البعض لمُشاهدة موكبنا الصاروخي العجيب، ربما كان ذلك في مُخيّلتي.. لكن بدا كأنهما يتمايلان في مهب الريح الناتِجة عن سيارة أوسكار والشاحنة التي تليها.

قلَّلنا الفارِق قليلًا، واقترَبت الشاحنة البيضاء من السيارة التويوتا بدورها، زاد أوسكار من سُرعته؛ عابرًا علامة توقُّف، وتركنا نلتف من حول شاحنة صغيرة كانت تدور في دائرة في محاولة لتفادي السيارة التويوتا والشاحنة، تمايلت الشاحنة في مناورة خرقاء قبل أن تصطدِم بصنبور مياه حريق، أغلقت ديب فكّها بإحكام وهي تدور حول الشاحنة لتعبُر التقاطع، مُتجاهلةً الأبواق ونافورة المِياه الناتِجة عن الصنبور المُحطَّم، وقلَّلت المسافة مرة أخرى عند المبنى التالي، كان بإمكاني رؤية الضوء الأحمر لتقاطعٍ رئيسي على بُعد عدة بنايات من أوسكار، وحتى من على هذا البُعد.. استطعت رؤية تدفُّق الحركة المرورية الثابِت يتحرَّك عبر التقاطُع، لا يعيش أحد للأبد بالطبع، لكن إذا ما طُلِب مني التصويت..

فليست هذه هي الطريقة التي أرغب في الموت بها حقًا، وبدت مُشاهدة التلفاز بصُحبة ريتا فجأة أمرًا أكثر جاذبية، حاولت التفكير في طريقة مُهذَّبة ومُقنِعة لحث ديبرا على التوقُّف للحظةٍ من أجل شم الزهور، ولكن توقَّف عقلي القوي عن العمل عندما كُنت في أمس الحاجة إليه، وقبل أن أتمكَّن من تشغيله مرة أخرى.. كان أوسكار يقترِب من إشارة المرور.

من المُرجَّح للغاية أن أوسكار قد ذهب إلى الكنيسة هذا الأسبوع، لأن الضوء تحوَّل للأخضَر عندما اخترقَ التقاطُع، تبعته الشاحنة البيضاء عن قُرب، وهي تُفرمِل بشدةٍ لتفادي سيارة زرقاء صغيرة كانت تحاول أن تكسر الإشارة، ثم جاء دورنا، مع الضوء الأخضر تمامًا، انحرفنا حول الشاحنة وكدنا نتجاوزها.. لكن بعد كُل شيء هذه هي ميامي، كسرت شاحنة إسمنت الإشارة خلف السيارة الزرقاء، أمامنا مُباشرةً، ابتلعت ريقي بصعوبة بينما ضغطت ديبرا على دواسة المكابِح وهي تدور حول الشاحنة، ارتطمنا بقوةٍ في الرصيف، صعدت العجلتان الموجودتان ناحية اليسار على الرصيف للحظةٍ قبل أن ترتَد منه للطريق مرة أخرى، قُلت وديبرا تُزيد من سُرعتنا مرةً أخرى: «جيد جدًّا».

ولربما أخذت ديبرا وقتها لتشكرني على مُجاملتي، لو لم تستغِل الشاحنة البيضاء هذه اللحظة للاستفادة من تباطؤنا لتقف بجوار سيارتنا وتتجه نحونا، انحرف الجزء الخلفي من سيارتنا نحو اليسار، لكن ديبرا كافحت لتديره مرة أخرى.

صدمتنا الشاحنة مرةً أخرى، بقوةٍ أكبر، خلف بابي مُباشرةً، وبينما كُنت أترنَّح بفعل قوة الصدمة انفَتح الباب، انحرفت سيارتنا وضغطت ديبرا على الفرامِل، وربما لم تكُن هذه هي أفضل استراتيجية، نظرًا لأن الشاحنة زادت من سُرعتها في اللحظة نفسها، وهذه المرة.. صدم بابي

بقوةٍ شديدةٍ لدرجة أن الباب انفصل وارتدّ بعيدًا، اصطدم بالشاحنة بقوة بالقُرب من العجلة الخلفية قبل أن يدور مثل عجلة مشوَّهة، والشرر يتطاير.

رأيت الشاحنة تتمايل قليلًا، وسمعت صوت الهواء وهو ينبعِث من الإطار المُنفجِر، ثم صدمنا الحائِط الأبيض مرة أخرى، انحرفت سيارتنا بعُنف، اندفعت يسارًا، قفزت فوق الرصيف، واصطدمت بسياجٍ معدني يفصل الرصيف عن المنحدر المؤدي للطريق (I-95).

انزلقنا وكأن الإطارات مصنوعة من الزبدة، كافحت ديبرا مع عجلة القيادة وهي تكشِّر عن أنيابها، كدنا نجتاز الطريق المُنحدر، لكن بالطبع.. ولأنني لم أذهَب للكنيسة هذا الأسبوع، اصطدمت إطاراتنا الأمامية بالرصيف الموجود على جانب المُنحدر الآخر، واصطدمت سيارة دفع رباعي حمراء بمصدنا الخلفي، دُرنا في المنطقة العُشبية الموجودة عند تقاطُع الطريق السريع والمُحيطة ببركةٍ كبيرةٍ، لم يكُن لديّ سوى لحظةٍ لألاحِظ أن العُشب المجزوز يبدو وكأنه يُبدِّل الأماكِن مع سماء الليل، قبل أن ترتَد السيارة بعُنفٍ وتُفتَح وسادة الركّاب الهوائية في وجهي، شعرت وكأنني في قتال بالوسادات مع مايك تايسون، كُنت لا أزال مذهولًا عندما انقلبت السيارة على ظهرها، اصطدمت بالبركة، وبدأت تمتلئ بالمياه.

الفصل العشرون

لا أخجَل من الاعتراف بمواهبي المتواضِعة، على سبيل المثال.. يُسعدني أن أعترِف بأنني فوق المتوسِّط في الانتباه للمُلاحظات البارِعة، أنا موهوب كذلك في جعل الأشخاص يحبونني، ولكي أكون عادلًا تمامًا مع نفسي.. فأنا على استعدادٍ دائمٍ للاعتراف بعيوبي كذلك، وأجبرتني جولة سريعة من البحث عن الذات على الاعتراف بأنني لست جيدًا على الإطلاق في استنشاق الماء، لأنه بينما كُنت مُعلَّقًا من حزام الأمان، مُصابًا بالذهول وأنا أشاهِد المياه تنسكِب وتدور في دوامات حول رأسي، بدأ هذا يبدو وكأنه خلل كبير للغاية في الشخصية.

لم تكُن النظرة الأخيرة التي ألقيتها على ديبرا قبل أن ينغمِر رأسها تحت المياه مُشجِّعة كذلك، كانت تتدلى من حزامها بلا حراك، بعينين مُغلقتين وفمٍ مفتوحٍ، على عكس حالتها المُعتادة، التي ربما لم تكُن علامة جيدة، ثُم غمرت المياه عينيّ، ولم أستطِع رؤية أي شيء على الإطلاق.

أود أيضًا أن أعتقِد أنني قادِر على التصرُّف بشكلٍ جيدٍ في حالات الطوارئ غير المتوقّعة، لذلك أنا مُتأكِّد تمامًا من أن حالة اللا مُبالاة المُفاجِئة التي كُنت أمر بها كانت نتيجة إصابتي بالارتجاج ومن ثم صفعي بوسادة هوائية، على أي حال.. علِقت هناك في المياه رأسًا على عَقِب لما بدا وكأنه وقت طويل، وأشعر بالخجل للاعتراف بأنني حَزِنت على وفاتي مُعظَم الوقت، ديكستر العزيز الراحِل، كان واعدًا

للغاية، فالكثير من الركَّاب المُظلمين ما زالوا بحاجةٍ للتشريح، وها هو يرحَل بشكلٍ مأساوي في أوج عطائه، وللأسف.. كذلك الراكِب المُظلِم، كُنت أعرفه جيدًا، المسكين كان على وشك الزواج أخيرًا، يا له من حزنٍ.. تخيَّلت ريتا ترتدي الأبيض، تنتحِب في المذبَح، وطفلين صغيرين ينوحان تحت قدميها، استور الصغيرة الجميلة، شعرها مُصفَّف في فقاعةٍ مُنتفِخةٍ، أصبح فستان اشبينة العروس الأخضر الفاتِح غارقًا في الدموع الآن، وكودي الهادئ في بدلته التوكسيدو الصغيرة، يُحدِّق في مؤخّرة الكنيسة وينتظِر، يُفكِّر في رحلة صيدنا الأخيرة، ويتساءل.. متى سيتمكَّن من دفع السكين إلى الداخل ويلفّها ببطءٍ شديدٍ، ليُشاهِد الدم الأحمر الساطِع يتدفَّق على النصل ويبتسِم، ثُمّ..

تمهَّل يا ديكستر، من أين أتيت بهذه الفكرة؟ بالطبع كان هذا سؤالًا بلاغيًا، لن أكون في حاجة لقعقعة المُتعَة المُنخفِضة الصادِرة عن صديقي الداخلي القديم لتُعطيني الإجابة، لكن بفضل توجيهاته.. استطعت تجميع بضع قطع مُتناثِرة إلى نصف لُغز وأدركت أن كودي..

أليس غريبًا ما نُفكِّر فيه بينما نموت؟ كانت السيارة قد استقرَّت على سقفها المُهشَّم، تتحرَّك بما لا يتعدى هزَّة لطيفة في الوقت الحالي، ومليئة عن آخرها بالماء الكثيف الموحِل لدرجة أنني لن أتمكَّن من رؤية مُسدَّس إشارة لو أطلِق من أمام أنفي، إلا أنني استطعت رؤية كودي بوضوحٍ تامٍ، أكثر وضوحًا من المرة الأخيرة التي كُنا فيها بنفس الغُرفة معًا؛ يرتفِع ظل داكن عملاق من خلف تلك الصورة الحادة لهيئته الصغيرة، شكل أسود دون ملامِح، يبدو بطريقةٍ ما وكأنه يضحَك.

هل هذا مُمكِن؟ فكَّرت مرة أخرى في الطريقة التي وضع فيها السكين بسعادةٍ بالغةٍ في سمكته، فكَّرت في رد فعله الغريب تجاه كلب

الجيران المفقود، والمُشابِه لحدٍ كبيرٍ لرد فعلي عندما سئلت عندما كُنت صبيًا عن كلب الجيران الذي كُنت قد أخذته وأجريت عليه تجربة، وتذكَّرت أنه قد مرَّ -بدوره- بحدثٍ صادمٍ كالذي مررت به، عندما هاجمه والده البيولوجي هو وشقيقته في نوبة غضب مُرعِب وهو تحت تأثير المُخدّرات، وضربهما بكرسي.

كان أمرًا لا يُمكِن تصوّره تمامًا، فكرة سخيفة، لكن.. كانت كُل القطع هناك، تصنع منطقًا شعريًا مثاليًا.

كان لديّ ابن.

شخص ما مثلي تمامًا.

لكن لم يكُن هناك أب مُتبنٍ حكيم ليقود أولى خطوات ابنه في عالم التشريح والتقطيع؛ لم يكُن هناك هاري الذي يرى كُل شيء موجودًا ليُعلِمه كيف يكون كُل ما كان عليه، للمُساعدة في تغييره من طفلٍ بلا هدف مع دافِع عشوائي للقتل إلى بطلٍ خارقٍ، لا أحد ليوجِهه بحذرٍ وصبرٍ عبر المآزِق ونحو نصل سكين المُستقبل اللامِع، لا أحد على الإطلاق لكودي، ليس وديكستر يموت هنا والآن.

قد يبدو ميلودراميًا للغاية بالنسبة لي أن أقول: (لقد دفعتني الفكرة للتصرُّف الغاضِب)، وأنا لا أكون ميلودراميًا إلا لسببٍ، وعندما يكون هناك جمهور، ومع ذلك.. عندما أصابني إدراك حقيقة طبيعة كودي، سمعت أيضًا، صوتًا عميقًا مُتحرِّرًا مثل الصدى يقول: (فك حزام الأمان يا ديكستر)، وبطريقةٍ ما.. تمكّنت من تحريك أصابعي الضخمة الخرقاء فجأة إلى قفل الحزام، وحاولت تحريره، بدا الأمر وكأنني أحاول أن أمرِّر قطعة من لحم الخنزير عبر ثقب إبرة، لكنني لكزته وضغطت عليه وفي النهاية.. شعرت بشيءٍ خاطيءٍ، بالطبع كان هذا يعني أنني اندفعت

للأسفل ليصطدِم رأسي بالسقف، ضربة قاسية قليلًا بالنظر لأنني كُنت مُغطى بالمياه، لكن الدهشة الناتِجة عن صدمة رأسي أزاحَت قليلًا من خيوط العنكبوت، قُمت بتعديل وضعي ووصلت إلى الفتحة التي كان باب السيارة يحتلّها قبل أن يتحطَّم، تمكَّنت من سحب نفسي للأعلى مُتجِهًا بوجهي أولًا من على بُعد عدة بوصات من الوحل في قاع البركة.

عدَّلت من وضعي وركلت بقدمي بقوةٍ نحو السطح، كانت ركلةً ضعيفةً إلى حدٍ ما، لكنها جيدة بما فيه الكفاية بما أن المياه كانت بعُمق ثلاثة أقدام فقط، ساعدتني الركلة على أن أجِد موطئًا لركبتيّ ثم أقِف على قدمين غير ثابتتين، ولدقيقةٍ.. وقفت هناك في الماء أعُب الهواء الرائع عبًا، الهواء شيء رائع ومُستهان بتقديره، إننا حقًا لا نُقدِّر قيمة الأشياء أبدًا إلا حينما يتعيَّن علينا أن نُحرَم منها، فيا لها من فكرةٍ مُروّعةٍ أن تتخيَّل كُل المساكين الموجودين في هذا العالم والذين يتعيَّن عليهم الحرمان من الهواء، أناس مثل..

ديبرا!

لربما فكَّر الإنسان الحقيقي في شقيقته الغارِقة في وقتٍ أقرَب بكثير، لكن بحقكم.. لنكن مُنصفين، لا يُمكِن للمرء توقُّع الكثير من مُقلَّد بعدما مررت به لتوي، وها أنا ذا قد فكَّرت بها الآن بالفعل، ربما لا زال هذا هو الوقت المُناسِب لفعل شيء ذي معنى، لكن على الرغم من أنني لم أكُن أمانِع حقًا أن أهرع لإنقاذها، فإنه لم يسعني إلا التفكير في أننا كُنا نسأل كثيرًا عن ديكستر المُغامِر المُطيع هذه الليلة، أليس كذلك؟ ولم يكُد عليّ الخروج منه حتى اضطرِرت للعودة مرة أخرى.

ورغم ذلك.. فالأسرة لها الأولوية، ولم تفدني الشكوى أبدًا، أخذت نفسًا عميقًا وانزلقت تحت الماء الموحل مرةً أخرى، أشق طريقي عبر

الباب إلى المقعد الأمامي لسيارة ديبرا المقلوبة، ضربني شيء ما على وجهي قبل أن يجذبني من شعري، كُنت آمل أن تكون ديبرا بنفسها، لأن أي شيء آخر يتحرَّك في الماء سيكون له أسنان أكثر حدةً، تقدَّمت وحاولت أن أفلِت من أصابعها، كان من الصعب بما فيه الكفاية أن أكتم أنفاسي وأتخبَّط دون رؤية واضِحة فضلًا عن الحصول على قصة شعر مُرتجلة في الوقت نفسه، لكن ديبرا تمسَّكت بقوةٍ.. التي كانت علامة جيدة، لأنه بطريقةٍ ما.. كان هذا يعني أنها ما زالت على قيد الحياة، لكنها تركتني أتساءل عمَّا سيستسلِم أولًا، تُراها رئتي أم فروة رأسي؟ هذا لن يحدُث أبدًا؛ استخدمت كلتا يديّ في العمل، ونجحت في تحرير تسريحة شعري الناعِم من قبضتها، ثم تبعت يدها وصولًا إلى كتفها قبل أن أتحسَّس جسدها إلى أن وجدت حزام الأمان، هبطت بيدي للأسفل نحو القفل وضغطت زر التحرير.

حسنًا.. كان عالِقًا بالطبع، أعني أننا نعرِف بالفعل أن اليوم هو أحد تلك الأيام.. أليس كذلك؟ لقد حدثت تلك الأمور واحِدةً تلو الأخرى، وحقًا.. كان من الصعب جدًّا أن نأمَل أن يسير ولو حتى شيء واحد على ما يُرام، وللتأكيد فقط على هذه النُقطة.. انفجر شيء ما بصوتٍ خافتٍ في أذني، وأدركت أن الوقت قد نفد من ديبرا وأنها الآن تجرِّب حظّها في استنشاق الماء، كان من المُمكِن أن تكون أفضل مني في ذلك، لكنني لم أعتقِد هذا.

غطست إلى الأسفل في المياه، قُمت بتثبيت ركبتيّ على سقف السيارة، ضغطت بكتفي على الجزء الأوسط من جسد ديبرا ودفعتها كي أزيل وزنها عن حزام الأمان، ثم قُمت بسحب أكبر قدر مُمكِن من الحزام بينما هبطت للقفل وجعلته يمر من خلاله، مما جعل الحزام

مرنًا وفضفاضًا للغاية، حرَّرت قدمي وسحبت ديبرا من الحزام نحو الباب، بدت مرتخيَة قليلًا بدورها، ربما قد فات الأوان على كُل جهودي الشجاعة، عبرت الباب وسحبتها من خلفي، تعلَّق قميصي بشيءٍ ما في مدخل الباب وتمزَّق، لكنني سحبت نفسي عبره على أي حال، مُتجهًا للأعلى مرةً أخرى نحو هواء الليل.

كانت ديبرا ثقيلة الوزن بين ذراعيّ وانسال تيار ضعيف من الماء الموحل من زاوية فمها، رفعتها على كتفي وخضت في الوحل وصولًا إلى العشب، قاومني الوحل في كُل خطوة خطوتها، ففقدت فردة حذائي اليُسرى قبل أن أبتعِد عن السيارة أكثر من ثلاث خطوات، لكن في النهاية استبدال الأحذية أسهل كثيرًا من استبدال الشقيقات، لذا استبسلت حتى استطعت الصعود إلى العُشب، قبل أن أسجي ديبرا على ظهرها فوق الأرض الصلبة.

ومن مسافةٍ قريبةٍ سمعت عويل صفارة إنذار، قبل أن تنضم إليها واحدة أخرى على الفور، ولسعادتي وهنائي: كانت المُساعدة في الطريق، ربما سيكون لديهم حتى ولو منشفة، في غضون ذلك.. لم أكُن مُتأكِّدًا من وصولهم في الوقت المُناسِب لتقديم أي مُساعدة مُفيدة لديبرا، لذلك هبطت إلى جوارها، أسندت رأسها وهو موجه للأسفل على ركبتيّ، وأجبرتها على طرد أكبر قدر مُمكِن من الماء، قبل أن أسجيها على ظهرها ثانيةً، لأزيل قدرًا لا بأس به من الطين بأصبعي من فمها، ثم بدأت في إنعاشها عن طريق الفم.

في البداية.. كانت مُكافأتي الوحيدة هي دفقة أخرى من المياه الموحلة، التي لم يكُن لها دور في جعل الأمر أكثر مُتعةً، لكنني حافظت على الأمر، وسُرعان ما شعرت بديبرا تقشعِر مُتشنّجةً وهي تتقيأ الكثير

من الماء، لسوء الحظ.. جاء أغلبه عليّ، سعلت بشكلٍ مروّع، قبل أن تأخُذ نفسًا عميقًا بدا وكأنه مفصلات باب صدئ تُفتَح، وهي تقول: «تبًا..».

وللمرة الأولى.. قدَّرت حقًا بلاغتها القاسية الساخِرة، قُلت: «مرحبًا بعودتكِ».

انقلبَت ديبرا بضعفٍ على وجهها وحاولت دفع نفسها للأعلى استنادًا على يديها ورُكبتيها، لكنها سقطت على وجهها مرةً أخرى، وهي تلهث من الألم.

أَنَّت قائلةً: «يا إلهي، تبًا.. هناك شيء ما مكسور».

أدارت رأسها جانبًا وتقيأت قليلًا، راقبتها وظهرها يتقوَّس وهي تعب الهواء في أنفاسٍ مُتصاعدةٍ من بين تشنُّجات الغثيان، راقبتها، وسأعترِف.. أنني شعرت بالقليل من السعادة بنفسي، تقدَّم ديكستر البطة الغوَّاصة وأنقذ اليوم، سألتها: «أوليس التقيؤ رائعًا؟ أعني مُقارنةً بالبديل؟».

بالطبع لم تكُن الفتاة المسكينة قادِرة على تقديم رد قاسٍ في مثل تلك الحالة من الضعف، لكنني كُنت سعيدًا لرؤية أنها كانت قوية بما يكفي لتهمس: «تبًا لك».

سألتها: «أين موضع الألم؟».

قالت بصوتٍ ضعيفٍ للغاية: «اللعنة، لا أستطيع تحريك ذراعي اليُسرى، الذراع بأكملها..».

صمتت وحاولت تحريك الذراع المقصودة، ولم تنجَح إلا في التسبُّب بما يُشبِه قدرًا كبيرًا من الألم، أَنَّت من بين أنفاسها، وهو الأمر

الذي جعلها تسعل بضعفٍ مرة أخرى، قبل أن تنقلِب على ظهرها وهي تلهث.

ركعت بجانبها وفحصت أعلى الذراع بلُطفٍ وأنا أسألها: «هنا؟».

هزَّت رأسها، فحرَّكت يدي للأعلى، فوق مفصل الكتف وعظمة الترقوة، ولم يتحتَّم عليّ حتى أن أسألها إذا ما كان هذا هو المكان، شهقت، وارتعدت عيناها، كان بإمكاني رؤيتها ولونها يشحَب أكثر حتى رغم الطين الذي يملأ وجهها، قُلت: «عظمة ترقوتكِ مكسورة».

قالت بصوتٍ أجشٍ ضعيفٍ: «لا يُمكِن أن يكون الأمر كذلك، عليّ أن أجد كايل».

قُلت: «لا، عليكِ أن تذهبي إلى غُرفة الطوارئ، إذا ما ذهبتِ لتتعثري وأنتِ بمثل هذه الحالة.. فسينتهي بكِ الأمر إلى جواره، مُقيَّدة ومربوطة بإحكام، وهذا لن يُفيد أي شخص».

قالت: «عليّ أن أفعل ذلك».

«لقد أخرجتكِ للتو من سيارة تحت الماء يا ديبرا، مُمزّقًا قميص بولينج لطيفًا جدًا، هل تريدين أن تُضيعي إنقاذي البطولي الجيد للغاية؟».

سعلت مرةً أخرى، ونخرت من ألم ترقوتها وهي تتحرَّك مع تنفُّسها المُتقطِّع، كان بإمكاني معرفة أنها لم تنته من الجدال بعد، لكنها بدأت تُدرِك أنها تُعاني من ألمٍ شديدٍ، وبما أن مُحادثتنا لم تكُن لتذهَب إلى أي مكان، فقد وصل دوكس، وتبعه على الفور زوج من المُسعفين.

نظر إليّ الرقيب الصالِح بجديةٍ، كما لو أنني قد قُمت بدفع السيارة بنفسي إلى البركة قبل أن أقلبها على ظهرها، وهو ما بدا ظالمًا للغاية، قال: «فقدتهم؟ أليس كذلك؟».

قُلت: «نعم، اتضح أن الأمر أصعب مما ظننت بكثير لنتعقَّبه بينما نحن مقلوبان رأسًا على عقِب تحت سطح الماء، المرة القادِمة جرِّب أنت القيام بهذا الجزء، وسأقف أنا هنا مُتذمّرًا».

حدَّق بي دوكس قبل أن ينخُر، ثم ركع بجوار ديبرا وهو يقول: «هل أصبتِ؟».

قالت: «الترقوة، إنها مكسورة».

كانت صدمتها تتلاشى سريعًا، وهي تقاوِم الألم عن طريق عض شفتها وأخذ أنفاس خشِنة، كُنت آمل أن يكون لدى المُسعفين شيء أكثر فاعليةً من أجلها.

لم يقُل دوكس شيئًا، رفع ناظره إليّ فحسب، مدَّت ديبرا يدها السليمة لتجذب ذراعه وهي تقول: «دوكس».

عاد بنظره إليها، فقالت: «اعثر عليه».

راقبها لتوه وهي تصر على أسنانها وتلهث عبر موجة أخرى من الألم.

قال واحد من المُسعفين: «قادمان من هنا».

كان شابًا نحيفًا بقصة شعر شائِكة، قام وشريكه الأكبر سنًا والأثقل وزنًا بالمناورة عبر السياج المعدني الذي تركت فيه سيارة ديبرا فجوة وهما يحملان نقالتهما، حاول دوكس أن يقف ليسمح لهما بالوصول إلى ديبرا، لكنها جذبت ذراعه بقوةٍ مُفاجئةٍ.

قالت مرة أخرى: «اعثر عليه».

أومأ دوكس فحسب، لكن هذا كان كافيًا بالنسبة لها، تركت ديبرا ذراعه، فوقف ليُفسِح مكانًا للمُسعفين، اللذين انقضا إلى الداخل

وفحصاها سريعًا، قاما بنقلها على نقالتهما، رفعاها للأعلى وبدآ في دفعها نحو سيارة الإسعاف المُنتظِرة، راقبتها تمضي، مُتسائلًا عمّا حدث لصديقنا العزيز في الشاحنة البيضاء، كان لديه إطار مثقوب.. فإلى أي مدى يُمكِن أن يصِل؟ بدا من المُمكِن أن يُحاوِل الانتقال إلى مركبة أخرى، بدلًا من التوقُّف والاتصال بخدمات الطريق لمُساعدته في تغيير الإطار، إذًا هو في مكانٍ قريبٍ، ومن الوارد للغاية أن نجد الشاحنة مهجورة وأن نجد سيارة مفقودة.

مدفوعًا بكونه قد بدا كريمًا للغاية، وبغض النظر عن سلوكه تجاهي، انتقلت لأخبر دوكس بأفكاري، لكنني كُنت قد خطوت خطوة ونصف فقط نحوه عندما سمعت ضجةً قادمةً في اتجاهنا، استدرت لألقي نظرة، كان رجلًا مُكتنزًا في مُنتصف العُمر يرتدي سرواله الداخلي فقط يركض في مُنتصف الشارع نحونا، كان بطنه يتدلى من فوق رباط سرواله المطاطي ويهتز بشدةٍ وهو قادِم إلينا، كان من الواضِح أنه لم يحظ بكثيرٍ من التدريب على الركض، وجعل الأمر أكثر صعوبة على نفسه بأن لوَّح بيديه فوق رأسه وهو يصيح بينما يركض: «مهلًا! مهلًا! مهلًا!».

بمُجرَّد أن عبر مُنحدر الطريق السريع ووصل إلينا، كان لاهثًا، يشهق بشدةٍ، مما جعل تمكُّنه من قول أي شيء مُتماسِك أمرًا صعبًا للغاية، لكن كانت لديّ فكرة جيدة للغاية عما أراد قوله.

شهق قائلًا: «السائنة».

أدركت أن أنفاسه المقطوعة ولكنته الكوبية قد اجتمعتا سويًا، كان يحاول أن يقول: «الشاحنة».

قُلت بينما نظر لي دوكس: «شاحنة بيضاء؟ بإطارٍ مثقوب؟ وسيارتك اختفت؟».

لكن الرجل اللاهِث هزَّ رأسه وهو يقول: «شاحنة بيضاء بالتأكيد، أعتقِد أن هناك كلبًا بداخلها، وربما كان مُصابًا».

توقَّف ليتنفَّس بعُمقٍ حتى يتمكَّن من نقل الرعب الكامِل لما رآه قبل أن يقول: «وثمَّ...».

لكنه كان يُهدر أنفاسه الثمينة، لأنني كُنت أركض أنا ودوكس في الشارِع نحو الاتجاه الذي أتى منه.

الفصل الواحد والعشرون

على ما يبدو.. فالرقيب دوكس نسي أن من المُفترَض به أن يتبعني، لأنه سبقني إلى الشاحنة بنحو عشرين قدمًا، بالطبع مثَّل امتلاكه لكلا حذائيه ميزة كبيرة للغاية، لكنه مع ذلك.. كان يتحرَّك بشكلٍ جيدٍ، اندفعت الشاحنة على الرصيف أمام منزل برتقالي فاتِح مُحاط بجدار من الصخور المرجانيّة، اصطدَم المصد الأمامي بعمود صخري وأسقطه، وكان جزء السيارة الخلفي مائلًا لمواجهة الشارع فأصبحنا قادرين على رؤية اللون الأصفر الساطِع لعبارة: اختر الحياة، على لوحة الترخيص.

كان الباب الخلفي مفتوحًا بالفعل بحلول الوقت الذي لحِقت فيه بدوكس، وسمعت ضوضاء النحيب قادمةً من الداخل، لم يبد أشبه بالكلب كثيرًا هذه المرة، أو ربما كُنت قد اعتدت عليه فحسب، كانت طبقة الصوت أعلى قليلًا من قبل، وأكثر تقطُّعًا بقليلٍ، أقرب للقرقرة الصاخِبة منها للعويل، لكن لا يزال من المُمكِن تمييزها كنداء واحد من الموتى الأحياء.

كان مربوطًا بمقعد سيارة لا ظهر له تم قلبه إلى الجانب، لذلك كان مُمدّدًا بطول الجُزء الداخلي، كانت عيناه القابِعتان في تجويفيهما الخاليين من الجفون تتحرَّكان بجنونٍ ذهابًا وإيابًا، للأعلى وللأسفل، تم تجميد الفم الخالي من الأسنان وعديم الشفتين على شكل حرف (O) دائري،

وكان يتشنَّج بنفس الطريقة التي يتشنَّج بها الرُضَّع، ودون ذراعين أو ساقين.. لم يكُن بإمكانِه التحكُّم في أي حركة كبرى.

قرفَصَ دوكس فوقه، ناظِرًا للأسفل نحو ما تبقى من وجهه مع نقص حاد في التعبير وهو يقول: «فرانك».

وحرَّك الشيء عينيه تجاهه، توقَّف العويل للحظةٍ، ثم استؤنِفَ بطبقةٍ أعلى، عويل مليء بالعذاب يبدو وكأنه استجداء لشيءٍ ما.

سألته: «هل تعرَّفت عليه؟».

أومأ دوكس قائلًا: «فرانك أوبري».

سألته: «كيف يُمكِنك أن تُجزِم بذلك؟».

لأنه قد تعتقِد أنه من الصعب للغاية التميز بين جميع البشر السابقين الموجودين في تلك الحالة، العلامة الوحيدة المُميَّزة التي كان بإمكاني رؤيتها هي تجاعيد الجبهة.

استمرَّ دوكس في النظر إليه، لكنه نخر مرة وأومأ برأسه إلى جانب الرقبة قائلًا: «الوشم، إنه فرانك».

نخر مرةً أخرى، ومال للأمام وهو يقطف قطعة صغيرة من الورق كانت محشورة في المقعَد، ملت للأمام لأحظى بنظرةٍ: وبنفس الخط الرديء الذي رأيته من قبل.. كتب الدكتور دانكو: (HONOR).

قال دوكس: «أحضِر المُسعفين».

أسرعت إلى حيث كانا على وشك إغلاق باب سيارة الإسعاف الخلفي، وسألتهما: «هل لديكما مكان لشخصٍ آخر؟ لن يأخُذ مساحةً كبيرةً، لكنه سيحتاج لتخديرٍ مُكثَّف».

سألني ذو الشعر الشائِك: «ما هي حالته الصحيَّة؟».

كان سؤالًا جيدًا للغاية ليسأله شخص ما يعمل بمهنته، لكن الإجابة الوحيدة التي خطرت لي بدت مُبتذلة بعض الشيء، لذلك قُلت فحسب: «أعتقِد أنك قد تحتاج لتخديرٍ مُكثَّف بدورك».

نظرا لي وقد اعتقدا أنني أمزَح ولا أقدِّر خطورة الموقف حقًا، ثم نظرا إلى بعضهما البعض وهزَّا أكتافهما، قال أكبرهما: «حسنًا يا صديقي، سنضغطه هنا».

هزَّ المُسعِف ذو الشعر الشائِك رأسه، لكنه استدار وفتح باب سيارة الإسعاف الخلفي مرةً أخرى وبدأ في سحب النقَّالة.

وبينما كانا ينزلان الكُتلة من شاحنة دانكو المُحطَّمة، صعدت إلى الجُزء الخلفي لسيارة الإسعاف لأرى كيف تُبلي ديبرا، كانت عيناها مُغلقتين وبدت شاحِبة للغاية، لكن بدا كأنها تتنفَّس بسهولةٍ، فتحت إحدى عينيها ونظرت لي قائلةً: «نحن لا نتحرَّك».

«حطَّم دكتور دانكو شاحِنته».

توتَّرَت وحاولت الجلوس، كانت كلتا عينيها مفتوحة وهي تسأل: «هل قبضتما عليه؟».

«لا يا ديبس، حصلنا على راكِبه، أعتقِد أنه كان على وشك تسليمه، لأن كُل شيء كان قد انتهى».

كُنت أعتقِد أنها كانت شاحِبة من قبل، لكنها كانت الآن على وشك الاختفاء وهي تقول: «كايل».

قُلت لها: «لا، دوكس يقول أنه شخص ما يُدعى فرانك».

«هل أنت مُتأكِّد؟».

«يبدو واثِقًا، هناك وشم على عنقه، إنه ليس كايل يا شقيقتي».

أغلَقت ديبرا عينيها وهي تنهار للأسفل على السرير كبالون ينكمِش قبل أن تقول: «حمدًا لله».

قُلت: «آمل أنكِ لا تُمانعين مُشاركة سيارتكِ مع فرانك».

هزَّت رأسها وهي تقول: «لا أمانِع ذلك».

ثم فتحت عينيها مرة أخرى لتقول: «لا تعبث مع دوكس يا ديكستر، ساعده في إيجاد كايل من فضلك».

لا بُد أن هذا من تأثير المُخدِّر، لأن بإمكاني عدّ المرات التي سمعتها تطلُب فيها شيئًا ما بنبرةٍ حزينةٍ على أصبع واحِد، قُلت: «حسنًا يا ديبس، سأبذل قصارى جُهدي».

أغلقت عينيها مرة أخرى وهي تقول: «شكرًا».

عُدت إلى شاحنة دانكو في الوقت المُناسِب لأرى المُسعِف الأكبر سنًا وهو يستقيم من حيث كان من الواضِح أنه يتقيأ، ويستدير للتحدُّث مع شريكه، الذي كان يجلس على الرصيف يهمهم لنفسه بصوتٍ أعلى من الأصوات التي ما زال فرانك يُصدِرها من الداخل، قال أكبرهما: «تعالَ يا مايكل، تعالَ يا صديقي».

لم يبدُ مايكل مُهتمًا بالحركة، باستثناء التأرجُح ذهابًا وإيابًا وهو يُردِّد: «يا الله، يا إلهي، يا الله».

قرَّرت أنه ربما لا يحتاج إلى تشجيعي، فاتجهت نحو باب سائق الشاحنة، كان مفتوحًا على مصراعيه، فنظرت للداخل.

لا بُد أن دكتور دانكو كان في عجالةٍ من أمره، لأنه ترك ماسحًا باهِظ الثمن خلفه، من ذلك النوع الذي تستخدِمه قوَّات الشرطة ومُراسلو القنوات الإخبارية لمُراقبة حركة الراديو في حالات الطوارئ، كان من

الُمريح جدًّا معرفة أن دانكو كان يتَتَبعنا بهذه الطريقة، وليس بنوعٍ من القوى السحرية.

بخلافِ ذلك.. كانت الشاحنة نظيفة، لم يكُن هناك دفتر أعواد ثِقاب، ولا قُصاصة ورق مكتوب عليها عنوان أو كلمة مُشفَّرَة مكتوبة باللاتينية على ظهرها، لا شيء يُمكِن أن يُعطينا أي نوع من أنواع الأدلّة على الإطلاق، ربما يتضِح أن هناك بصمات أصابع، لكن بما أننا نعرِف بالفعل من الذي كان يقودها، فهذا لا يبدو مُفيدًا للغاية.

التقطت الماسِح وتوجَّهت إلى مؤخرة الشاحنة، كان دوكس يقف إلى جانب الباب الخلفي المفتوح، بينما استطاع المُسعِف الأكبر سنًا أن يجعل شريكه يقف على قدميه أخيرًا، أعطيت دوكس الماسِح وأنا أقول: «كان في المقعد الأمامي، كان يستمِع إلينا».

نظر دوكس إليه فحسب ووضعه داخل الباب الخلفي للشاحنة، ونظرًا لأنه لم يبدُ مُهتمًا بالثرثرة بشكلٍ كبيرٍ، سألته: «هل لديك أي فكرة حول ما يجب أن نفعله بعد ذلك؟».

نظر لي دون أن يقول أي شيء، ونظرت للخلف بترقُّب، وأفترِض أنه كان بإمكاننا الوقوف هكذا حتى يُعشِّش الحمام فوق رؤوسنا، لولا أن قال المُسعِف الكبير: «حسنًا يا رفاق».

تنحينا جانبًا لنسمح لهما بالوصول إلى فرانك، بدا أن المُسعِف مُمتلئ الجسد كان بخيرٍ في الوقت الحالي، كما لو كان هنا ليضع جبيرة لصبي بكاحلٍ ملتوٍ، ومع ذلك.. كان شريكه لا يزال يبدو غير سعيد بعض الشيء، كان بإمكاني سماع صوت أنفاسه حتى من على بُعد ست أقدام.

وقفت بجوار دوكس وراقبتهما يضعان فرانك فوق النقَّالة ويدفعانها بعيدًا، عندما نظرت إلى دوكس.. كان يُحدِّق بي ثانيةً، وابتسَم لي ابتسامته غير السارّة مرةً أخرى، قال: «لم يعد هناك سوانا، وأنا لا أعرِف بشأنك».

استند إلى الشاحنة البيضاء المُحطَّمة وهو يعقد ذراعيه، سمعت المُسعفين وهُما يُغلقان باب سيارة الإسعاف، وبعد لحظة.. سمعت صفَّارة الإنذار تدوي، قال دوكس ثانيةً: «أنا وأنت فحسب، دون مزيد من الحُكَّام».

قُلت: «هل هذا مزيد من حكمتك القروية البسيطة؟».

لأنه ها أنا ذا.. قد ضحيت بحذائي الأيسر بالكامِل، وبقميص بولينج جميل للغاية، ناهيك عن هوايتي، عظمة ترقوة ديبرا، وسيارة تعمل بمُحرِّك جيد للغاية، وها هو يقف هناك بدون أي تجعُّد في قميصه، ليُدلي بمُلاحظاتٍ عدائيةٍ غامضةٍ، كان هذا الرجل غير معقول حقًا.

قال: «أنا لا أثِق بكَ».

أعتقِد أنها علامة جيدة للغاية أن ينفتِح الرقيب دوكس معي من خلال مُشاركة مشاعره وشكوكه، ورغم ذلك.. شعرت بأنني يجب عليّ أن أبقيه مركزًا، قُلت: «هذا لا يهم، الوقت ينفد منا، بعد أن انتهى من فرانك وسلَّمه، فسيبدأ دانكو بالعمل على كايل الآن».

أمال رأسه إلى الجانب ثُم هزّه ببطءٍ وهو يقول: «لا تهتم بشأن كايل، كان كايل يعرف ما سيؤول إليه، ما يهم الآن هو الإمساك بالدكتور».

قُلت: «كايل يهم أختي، وهو السبب الوحيد لوجودي هنا».

أومأ دوكس برأسه ثانيةً وهو يقول: «جيد للغاية، هذا يُمكِن أن أصدِّقه».

ولسببٍ ما.. كانت لديّ فكرة، أعترِف أن دوكس كان مُزعِجًا بشكلٍ هائلٍ، ولم يكُن ذلك لأنه أبعدني عن أبحاثي الشخصية الهامة فحسب، على الرغم من أن هذا سيئ بما فيه الكفاية، لكن ها هو الآن ينتقِد تمثيلي، وهو الأمر الذي تعدى حدود كُل سلوك مُتحضِّر، لذلك ربما كانت الحاجة أم الاختراع، لا يبدو الأمر بتلك الشاعرية، لكن ها هو ذا، على أي حال.. فُتِح باب صغير في جُمجمة ديكستر المُترَّبة ولمع خارجًا منه ضوء خافت؛ كانت قطعة رائعة من النشاط الذهني، بالطبع قد لا يُفكِّر دوكس في الأمر كثيرًا، ما لم أتمكَّن من مُساعدته في معرفة ما هي الفكرة الجيدة في الواقِع، لذا أعطيته فُرصة، شعرت وكأنني مثل باجز باني وهو يحاول إقناع إلمر فاد[1] بفعل شيء مُميت، لكن الرجل كان يستحِق ذلك، قُلت: «ديبرا هي عائلتي الوحيدة أيها الرقيب دوكس، وليس من الصواب أن تُشكِّك في التزامي على وجه الخصوص».

أنهيت حديثي وأنا أقاوِم رغبةً عارمةً في تلميع أظافري مثلما يفعل باجز باني، وأنا أضيف: «بما إنك حتى الآن لم تفعل الكثير».

مهما كان أيضًا، كقاتِل بدمٍ باردٍ وما إلى ذلك، كان الرقيب دوكس لا يزال قادِرًا على الشعور بالعواطِف، ربما كان هذا هو الفارق الضخم بيننا، والسبب الذي جعله يحاول الإبقاء على قبعته البيضاء مُثبتةً بإحكامٍ فوق رأسه وهو يُقاوِم ما يبدو وكأنه في صفه، على أي حال.. كان بإمكاني رؤية موجة الغضب وهي تتصاعد على وجهه، وعميقًا بالداخل كان هناك صوت هدير يكاد يكون مسموعًا من ظله الداخلي، قال: «لم أفعل الكثير، هذا جيد أيضًا».

---

(1) باجز باني وإلمر فاد: شخصيات كارتونية.

قُلت بحزمٍ: «لم تفعل الكثير، قُمنا أنا وديبرا بكُل العمل، وتحمَّلنا جميع المخاطِر، وأنت تعرِف ذلك».

برزت عضلات فكه لدقيقةٍ وكأنها على وشك أن تقفِز على وجهي لتخنقني، وتحوَّل الهدير الداخلي الصامِت إلى زئيرٍ تردَّد صداه على راكبي المُظلِم، الذي استقام وأجابه، وقفنا بهذه الطريقة، وظلّانا العملاقان يخرجان ليتواجها بشكلٍ خفيٍ أمامنا.

لربما.. لربما كانت هناك قطع من اللحم المُمزَّق وبرك من الدماء في الشوارِع لو لم تختر سيارة الدورية تلك اللحظة لتتوقَّف بجانبنا وتُقاطعنا، قفز منها شاب صغير، أمسَكَ دوكس شارته من جديد وحملها تجاههم دون أن يبعد عينيه عني، قام بإشارةٍ بيده الأخرى ليصرفهم بعيدًا، تراجَع الشُرطي ودسَّ رأسه داخل السيارة ليتشاوَر مع شريكه.

قال لي الرقيب دوكس: «حسنًا، هل لديكَ فكرة ما؟».

لم تكُن مثالية حقًا، كان باجز باني ليجعله يُفكِّر في الأمر بنفسه، لكنها كانت جيدة بما فيه الكفاية، قُلت: «في الحقيقة.. لديّ فكرة، لكنها محفوفة بالمخاطِر بعض الشيء».

قال: «اعتقدت هذا».

قُلت: «إذا كان هذا مُبالغًا فيه بالنسبة لك، فلتأتِ بشيءٍ آخر، لكنني أعتقِد أن هذا كُل ما يُمكِننا القيام به».

كان بإمكاني رؤيته يفكِّر في الأمر، كان يعلم أنني أضع له الطُعْم، لكن ما قُلته كان به قدر لا بأس به من الحقيقة، وبه من الفخر والغضب منه ما فيه الكفاية كي لا يهتم.

قال في النهاية: «لنقُم بذلك».

مكتبة
t.me/soramnqraa

قُلت: «لقد فرّ أوسكار».

«يبدو ذلك».

قُلت: «هذا يترُك شخصًا واحدًا فقط نحن مُتأكِّدان تمامًا من أن الدكتور دانكو قد يكون مُهتمًا به».

أشرت إلى صدره مُباشرةً وأنا أضيف: «أنت».

لم يجفل حقًا، لكن ارتعد شيء ما على جبهته، ونسي أن يتنفَّس لبضع ثوان، ثم أومأ برأسه ببطءٍ وهو يأخُذ نفسًا عميقًا ويقول: «ابن عاهرة ماكر».

اعترفت قائلًا: «أجل، أنا كذلك، لكنني مُحق كذلك».

أمسَك دوكس بماسِح الراديو وحرَّكه جانبًا ليتمكَّن من الجلوس عبر باب الشاحنة الخلفي المفتوح وهو يقول: «حسنًا، أكمِل حديثك».

قُلت وأنا أومئ نحو الجهاز الموجود بجانب دوكس: «أولًا.. أراهِن على أنه سيحصُل على ماسح آخر».

«أجل».

قُلت بأفضل ابتساماتي: «لذا إذا علمنا أنه يستمِع، يُمكِننا السماح له بسماع ما نُريده أن يسمعه، وهو: من أنت، وأين أنت».

قال دون أن يبدو مُعجبًا بابتسامتي: «ومن أنا؟».

قُلت: «أنت الشخص الذي أوقَع به ليُمسِك به الكوبيون».

حدَّق بي للحظةٍ، ثم هزّ رأسه وهو يقول: «أنت تضع قضيبي على لوح التقطيع حقًا.. أليس كذلك؟».

قُلت: «بالطبع، لكنك لست قلقًا.. أليس كذلك؟».

«لقد أمسَك بكايل، لذلك لا مُشكلة».

قُلت: «ستعلم أنه قادِم، كايل لم يعلَم، بالإضافة إلى ذلك.. أليس من المُفترض أن تكون أفضل من كايل قليلًا في هذا النوع من الأشياء؟».

كان هذا وقحًا، صريحًا للغاية، لكنه قال: «أجل، أنا كذلك، وأنت مُتملِّق جيد كذلك».

قُلت: «ليس تملقًا على الإطلاق، لكنها الحقيقة البسيطة المُجرَّدة».

نَظَر دوكس إلى الماسِح الموجود بجانبه، ثم نظر لي، قبل أن ينظُر بعيدًا إلى الطريق السريع، انعكست أضواء الشارع البرتقالية عن نقطة عرق انزلقت عبر جبهته نحو عينه، مسحها دون وعي، وهو لا يزال يُحدِّق في الطريق السريع، حدَّق في وجهي دون أن يرمش لفترةٍ طويلةٍ لدرجة أنه كان من المُقلِق أن أكون في نطاق بصره عالِمًا بأنه ينظر في مكانٍ آخر، كان الأمر أشبه بكونك غير مرئي.

قال وهو ينظر إليّ أخيرًا: «حسنًا».

وانعكس الضوء البرتقالي عن عينيه وهو يقول: «لنفعل ذلك».

الفصل الثاني والعشرون

أعادني الرقيب دوكس إلى المقر، كانت تجربة غريبة ومُقلِقة أن أجلس بالقُرب منه، ووجدنا القليل جدًّا لنقوله لبعضنا البعض، أمسكت بنفسي وأنا أتأمَّل مظهره بطرف عيني، ما الذي يحدُث هناك؟ كيف يُمكِن أن يكون ما أعرِفه دون أن يفعل شيئًا حيال الأمر؟ التخلُّف عن أحد مواعيد اللعب الخاصَّة بي كان يضعني على حافة الهاوية، ورغم ذلك.. لا يبدو أن دوكس لديه أي مُشكلة من هذا القبيل، ربما أخرَج كُل شيء من نظامه في السلفادور، هل يختلِف الشعور عندما تفعل ذلك بمُباركةٍ رسميةٍ من الحكومة؟ أم تُراه كان أسهل، فلا داعي للقلق بشأن القبض عليه؟

لم أستطِع أن أعرِف، وبالتأكيد لم أستطِع تخيُّل نفسي أسأله عن ذلك، تأكيدًا لهذه النُقطة فقط، توقَّف عند إشارة حمراء، واستدار لينظُر إليّ، تظاهرت بعدم مُلاحظة الأمر، مُحدِّقًا للأمام عبر الزجاج الأمامي، أدار وجهه مرة أخرى عندما تحوَّل الضوء للون الأخضر.

قادني مُباشرةً إلى مُحرِّك السيارات[1]، وضعني دوكس في المقعد الأمامي لسيارة فورد تورس أخرى، وهو يقول: «أمهلني خمس عشرة دقيقة».

(1) مُحرِّك السيارات: مجموعة من السيارات أو المركبات يتم التحكُّم فيها مركزيًا من قبل وكالة حكومية، ويتم استخدامها عند الحاجة.

ثم أومأ نحو اللا سلكي وهو يقول: «ثُم اتصِل بي».
ودون أن ينبس ببنت شفة، عاد إلى سيارته وانطلق بعيدًا.

تُرِكْتُ لأجهزتي الخاصَّة، مُفكِّرًا في الساعات القليلة المُفاجئة الماضية، ديبرا في المُستشفى، أنا مُتحالِف مع دوكس، والوحي الذي أتاني عن كودي خلال تجربتي مع الاقتراب من الموت، قد أكون مُخطِئًا تمامًا بشأن الصبي بالطبع، قد يكون هناك بعض التفسيرات الأخرى لسلوكه عندما تمّ ذكر الحيوان المفقود، وللطريقة التي دَفَع بها السكين وهو يتحرَّق شوقًا، يُمكِن لها أن تكون قسوة طفولية طبيعية تمامًا، لكن الغريب.. أنني وجدت نفسي أتوق لأن يكون هذا حقيقيًا، أردت له أن يكبَر ليكون مثلي، أدركت أن ذلك في الغالِب لأنني أردت أن أشكِّله وأن أضع قدميه الصغيرتين على مسار هاري.

هل كان هذا هو جوهر الرغبة الإنجابية لدى البشر، رغبة قوية لا طائِل منها في تقليد شخصيتي الرائعة التي لا يُمكِن تعويضها، حتى وإن كُنت أنا وحشًا ليس له الحق في العيش بين البشر؟ من شأن هذا بالتأكيد أن يُفسِّر عدد الحمقى الهائِل الذي أواجِهه كُل يوم، وعلى الرغم من ذلك.. فعلى عكسهم تمامًا.. كُنت مُدرِكًا أن العالم سيكون مكانًا أفضل لو لم أكُن فيه، فببساطة.. لقد اهتممت بمشاعري في هذا الأمر أكثر من أي شيء آخر قد يظنّه العالَم، لكن ها أنا ذا أتوق في الوقت الحالي إلى خلق المزيد ممن يشبهونني، مثل دراكولا الذي يخلِق مصاص دماء جديدًا ليُسانِده في الظلام، كُنت أعلم أن هذا خاطئ.. لكن كم سيكون مُمتعًا!

ويا لي من أحمق تمامًا! هل حوَّلت استراحتي على أريكة ريكا عقلي الذي كان قويًا في يومٍ من الأيام إلى كومة مُرتعِدة من المشاعِر المهروسة؟

كيف لي أن أفكِّر في مثل هذه السخافات؟ لماذا لم أحاوِل ابتكار خطة للهروب من الزواج بدلًا من ذلك؟ لا عَجَب أنني لم أحاوِل الهروب من رقابة دوكس المُزعِجة.. لقد استنفدت كُل خلايا مُخي فأصبَح الآن فارِغًا.

نظرت إلى ساعتي، أربع عشرة دقيقة من الوقت الضائِع في الحماقة العقلية السخيفة، كان قريبًا بما فيه الكفاية: رفعت اللا سلكي واتصلت بدوكس.

«ما هو موقعك أيها الرقيب دوكس؟».

ساد الصمت قليلًا، ثم طقطق الجهاز: «أفضِل ألا أقول في الوقت الحالي».

«قُل ذلك مرة أخرى أيها الرقيب؟».

«كُنت أتتبّع مُجرِمًا، وأخشى أنه اكتشف ذلك».

«أي نوع من المُجرمين؟».

صمت قليلًا، كما لو كان دوكس يتوقَّع مني أن أقوم بكُل العمل ولم يُدرِك ما سأقوله: «رجل من فترة خدمتي في الجيش، تمّ القبض عليه في السلفادور، ويعتقِد أن هذا بسببي».

صمت قليلًا قبل أن يُضيف: «هذا الرجل خطير».

«هل تحتاج لدعم؟».

«ليس بعد، سأحاول مراوغته في الوقت الحالي».

قُلت: «عُلِم ويُنفَّذ».

وشعرت بالإثارة قليلًا لقول ذلك أخيرًا.

كرَّرنا الرسالة الأساسية عدة مرات أخرى، فقط للتأكُّد من وصولها للدكتور دانكو، وكان عليّ أن أقول (عُلِم ويُنفَّذ) في كُل مرة، عندما

فعلناها ليلًا.. نحو الساعة الواحدة بعد مُنتصف الليل، شعرت بالفرحة والبهجة، ربما سأحاوِل غدًا قول (مفهوم) أو حتى (وصلت الرسالة)، أخيرًا.. شيء لأتطلَّع إليه.

وجدت سيارة دورية مُتّجِهة جنوبًا وأقنعت الشُرطي الذي يقودها أن يقلني إلى منزل ريتا، توجَّهت إلى سيارتي، ركبتها، وذهبت للمنزل.

عندما عُدت إلى فراشي الصغير ورأيته في حالةٍ من الفوضى الرهيبة، تذكَّرت أن ديبس كان يجب أن تكون هنا، لكنها بدلًا من ذلك.. كانت في المُستشفى، سأذهَب لرؤيتها غدًا، في غضونِ ذلك.. لقد حظيت بيومٍ لا يُنسى، لكنه كان يومًا مُرهِقًا؛ مُطاردة من قِبَل قاطِع أطراف مُتسلسل إلى بركة، النجاة من حادث سيارة فقط لأجد نفسي على وشك الغرق، فقدان حذاء جيد للغاية، وفوق كُل ذلك.. وكما لو أن هذا لم يكُن سيئًا بما فيه الكفاية، الإجبار على التحالُف مع الرقيب دوكس، ديكستر المسكين المُستنزَف، لا عَجَب أنني كُنت مُرهقًا للغاية، استلقيت على الفراش وخلدت إلى النوم فورًا.

في وقتٍ مُبكرٍ من اليوم التالي صفَّ دوكس سيارته إلى جوار سيارتي في موقف سيارات المقر الرئيسي، هَبَط منها حاملًا حقيبةً رياضيةً من النايلون، وضعها على غطاء مُحرِّك سيارتي، سألته بأدبٍ: «هل أحضرت غسيلك؟».

ومرة أخرى ذهبت محاولتي الجيدة للتسلية أدراج الرياح.

قال وهو يفتَح الحقيبة: «إذا نَجَح هذا من الأساس، فإما أن أحصُل عليه.. أو يحصل عليّ، إذا ما حصلت عليه.. فقد انتهى الأمر، أما إذا حَصَل عليّ..».

أخرج جهاز استقبال تحديد المواقِع ووضعه على غطاء المُحرِّك وهو يُضيف: «إذا ما حَصَل عليّ.. فأنت الدعم الخاص بي».

ابتسم فظهرت أسنانه اللامِعة وهو يقول: «فكِّر في مدى شعوري بالرضا عن ذلك».

أخرج هاتفًا محمولًا ووضعه بجوار جهاز تحديد المواقِع قائلًا: «هذا هو تأميني الخاص».

نظرت إلى الجهازين الصغيرين الموجودين على غطاء مُحرِّك سيارتي، لم يبدوا لي وكأنهما يشكلان تهديدًا خاصًا، لكن ربما أمكنني رمي أحدهما وضرب شخص ما على رأسه بالآخر، سألته: «لا قاذِف للصواريخ؟».

قال وهو يمد يده داخل الحقيبة الرياضية مرةً أخرى: «لا حاجة إليه، هاذان فحسب، وهذا..».

أخرجها مُمسِكًا بدفتر مُلاحظات صغير، فتح صفحته الأولى، التي بدا أنها تحتوي على سلسلةٍ من الأرقام والحروف، بينما حُشِر قلم حبر جاف رخيص عبر سلكه الملولَب.

قُلت: «القلم أقوى من السيف».

قال: «هذا القلم كذلك، في السطر الأول رقم هاتف، السطر الثاني هو رمز الدخول».

«ما الذي سأدخُل إليه؟».

قال: «لست بحاجة لمعرفة ذلك، اتصل بالرقم فحسب، أدخِل الرمز، وأعطِهم رقم هاتفي المحمول، سيحدّدون لك موقع هاتفي، تعالَ وخُذني».

قُلت مُتسائِلًا عما إذا كان هذا صحيحًا: «هذا يبدو بسيطًا؟».

قال: «حتى بالنسبة لك».

«إلى من سأتحدّث؟».

هزّ دوكس رأسه قائلًا: «شخص يدين لي بمعروفٍ».

وأخرَج جهازًا لا سلكيًا محمولًا للشُرطة من الحقيبة وهو يقول: «والآن.. الجزء السهل».

أعطاني اللا سلكي وعاد إلى سيارته.

والآن.. بعد أن وضعنا الطُعْم بوضوح للدكتور دانكو، فالخطوة الثانية كانت إيصاله إلى مكانٍ مُحدَّدٍ في الوقت المُناسِب، وكانت الصُدفة السعيدة لحفل فينس ماسوكا مثالية للغاية بحيث لا يُمكِن تجاهلها، وخلال الساعات القليلة التالية.. تجوَّلنا في أنحاء المدينة في سياراتنا المُنفصِلة وكرَّرنا نفس الرسالة مرةً تلو الأخرى عدة مرَّات باختلافاتٍ طفيفةٍ، وفقط للتأكُّد.. قُمنا أيضًا بتجنيد سيارتي دورية قال دوكس أنه من المُحتمَل ألا يُفسدوا الأمر، اعتبَرت أن هذا بسبب ذكائه المحدود، لكن لم يبدُ أن رجال الشرطة المعنيين لم يستوعِبوا الطرفة، على الرغم من أنهم لم يقلقوا في الحقيقة، بل بدا أنهم قد بالغوا قليلًا في طمأنة الرقيب دوكس القَلِق بأنهم لن يفسدوا الأمر في الواقِع، كان من الرائع العمل مع شخص قادِر على أن يُلهِم من حوله بمثل هذا الولاء، أمضى فريقنا الصغير بقية اليوم في بثْ موجات الراديو المليئة بالثرثرة عن حفل خطوبتي، ووَصْف الاتجاهات إلى منزل فينس وتذكير الناس بالميعاد، وبعد الغداء بقليل.. أطلقنا رصاصة الرحمة الخاصَّة بنا، كُنت جالسًا في سيارتي أمام أحد فروع مطعم ويندِيز، استخدمت اللا سلكي المحمول واتصلت بالرقيب دوكس مرةً أخيرةً لإجراء مُحادثة مُعدَّة بعنايةٍ.

«أيها الرقيب دوكس، هنا ديكستر، هل تسمعني؟».

قال بعد فترة وجيزة من الصمت: «هنا دوكس».

«سيعني لي الكثير لو تمكَّنت من حضور حفل خطوبتي الليلة».

قال: «لا أستطيع الذهاب إلى أي مكان، هذا الرجل خطير للغاية».

تملَّقته قائلًا: «تعال فقط لتناول مشروب واحِد، سريعًا».

«لقد رأيت ما فعله بماني، وماني كان مُجرَّد جندي عادي، أنا الذي أوقَع بهذا الرجل من أجل بعض الأشرار، ماذا سيفعل بي إذا استطاع الإمساك بي؟».

قُلت: «سأتزوَّج يا سارج».

أحببت روح قصص مارفل المصوَّرة في مناداته بسارج، أكملت حديثي قائلًا: «هذا لا يحدُث كُل يوم، ولن يحاوِل فعل أي شيء في وجود كُل رجال الشرطة هؤلاء في الجوار».

كانت هناك وقفة درامية طويلة، عَرِفت فيها أن دوكس كان يعد حتى الرقم سبعة، تمامًا كما اتفقنا، ثُمّ طقطق اللا سلكي ثانيةً وهو يقول: «حسنًا، سآتي في الساعة التاسعة تقريبًا».

قُلت وأنا أشعر بسعادةٍ غامرةٍ لقدرتي على قولها مرةً أخرى: «شكرًا يا سارج».

وأضفت لأكمِل سعادتي فحسب: «هذا سيعني لي الكثير، عُلِمَ ويُنفَّذ».

قال: «عُلِم ويُنفَّذ».

كُنت آمل أن يتم عرض دراما اللا سلكي الصغيرة الخاصَّة بنا على جمهورنا المُستهدَف بينما يستعِد لإجراء جراحته بمكانٍ ما في المدينة، هل توقَّف، مال برأسه وأنصت السمع؟ بينما طقطق الماسِح الخاص به

وصوت الرقيب دوكس الرقيق يصدَح منه، ربما وضع منشار تقطيع العظام، مَسَح يديه، وكتب العنوان على قُصاصة ورقية، ثُم عاد بعد ذلك ليستكمِل عمله بسعادةٍ.. على كايل تشوتسكي؟ بسلامٍ داخلي لرجل لديه عمل ليقوم به وتقويم اجتماعي كامل عندما ينتهي من عمل اليوم.

وكي نكون على يقينٍ تامٍ.. كرَّر أصدقاؤنا في سيارتي الدورية الرسالة بلا توقُّف عدة مرَّات، ودون أن يفسدوا الأمر؛ أن الرقيب دوكس بنفسه سيكون موجودًا في الحفلة اليوم، بشحمه ولحمه، في حدود الساعة التاسِعة.

من ناحيتي.. وبعد أن قُمت بعملي لعدة ساعات، توجَّهت إلى مستشفى جاكسون التذكاري لأطمئن على طائري المُفضَّل ذي الجناح المكسور.

كان الجُزء العلوي من جسد ديبرا ملفوفًا بجبيرةٍ، جلست في فراش غُرفة في الطابِق السادِس بإطلالةٍ جميلةٍ على الطريق السريع، وعلى الرغم من كوني مُتأكِّدًا من أنهم يعطونها نوعًا من مُسكِّن الألم، فإن البهجة لم تظهر عليها إطلاقًا عندما دخلت إلى الغُرفة، حيَّتني قائلة: «اللعنة يا ديكستر، أخبرهم أن يتركوني أخرج من هنا بحق الجحيم، أو على الأقل أن يعطوني ملابسي كي أتمكَّن من المُغادرة».

قُلت: «أنا سعيد لرؤيتكِ تشعرين بحالٍ أفضل يا شقيقتي العزيزة، ستكونين على خير ما يُرام في أقرب وقت مُمكِن».

قالت: «سأكون على خير ما يُرام في الثانية التي سيعطونني فيها ملابسي اللعينة، ما الذي يحدُث بالخارج هناك بحق الجحيم؟ ماذا كُنتم تفعلون؟».

قُلت: «نَصَبنا أنا ودوكس فخًا أنيقًا إلى حدٍ ما، دوكس هو الطُعْم، إذا ما وقع فيه الدكتور دانكو، فسنُمسِك به الليلة في حفلتي.. حفلة فينس».

وأدركت أنني أردت أن أنأى بنفسي عن فكرة كوني خاطبًا قدر الإمكان، وأنها كانت وسيلة سخيفة للقيام بالأمر، لكنني شعرت بالتحسُّن على أي حال، وهو الأمر الذي لم يجعل ديبس تشعُر بالراحة على ما يبدو.

قالت وهي تنخُر: «حفل خطوبتك، اللعنة.. أقنعت دوكس أن يورِّط نفسه في هذا من أجلك».

عليّ أن أعترِف أن الأمر بدا رائعًا عندما نطقت به، لكنني لم أرغَب في أن تُفكِّر بمثل هذه الأمور؛ لأن التُعساء يتعافون بشكلٍ أبطأ.

قُلت بأفضل صوتٍ هادئٍ تمكَّنت من النطق به: «لا يا ديبرا، نحن نفعل ذلك من أجل القبض على الدكتور دانكو حقًا».

حدَّقت في وجهي لوقتٍ طويلٍ، ثُم.. وبشكلٍ مُثيرٍ للدهشة، جفلت وقاوَمت دموعها وهي تقول: «يجب أن أثِق بك، لكنني أكره ذلك، كُل ما يُمكنني التفكير فيه هو ما يفعله بكايل».

قُلت: «هذا سينجَح يا ديبس، سنستعيد كايل».

ولأنها بعد كُل شيء كانت أختي، لم أضف: «أو مُعظمه على أي حال».

قالت: «بحق السماء، أكره كوني عالقةً هنا، أنت تحتاجني هناك من أجل الدعم».

قُلت وقد شعرت بالانزعاج بعض الشيء لأنها قلَّلت من قيمة وجودي: «بإمكاننا تدبُّر الأمر يا شقيقتي، سيكون هنا عشرات من رجال الشرطة في الحفلة، مسلّحين وخطرين، وسأكون هناك بدوري».

لكنها واصلت القيام بذلك على أي حال وهي تقول: «أجل، وإذا أمسَك دوكس بدانكو، سنستعيد كايل، وإذا أمسك دانكو بدوكس، فستتخلَّص من مأزقك، أنت ماكر بحقٍ يا ديكستر، ستفوز في كلا الحالتين».

كذبت قائلًا: «لم يخطر هذا ببالي أبدًا، لم أفكِّر سوى في خدمة الصالِح العام، بالإضافة إلى ذلك.. فمن المُفترض أن يكون دوكس خبيرًا للغاية في ذلك النوع من الأشياء، كما أنه يعرِف دانكو».

«اللعنة يا ديكستر، هذا يقتلني، ماذا لو..».

قطعت حديثها وهي تعض شفتها قبل أن تُضيف: «من الأفضل أن ينجَح هذا، لقد أمسك بكايل منذ وقت طويل».

قُلت: «سينجَح هذا يا ديبرا».

لكن كلينا لم يُصدقني.

***

أصرَّ الأطباء بشدة على إبقاء ديبرا تحت المُلاحظة لأربع وعشرين ساعة، وهكذا.. بعد وداعٍ حارٍ لشقيقتي، هرعت نحو غروب الشمس، ومن هناك إلى شقتي للاستحمام وتغيير الملابِس، ماذا سأرتدي؟ لم أستطِع التفكير في أي إرشادات حول ما يجب أن نرتديه في هذا الموسم لحفلة فُرِضت عليك من أجل الاحتفال بخطوبةٍ غير مرغوب فيها التي

قد تتحوَّل إلى مواجهة عنيفة مع مهووس بالانتقام، من الواضِح أن الحذاء البني سيُستبعد، لكن بعد ذلك لم يعُد هناك ما يبدو أنه صارِم للغاية، بعد دراسة متأنيّة.. تركت الذوق البسيط يُرشدني، اخترت قميص هاواي أخضر ليموني مُغطى بجيتارات كهربائية حمراء وقضبان معدنية وردية ساخِنة، بسيط لكن أنيق، سروال كاكي وحذاء ركض، وكُنت مُستعدًا.

لكن ما زالت هناك ساعة باقية قبل أن أضطر للوصول إلى هنا، ووجدت أفكاري تنجرِف إلى كودي مرةً أخرى، هل كُنت مُحقًا بشأنه؟ وإذا ما كان الأمر كذلك.. فكيف يتعامَل مع راكبه اليَقِظ بمُفرده؟ إنه بحاجةٍ إلى إرشادي، ووجدت نفسي حريصًا على إعطائه له.

غادرت شقتي وتوجَّهت جنوبًا، بدلًا من شمالًا للوصول لمنزل فينس، في غضون خمس عشرة دقيقة، كُنت أطرق باب ريتا الأمامي وأنا أحدِّق عبر الشارِع في البقعة الفارِغة التي كان يشغلها سابقًا الرقيب دوكس في سيارته التورس الكستنائية، الليلة كان يستعد في المنزل بلا شك، يُجهِّز نفسه ويُلمِّع رصاصاته استعدادًا للنزال القادِم، هل سيحاول قتل الدكتور دانكو، مُطمئنًا إلى أن لديه إذنًا قانونيًا للقيام بالأمر؟ كم من الوقت مضى منذ أن قتل شيئًا؟ هل يفتقِد الأمر؟ هل ستأتي الرغبة لتثور بداخله كإعصار يُزيل كُل الأسباب والقيود؟

فُتِح الباب، ابتسمت ريتا واندفعت نحوي، طوّقتني في عناقٍ وقبلتني على وجهي وهي تقول: «مرحبًا أيها الوسيم، تفضَّل بالدخول».

احتضنتها بقوةٍ من أجل الشكل العام ثُم حرَّرت نفسي وأنا أقول: «لا أستطيع البقاء طويلًا».

اتسعت ابتسامتها وهي تقول: «أعرِف، اتصل فينس وأخبرني، كان لطيفًا جدًّا بشأن الأمر برمته، وعدني أنه سيراقبك كي لا تفعل أي شيء مجنون، تفضَّل بالدخول».

قالتها وهي تجرني من ذراعي، استدارت نحوي عندما أغلقت الباب، وقالت بجديةٍ مُفاجئةٍ: «اسمع يا ديكستر، أريدك أن تعرِف أنني لست من النوع الغيور، أنا أثق بكَ، لذا اذهب واستمتع فحسب».

قُلت: «سأفعل، شكرًا لكِ».

على الرغم من أنني شككت في كوني سأفعل، وتساءلت عما قاله لها فينس ليجعلها تعتقِد أن الحفلة ستكون بؤرة خطيرة من الخطايا والذنوب، بخصوص هذا الشأن.. فربما ستكون، فنظرًا لأن فينس مُصطنع إلى حدٍ كبيرٍ، يُمكِن له أن يكون غير متوقّع إلى حدٍ ما في المواقِف الاجتماعية، كما يتضح من مبارزاته الغريبة للتلميحات الجنسية مع أختي.

قالت ريتا وهي تقودني إلى الأريكة التي قضيت عليها الكثير من حياتي مؤخَّرًا: «كان من اللطيف أن تتوقَّف هنا قبل الحفل، أراد الأطفال معرفة سبب عدم قدرتهما على الذهاب».

قُلت: «سأتحدَّث إليهما».

كُنت أتوق لرؤية كودي ومحاولة اكتشاف إذا ما كُنت مُحقًا.

ابتسمت ريتا، وكأنها سُرَّت عندما علمت أنني سأتحدَّث إلى استور وكودي بالفعل، قالت: «إنهما بالخارج، سأذهب لأحضرهما».

قُلت: «لا، ابقي هنا، سأخرُج أنا».

كان كودي واستور في الفناء مع نيك، كُتلة الفساد من المنزل المجاوِر الذي أراد رؤية استور عارية، نظروا للأعلى عندما فتحت الباب، استدار نيك وعاد مُسرِعًا إلى فناء منزله، ركضت استور نحوي وعانقتني، تلكَّع كودي خلفها، يُراقِب، دون أي مشاعِر على وجهه، قبل أن يقول بصوته الخفيض: «مرحبًا».

قُلت: «تحيّة طيبة وبعد.. أيها المواطنون الصِغار.. هلا نرتدي بعض الملابس الرسمية؟ إن قيصر يدعونا إلى مجلس الشيوخ».

مالت استور برأسها جانبًا وهي تنظُر لي كما لو كانت قد رأتني للتو آكل قطًا نيئًا، بينما قال كودي بهدوءٍ شديدٍ فحسب: «ماذا؟».

قالت استور: «ديكستر، لماذا لا يُمكِننا الذهاب إلى الحفلة بصُحبتك؟».

قُلت لها: «في المقام الأول.. إنها ليلة مدرسية، وثانيًا.. أخشى كثيرًا أن هذه حفلة للكبار».

سألت: «هل هذا يعني أنه ستكون هناك فتيات عاريات؟».

قُلت مُقطبًا بصرامةٍ: «أي نوع من البشر تعتقدينني؟ هل تظنين حقًا أنني سأذهب إلى حفلة لا توجد بها فتيات عاريات؟».

قالت: «يا للقرف».

بينما همس كودي: «ها..».

أضفت: «لكن الأهم من هذا، أنه سيكون هناك رقص غبي وقُمصان قبيحة، وهذه الأمور ليست جيدة بالنسبة لكما لترياها، ستفقدان كُل احترامكما للكبار».

قال كودي: «أي احترام؟».

صافحته وأنا أقول: «أحسنت القول، والآن اذهب إلى غرفتك».

قهقهت استور أخيرًا وهي تقول: «لكننا نريد الذهاب إلى الحفلة».

قُلت: «أخشى أن هذا لن يحدُث، لكنني أحضرت لكما قطعة من الكنز كيلا تفران».

أعطيتها لفافةً من حلوى نيكو ويفرز، عُملتنا السريَّة، ستقتسمها مع كودي بالتساوي لاحقًا، وبعيدًا عن أعين المُتطفلين، قُلت: «حسنًا أيها الصِغار..».

نظرا إليّ بترقُّب، لكنني كُنت عالقًا في تلك المرحلة، كان الجميع يتوق بحماسٍ لمعرفة الإجابة لكنني لم أكُن مُتأكِّدًا على الإطلاق من أين أو حتى كيفية البدء في السؤال، لا أستطيع قول: «بالمُناسبة يا كودي، أتساءل إذا ما كُنت تُحِب قتل الأشياء؟».

كان هذا بالطبع هو بالضبط ما أردت أن أعرِفه، لكن لا يبدو ذلك حقًا نوع الأشياء التي من المُمكِن أن تقولها لطفلٍ.. خصوصًا كودي، الذي كانت مهاراته في الحديث مُماثلة تمامًا لثمرة جوز الهند.

ورغم ذلك.. كانت شقيقته استور دائمًا ما تتحدَّث بالنيابة عنه، حيث أدَّت ضغوط قضاء طفولتهما المُبكِّرة مع غول عنيف كأب إلى خلق علاقة تكافليّة قريبة للغاية لدرجة أنه لو شَرِب المياه الغازية فستتجشأ، ومهما كان ما يحدُث داخل كودي، فستكون استور قادرة على التعبير عنه.

قُلت لهما: «هل يُمكنني أن أسألكما عن شيء جدي للغاية؟».

وتبادلا نظرة كانت تحتوي على مُحادثة كاملة، لكنها لا تعني شيئًا لأي شخص آخر، ثم أومآ لي، كما لو كان رأساهما مُتصلين بقضيبٍ معدني.

قُلت: «كلب الجيران».

قال كودي: «قُلت لكِ».

قالت استور: «كان دائمًا ما يُسقِط القمامة، ويتبرَّز في الفناء الخاص بنا، وحاول نيكي أن يجعله يعضنا».

سألت: «لذا اعتنى به كودي؟».

قالت استور: «إنه الصبي، إنه يُحِب القيام بهذه الأشياء، أنا أشاهِد فحسب، هل ستُخبِر أمي؟».

ها هي ذي، إنه يُحِب القيام بهذه الأشياء، نظرت إلى الاثنين، يراقبانني دون قلق وكأنهما قالا لي للتو أنهما يحبان المُثلجات بالفانيليا أكثر من الفراولة، قُلت: «لن أخبِر أمكما، لكن لا يُمكنكما إخبار أي شخص آخر في العالم، أبدًا، نحن الثلاثة فقط، لا شخص آخر، هل تفهمان؟».

قالت استور وهي تُحدِّق بشقيقها: «حسنًا، لكن لماذا يا ديكستر؟».

قُلت: «مُعظَم الناس لن يتفهّموا، ولا حتى والدتكما».

قال كودي بصوتٍ أجشٍ أشبه بالهمس: «أنت تفعل».

قُلت: «أجل، وبإمكاني المُساعدة».

أخذت نفسًا عميقًا، وشعرت بالصدى يتدحرج فوق عظامي، منذ فترة طويلة وعلى مر السنين من هاري ووصولًا إليّ الآن، وتحت نفس سماء فلوريدا الليلية، التي كُنا قد وقفنا تحتها أنا وهاري عندما قال لي نفس الشيء، قُلت: «علينا أن نضع أمورك في نصابها الصحيح».

نظر لي كودي بعينين كبيرتين لا ترمشان وهو يومئ قائلًا: «حسنًا».

الفصل الثالث والعشرون

يمتلِك فينس ماسوكا منزلًا صغيرًا في شمال ميامي، في نهاية شارِع مسدود قبالة شمالي شرق الطريق (125)، كان مطليًا بلونٍ أصفرٍ شاحِب مُقلَّم بالأرجواني الفاتِح، مما جعلني أشُك في ذوقي في اختيار زملائي، كان هناك عدد قليل من الشجيرات المُشذَّبة بعنايةٍ في الفناءِ الأمامي وحديقة صبَّار بجوار الباب الأمامي، وصف من المصابيح التي تعمل بالطاقة الشمسيّة تُضيء الممر المرصوف بالحصى وصولًا لبابه.

كُنت هناك لمرةٍ واحدةٍ من قبل، منذ أكثر من عام بقليل، عندما قرَّر فينس لسببٍ ما أن يُقيم حفلة تنكّرية، اصطحَبت ريتا، لأن الغرض الأساسي من التنكُّر هو رؤيتكَ ترتديه، تنكَّرَت في زي بيتر بان، بينما كُنت زورو بالطبع، المُنتقِم المُظلِم صاحِب الشفرة الجاهِزة، فتَح فينس الباب وهو يرتدي عباءةً ضِيقةً من الساتان مع سلة من الفاكِهة على رأسه.

سألته: «جـ. إدجار هوفر[1]؟».

قال قبل أن يقودنا إلى نافورة مُميتة من شراب كحولي مُمتزِج بكوكتيل الفاكِهة: «اقتربت للغاية، كارمن ميراندا[2]».

(1) جـ. إدجار هوفر: أول رئيس لمكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي.
(2) كارمن ميراندا: ممثّلة ومُغنيَّة برازيلية.

كُنت قد تناولت رشفة واحدة قبل أن أقرِّر التمسُّك بالمشروبات الغازية، لكن بالطبع كان هذا قبل أن أتحوَّل إلى رجل مُفعم بالحيوية لا ينفك يشرَب البيرة، كانت هناك موسيقى تصويرية متواصِلة من موسيقى التكنو بوب الرتيبة عالية الصوت التي كانت مُصمَّمة للحثِّ على إجراء جراحة دماغية بشكل تطوعي تمامًا، وقد كان الحفل صاخِبًا ومرحًا للغاية.

على حد علمي.. لم يستمتِع فينس منذ ذلك الحين، على الأقل.. ليس ضمن هذا النِطاق، ورغم ذلك.. يبدو أن الذكرى باقية، ولم يواجِه فينس أي مُشكلة في جمع حشد مُتحمِّس للانضمام إلى إذلالي بإشعارٍ قبل أربع وعشرين ساعة فحسب، ووفقًا لكلامه.. فهناك أفلام قذرة تُعرض في جميع أنحاء المنزل على عدد من شاشات الفيديو التي كان قد أعدَّها، حتى في فنائه الخلفي.

نظرًا لأن الشائِعات عن الحفل الأول كانت لا تزال حية بين الناس، امتلأ المكان بالأشخاص المُشاغبين، مُعظمهم من الذكور، والذين هاجموا النافورة كما لو أنهم سمعوا أن هناك جائزة لأول من يُصاب بتلفٍ دائِمٍ في الدماغ، حتى أنني عرفت القليل من المُحتَفلين، أنجيل «لست قريبه» من العمل كان هناك، جنبًا إلى جنب مع كاميلا فيج وحفنة من خبراء مُختبرات الطب الشرعي، وعدد قليل من رجال الشرطة الذين أعرفهم، بما في ذلك الأربعة الذين لم يفسدوا الأمر مع الرقيب دوكس، وبدا أن بقية الحشد قد تم اختيارهم من ساوث بيتش عشوائيًا، بناءً على قدرتهم على الصراخ بصوتٍ عالٍ وصاخبٍ عندما تتغيَّر الموسيقى أو عندما تظهر على شاشة الفيديو أشياء غير مُهذَّبة على وجه الخصوص.

لم يستغرِق الأمر وقتًا طويلًا على الإطلاق قبل أن تتحوَّل الحفلة إلى شيءٍ سنندم عليه جميعًا لفترةٍ طويلةٍ للغاية، فبحلول الساعة التاسِعة والرُبع.. كُنت الشخص الوحيد القادِر على الوقوف مُنتصِبًا دون مُساعدة، خيَّم مُعظَم رجال الشرطة بجوار النافورة في جمعٍ مُتجهِّم من الأكواع المقوَّسة في سُرعةٍ، بينما رقد أنجيل «لست قريبه» تحت الطاولة وبدا غارقًا في النوم بابتسامةٍ على وجهه، كان قد فَقَد سرواله وحَلَقَ شخص ما خطًّا خاليًا من الشعر أسفل مُنتصف رأسه.

ولأن الأمور كانت تجري بهذه الطريقة.. اعتقدت أن هذا سيكون وقتًا مثاليًا للتسلُّل إلى الخارج دون أن يتم اكتشافي لمعرفة ما إذا كان الرقيب دوكس قد وصل بعد، لكن كما اتضح.. كُنت مُخطِئًا، فلم أتقدَّم أكثر من خطوتين في اتجاه الباب حتى سَقَط فوقي ثقلٌ كبيرٌ من الخلف، استدرت سريعًا لأجِد أن كاميلا فيج كانت تحاوِل فرد نفسها على ظهري، قالت بابتسامةٍ مُشرِقةٍ للغاية ومُبهمةٍ إلى حدٍ ما: «مرحبًا».

قُلت مُبتهِجًا: «مرحبًا، هل يُمكِنني أن أحضر لكِ مشروبًا؟».

عبست في وجهي وهي تقول: «لا أريد مشروبًا، أردت أن أقول مرحبًا فحسب».

ثُم زاد عبوسها وهي تقول: «يا إلهي، أنت لطيف، لطالما أردت أن أخبركَ بهذا».

حسنًا.. من الواضِح أن المسكينة مخمورة، لكن حتى رغم ذلك.. لطيف؟ أنا؟ أفترِض أن الإفراط في تناول الكحوليات يُمكِن أن يشوِّش النظر، لكن بحقك.. ما الذي يُمكِن أن يكون لطيفًا في شخص يُفضِّل أن يفتح بك جرحًا عوضًا عن مصافحة يدك؟ وعلى أي حال.. لقد تجاوزت بالفعل حدي المسموح به من النساء بامرأة واحدة فقط مع ريتا،

فبقدر ما أتذكَّر.. نادرًا ما تبادلنا أنا وكاميلا أكثر من ثلاث كلمات مع بعضنا البعض، ولم تذكُر من قبل لطافتي المزعومة، بدت في الواقِع وكأنها تتجنبني، كانت تُفضِّل الإحمرار خجلًا والإشاحة بنظرها بعيدًا عوضًا عن قول صباح الخير، والآن هي عمليًا تغتصبني، هل ذلك منطقي؟

على أي حال.. لم يكُن لديّ أي وقت لأضيعه في فك رموز السلوك البشري، قُلت وأنا أحاوِل الابتعاد عن كاميلا دون التسبُّب في أي إصابات خطيرة لأي منا: «شكرًا جزيلًا لكِ».

كانت قد طوَّقت رقبتي بذراعيها، ضغطت عليهما، لكنها تشبَّثت بي كالبرنقيل[1]، قُلت: «أعتقِد أنكِ بحاجةٍ لبعض الهواء النقي يا كاميلا».

كُنت آمل أن تفهم التلميح وتتجوَّل بعيدًا، بدلًا من ذلك.. اقتربت أكثر، وهرست وجهها في وجهي بينما كُنت أتراجَع بشكلٍ محمومٍ.

قالت: «سآخُذ هوائي النقي هنا».

زمَّت شفتيها على شكل قُبلة ودفعتني للخلف إلى أن اصطدمت بمقعدٍ وكدت أن أسقُط.

سألتها بأملٍ: «هل تريدين الجلوس؟».

قالت وهي تجذبني للأسفل نحو وجهها: «لا».

شعرت وكأن وزنها الحقيقي قد تضاعَف وهي تُضيف: «أريد ممارسة الجنس».

تلعثمت قائلًا: «حسنًا».

---

(1) البرنقيل: المحار الذي يعيش في المياه المالِحة ويتميَّز بقدرته الفائِقة على التشبُّث بالأشياء بمُنتهى القوة.

تغلَّبت عليّ وقاحتها الصادِمة السخيفة.. هل كانت كُل النساء مجنونات؟ ولا يعني ذلك أن الرجال كانوا أفضل، بدت الحفلة من حولي وكأن المسؤول عن إقامتها هو هيرونيموس بوس[1]، حيث كانت كاميلا مُستعِدّة لجري خلف النافورة حيث تنتظرها بلا شك عصابة من الطيور النقّارة لمُساعدتها في إغوائي، لكنني شعرت أنني الآن لديّ العذر المثالي لتجنُّب الإغراء، قُلت: «أنا سأتزوَّج كما تعلمين».

وبقدر ما كان من الصعب الاعتراف بالأمر، كان من العدل أن يكون ذلك مُفيدًا بين الحين والآخر.

قالت كاميلا: «جذّاب، جذّاب جميل».

سقطت فجأة وانفكَّ ذراعاها عن رقبتي، تمكَّنت من الإمساك بها بالكاد ومنعها من السقوط على الأرض.

قُلت: «على الأرجَح، لكنني أعتقِد على أي حال أنكِ بحاجةٍ للجلوس لبضع دقائق».

حاولت أن أضعها بلُطفٍ على المقعد، لكن الأمر كان أشبه بصب العسل على نصل سكين، وسقطت على الأرض.

قالت وهي تُغلِق عينيها: «جذّاب جميل».

لطالما كان من الجيد معرفة أنك تحظى باحترامِ زملائك في العمل، لكن استراحتي الرومانسية كانت قد استهلكت عدة دقائق، وكُنت بحاجةٍ ماسةٍ للخروج والبحث عن الرقيب دوكس، لذلك تركت كاميلا تنام بهدوءٍ وسط أحلامها الغارِقة في أحلامها الندية عن الحُب، متوجِّهًا للباب الأمامي مرةً أخرى.

---

(1) هيرونيموس بوس: رسَّام هولندي قديم يصوِّر العديد من أعماله الخطيئة والفشل الأخلاقي الإنساني.

تعرَّضت للهجوم مرةً أخرى، هذه المرة كان هجومًا وحشيًا على الجزء العلوي من ذراعي، أمسك فينس بالعضلة ذات الرأسين وسحبني بعيدًا عن الباب، عاد بي إلى السريالية، وهو يصرُخ: «مهلًا يا نجم الحفلة! إلى أين تذهَب؟».

قُلت محاولًا الفكاك من قبضته المُميتة: «أعتقِد أنني تركت مفاتيحي في السيارة».

لكنه جذبني بقوةٍ أكبر نحو النافورة وهو يقول: «لا، لا، لا، إنها حفلتك، لن تذهب إلى أي مكان».

قُلت: «حفلة رائعة يا فينس، لكنني حقًا بحاجةٍ إلى...».

قال وهو يملأ كوبًا من النافورة ويدفعه نحوي لينزلِق على قميصي: «اشرب، هذا ما تحتاجه، نخب العمر الطويل!».

رفع كأسه في الهواء قبل أن يشربه، من حُسن حظ كُل من يهمه الأمر.. أصابه الشراب بنوبةِ سُعال، فتمكَّنت من الهروب منه بينما كان يكافِح من أجل الهواء.

نجحت في الخروج من الباب الأمامي قاطعًا جزءًا من الممر قبل أن يظهَر عند الباب وهو يصيح بي: «مهلًا! لا يُمكنكَ المُغادرة بعد، المُتعريات قادمات!».

صحت: «سأعود حالًا، حضِّر لي مشروبًا آخر!».

قال بابتسامته الزائِفة: «حسنًا! نخب العُمر الطويل!».

وعاد إلى الحفل وهو يلوِّح بابتهاجٍ، استدرت للبحث عن دوكس.

كان قد صفَّ سيارته على الجانب الآخر من الشارِع من أي مكان كُنت فيه لفترةٍ طويلةٍ لدرجة أنه كان يجب أن أراه فورًا، لكني لم أفعَل،

عندما رأيت أخيرًا السيارة التورس الكستنائية، أدركت مدى ذكاء ما قام به، كان قد صفَّ سيارته عبر الشارِع تحت شجرة ضخمة حجَبت أي ضوء آتٍ من أعمدة الإنارة، كان هذا شيئًا قد يفعله رجل يحاول إخفاء نفسه، لكنه في الوقت نفسه سيسمح للدكتور دانكو بالشعور بالثقة في أنه يُمكِنه الاقتراب دون أن تتم رؤيته.

مشيت نحو السيارة، وعندما اقتربت، فُتِحَت النافذة، قال دوكس: «ليس هنا بعد».

قُلت: «من المُفترَض أنك أتيت لتناول مشروب».

«لا أشرَب».

«من الواضِح أنك لا تذهب إلى الحفلات كذلك، وإلا كُنت لتعرف أنه لا يُمكِنك حضور الحفلات بشكلٍ صحيحٍ بجلوسك عبر الشارِع في سيارتكَ».

لم يقُل الرقيب دوكس أي شيء، لكن النافذة بدأت بالصعود، قبل أن يُفتَح الباب ويهبط من السيارة، سألني: «ماذا ستفعل إذا جاء الآن؟».

قُلت: «سأعتمِد على سحري في إنقاذي، والآن تفضَّل بالدخول بينما لا يزال هناك شخص واعٍ هناك».

عبرنا الشارِع معًا، لَم نُمسِك بأيدي بعضنا البعض في الواقِع، لكن الأمر بدا غريبًا للغاية في ظل الظروف التي نمُر بها، في مُنتصف الطريق انعطفت سيارة عبر الزاوية واتجهت نحونا، رغبت في الركض والاختباء خلف صف من نباتات الدفلي، لكنني كُنت فخورًا جدًّا بسيطرتي المُحكَمة عندما ألقيت نظرة خاطفة على السيارة القادِمة بدلًا من ذلك، سارت ببطءٍ على طول الطريق، وكُنت قد عبرت الطريق أنا والرقيب دوكس بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلينا.

استدار دوكس لإلقاء نظرة على السيارة، وكذلك فعلت أيضًا، نظر إلينا صف مكوَّن من خمس وجوه مُراهِقة حزينة، أدار أحدهم رأسه وقال شيئًا ما للآخرين، فضحكوا، وأكملت السيارة طريقها.

قُلت: «من الأفضل أن ندخُل، لقد بدوا خطرين».

لم يرُد دوكس، شاهَد السيارة تنعطِف في نهاية الشارِع، ثُم تابَع طريقه نحو باب فينس الأمامي، تبعته من الخلف، ولحقت به في الوقت المُناسِب لأفتح له الباب.

لقد كُنت خارج المنزل لدقائق قليلة فحسب، لكن عدد الأجساد كان قد ازداد بطريقةٍ مُثيرةٍ للإعجاب، تمدَّد زوج من رجال الشرطة على الأرض بجوار النافورة، وكان أحد اللاجئين القادمين من ساوث بيتش يتقيأ في حافِظة بلاستيكية كانت تحتوي على سلطة جيلو[1] منذ بضع دقائق، كان صوت الموسيقى أعلى من أي وقت مضى، سمعت فينس من داخل المطبخ يصرُخ: «نخب العُمر الطويل».

قبل أن تنضم إليه جوقة من أصوات الآخرين الخشِنة.

قُلت للرقيب دوكس: «تخلّ عن أي أمل».

وتمتم بشيءٍ ما بدا مثل: «مرضى أولاد عاهرة».

قبل أن يهز رأسه ويستكمل مشيه.

لم يشرب دوكس، ولم يرقُص كذلك، كان قد وجد ركنًا في الغُرفة لا يحتوي على جسد فاقد للوعي ووقف هناك، ليبدو وكأنه حاصِد أرواح بسعرٍ مُخفَّض في حفلة أخوية، تساءلت عما إذا كان يجب عليّ مُساعدته في الانخراط في الأمر، ربما يُمكنني إرسال كاميلا فيج لإغوائه.

---

(1) سلطة جيلو: هي سلطة مصنوعة من الجيلي والفواكِه وقد تتضمَّن القليل من الأجبان أو الخضراوات.

شاهدت الرقيب الصالِح يقف في ركنه وينظر حوله، وتساءلت عما كان يُفكِّر فيه، لقد كانت تعبيرًا مجازيًا جميلًا: دوكس يقف صامتًا ووحيدًا في الركن بينما تدور الحياة البشرية من حوله بشكلٍ مروّعٍ، ربما كُنت لأشعر بقليلٍ من التعاطُف تجاهه، لو أنني أشعر فقط، بدا وكأنه غير مُتأثّر تمامًا بالأمر برمته، لم يُبدِ أي ردة فعل حتى عندما ركض أمامه زوج من قاطني ساوث بيتش عاريين، وقعت عيناه على أقرب شاشة، التي كانت تعرض بعض الصور المُذهِلة والأصلية التي تتضمَّن وجود حيوانات، نظر إليها دوكس دون اهتمام أو عاطِفة من أي نوع؛ مُجرَّد نظرة، ثُم حرَّك ناظره إلى رجال الشرطة الراقدين على الأرض، وأنجيل الموجود تحت الطاولة، وفينس الذي يقود صف رقصة كونجا قادِمة من المطبَخ، انتقل ببصره على طول الطريق وصولًا إليّ، نظر لي بنفس الافتقار إلى التعبير، عبر الغُرفة ووقف أمامي، وسألني: «إلى متى يجب أن نبقى؟».

ابتسمت إليه أفضل ابتسامتي وأنا أقول: «إن الأمر مُبالغ فيه قليلًا.. أليس كذلك؟ كُل هذا المرح والسعادة، لا بُد أنها تثير توتُّرك».

قال: «تجعلني أرغب في غسل يديّ، سأنتظِر بالخارج».

سألته: «هل هذه فكرة جيدة حقًا؟».

مال برأسه نحو صف رقصة كونجا الخاصّة بفينس، الذي كان ينهار في كومةٍ من المرح المُتشنِّج، وقال: «هل هذه فكرة جيدة؟».

وبالطبع كانت لديه وجهة نظر، على الرغم من أنه فيما يتعلَّق بالألم المُميت والرُعب الهائِل فصف رقصة الكونجا الساقِط أرضًا لا يستطيع أن يُنافِس الدكتور دانكو حقًا، ومع ذلك.. أفترِض أنه على المرء أن يأخُذ كرامة الإنسان في الاعتبار، هذا إذا ما كانت موجودة حقًا في مكانٍ ما، أما في الوقت الحالي.. وبالنظر في أنحاء الغُرفة.. لم يبدُ هذا مُمكِنًا.

فُتِح الباب الأمامي، استدرنا أنا ودوكس لمواجهته، كانت كُل ردود فعلنا على أهبة الاستعداد، وكان شيء جيد أننا كُنا مُستعدين لمواجهة الخطر، وإلا لكُنا سقطنا في براثن كمين امرأتين نصف عاريتين تحملان مُشغّل موسيقى، صرختا قائلتين: «مرحبًا؟».

وتمّت مُكافأتهما بهديرٍ خشنٍ عالي النبرة من صف رقصة الكونجا الساقِط أرضًا، كافح فينس للخروج من تحت كومة الأجساد وترنَّح على قدميه وهو يصيح: «مهلًا! مهلًا جميعًا! المُتعريات هنا! نخب العُمر الطويل!».

صَدَح صوت الهدير أعلى، وكافَح واحد من رجال الشرطة الساقطين أرضًا للوقوف على ركبتيه، ترنَّح قليلًا وهو يُحدِّق وينطق بكلمة: «المُتعريات..».

نظر دوكس إلى الغُرفة من حوله قبل أن ينظُر إليّ وهو يقول وهو يتجه إلى الباب: «سأكون بالخارج».

قُلت مُعتقِدًا أنها ليست فكرة جيدة حقًا: «دوكس».

لكنني لم أتبعه بأكثر من خطوة عندما تعرضت لكمينٍ وحشي مرة أخرى.

صرخ فينس وهو يُمسِك بي في عناق دُب أخرَق: «أمسكتك!».

قُلت: «فينس، دعني أذهَب».

ضحك قائلًا: «مُستحيل! مهلًا جميعًا! ساعدوني هنا مع العريس الخجول!».

كان هناك حشد من راقصي الكونجا القادمين من على الأرض، وآخر شُرطي واقِف بجوار النافورة، ووجدت نفسي فجأة في مُنتصف

دائرة صغيرة، دفعني ضغط الأجساد. نحو المقعد التي فقدت فيه كاميلا فيج وعيها قبل أن تسقط أرضًا، كافحت من أجل الهروب، لكن دون فائدة، كان هناك الكثيرون منهم، مليئين بعصير فينس المليء بالطاقة، لم يكُن بإمكاني فعل شيء سوى مُراقبة الرقيب دوكس، بآخر وهج مُنصهِر، وهو يعبر الباب الأمامي، ويخرج للخارج نحو الليل.

دفعوني إلى المقعد، ووقفوا من حولي في نصف دائرة ضيقة، وكان من الواضِح أنني لن أذهب إلى أي مكان، كُنت آمل أن يكون دوكس جيدًا كما كان يعتقِد، لأنه من الواضِح أنه سيكون بمُفرده لفترةٍ من الوقت.

توقَّفت الموسيقى، وسمعت صوتًا مألوفًا جعل الشعر الموجود على ذراعيّ ينتصِب: كان صوت شريط لاصِق ينفصِل عن لفافته، مُقدمتي المُفضّلة لكونشيرتو نصل السكين، أمسك أحدهم بذراعيّ ولف فينس ثلاث حلقات كبيرة من الشريط اللاصِق من حولي، ليربطني في المقعد، لم يكُن ضيقًا بما فيه الكفاية لإبقائي، لكنها بالتأكيد كافية لتبطئني بما فيه الكفاية للسماح للحشد بإبقائي في المقعد.

قال فينس: «حسنًا إذًا!».

فتحت واحدة من المتعريات مُشغِّل الموسيقى المحمول ليبدأ العرض، بدأت المُتعرية الأولى، وهي امرأة سوداء مُتجهّمة المظهر، في الرقص أمامي أثناء خلع بعض قطع الملابس غير الضرورية، وعندما كانت شبه عارية، جلست على حضني ولعقت أذني وهي تهز مؤخرتها، ثُم دفعت رأسي بين ثدييها وهي تقوِّس ظهرها للخلف، وتنحني للوراء، تقدَّمت المُتعرية الأخرى إلى الأمام، وهي امرأة ذات ملامح آسيوية وشعر أشقر، وكرَّرت العملية برُمتها، وبينما كانت تهز مؤخرتها على حضني لعدة دقائق، انضمَّت إليها المُتعرية الأولى، جلست كلتاهما

معًا، كُل منهما على جانب، وانحنيتا للأمام لتفرك أثداؤهما وجهي، وبدأتا في تقبيل بعضهما البعض.

في هذه اللحظة، أحضر فينس العزيز كوبًا كبيرًا من شراب الفاكهة القاتِل لكل منهما، وشربتاه على الفور، وهمّا لا تزالان تهتزّان بشكلٍ إيقاعي، تمتمت إحداهما: «يا له من شراب رائع».

لم أستطِع تحديد أي منهما قالت ذلك، لأن كلتيهما بدت موافِقة، بدأت المرأتان تتلويان كثيرًا الآن، وبدأ الحشد من حولي يعوي وكأنه موسم اكتمال القمر في تجمُّع للمُصابين بداء الكلب، بالطبع كانت وجهة نظري محجوبة لحدٍ ما بأربعة أثداء ضخمة للغاية وقاسية بشكلٍ غير طبيعي، اثنين في كُل جانب، لكن على الأقل بدا الأمر وكأن الجميع -ما عدا أنا- يحظى بقدرٍ كبيرٍ من المرح.

يتحتَّم عليك في بعض الأحيان أن تتساءل عما إذا كان هناك نوع من القوى الخبيثة التي تتمتَّع بحس دعابة مريض هي التي تُدير كوننا، كُنت أعرِف ما يكفي عن ذكور البشر لأعرِف أن مُعظمهم سوف يُسعِده أن يقايِض أجزاء من جسده ليكون في مكاني، ورغم ذلك.. كُل ما استطعت التفكير فيه هو أنني سأكون سعيدًا بنفس القدر لمُقايضة جزء أو جزءين من الجسد للخروج من هذا المقعد والابتعاد عن النساء الراقصات العاريات، بالطبع كُنت سأفضِّل أن تكون أجزاء جسد شخص آخر، لكنني كُنت سأجمعها بمرحٍ.

لكن لم تكُن هناك عدالة؛ جلست المُتعريتان على حضني، تتراقصان مع الموسيقى وتتعرَّقان فوق قميصي الرايون الجميل، وفوق بعضهما البعض، بينما احتدم الحفل من حولنا، بعد ما بدا كأنه تعويذة لا نهائية من التطهير، لم يكسرها سوى فينس الذي أحضر للمُتعريتين كوبين آخرين

من الشراب، تحرَّكت المرأتان الساكنتان أخيرًا عن حضني، ورقصتا حول الحشد الدائري، لمستا الوجوه، وارتشفتا من مشروبات المُحتفلين، استخدمت الإلهاء في تحرير يدي وإزالة الشريط اللاصِق، وبمُجرَّد أن لاحظت عدم اهتمام أحد على الإطلاق بديكستر ذي الغمَّازات، رجل الساعة بشكلٍ نظري، أوضحت لي نظرة سريعة عن السبب: كان جميع من في الغُرفة يقف في دائرة مُتراخية يُشاهدون المُتعريتين ترقصان، كانتا عاريتين تمامًا الآن، تتلألآن بالعرق والمشروبات المسكوبة، بدا فينس كالرسوم المُتحرّكة بالطريقة التي وقف بها بعينين مُنتفختين تكادان تخرجان من رأسه، لكنه كان في صُحبةٍ جيدةٍ، كان كُل من لا يزال واعيًا في وضعٍ مُماثِلٍ، مُحدِّقًا دون تنفُّس، يترنَّح قليلًا من جانبٍ إلى آخر، كان بإمكاني أن أتوغَّل في الغُرفة لأتعثَّر في آلة نفخ موسيقية مُشتعِلة بالنيران دون أن يعيرني أحد أي اهتمام.

وقفت ومشيت بحذرٍ خلف الحشد، وتسلَّلت عبر الباب الأمامي، كُنت أعتقِد أن الرقيب دوكس سينتظِر في مكانٍ ما بالقُرب من المنزل، لكنه لم يكُن في أي مكان يُمكِن رؤيته، مشيت عبر الشارِع ونظرت في سيارته، كانت فارِغة بدورها، نظرت إلى أول الشارِع وآخره لكن الأمر كان على ما هو عليه، لم يكُن هناك أي أثر له.

اختفى دوكس.

الفصل الرابع والعشرون

هناك العديد من جوانِب الطبيعة البشريّة التي لن أفهمها أبدًا، ولا أقصِد من الناحية الفكريَّة فحسب، أعني أنني أفتقِد القدرة على التعاطُف، وكذلك القُدرة على الشعور بالعاطِفة، لا يبدو الأمر كخسارة كبيرة بالنسبة لي، لكنه يضع الكثير من مجالات التجربة الإنسانيّة العاديّة خارج نطاق فهمي تمامًا.

ورغم ذلك.. فهناك تجربة إنسانيّة شائِعة على نحوٍ ساحقٍ أشعر بها بشدة، ألا وهي الإغراء، وعندما نظرت إلى الشارِع الخالي خارج منزل فينس ماسوكا وأدركت أن الدكتور دانكو قد أخذ دوكس بطريقةٍ ما، شعرت بموجاتٍ مُذهلةٍ وشبه خانقةٍ تغمرني، كُنت حرًا، طَفَت الفكرة حولي وأذهلتني ببساطتها الأنيقة والمُبرَّرة تمامًا، فالرحيل سيكون أسهل شيء في العالم، لأدَع دوكس يلم شمله مع الدكتور، وأُبلِّغ عن ذلك في الصباح، مُتظاهرًا بأنني أفرطت في الشراب -فهي حفلة خطوبتي على أي حال!- وأنني لست مُتأكِّدًا مما حدث للرقيب الصالِح، ومن سيستطيع مُخالفتي؟ بالتأكيد لا يوجد أي شخص في الحفلة بالداخل قادِر على أن يقول أي شيء يقترِب حتى من الواقِع حول عدم مُشاهدتي لعرض صندوق الدنيا معهم طوال الوقت.

سيختفي دوكس، سينتقِل إلى ضبابٍ من الأطراف المُقطَّعة والجنون للأبد، وسيتحرَّر من عبء فتح بابي المُظلِم مرةً أخرى، الحُريّة لديكستر،

حُر لأكون أنا، وكُل ما عليّ فعله.. هو ألا أفعل أي شيء على الإطلاق، حتى لو كان بإمكاني تولي الأمر، فلماذا لا أبتعِد؟ وفي هذا الصدَّد.. لماذا لا آخُذ نزهةً أطول قليلًا، وصولًا إلى كوكونوت جروف، حيث قبع مصوِّر أطفال مُعيَّن في انتظار أن أوليه انتباهي لوقتٍ طويلٍ للغاية؟ الأمر بسيط للغاية، آمن للغاية، في الواقِع.. لم لا؟ ليلة مثالية للمتعة المُظلِمة التشاؤميَّة، يكاد القمر يكتمِل، وتلك الحافة الصغيرة الناقِصة تضفي على الأمر برمته مظهرًا عفويًا غير رسمي، وافقت الهمسات المُلحَّة، وارتفعت في جوقةٍ هامسةٍ مُصرَّة.

كان كُل شيء هناك، الوقت والهدف ومُعظَم القمر، بل وحتى حجة الغياب، وكان الضغط يتزايد لوقتٍ طويلٍ لدرجة أنه أصبح بإمكاني أن أغلِق عينيّ وأن أترك الأمر يحدث من تلقاء نفسه فحسب، وأن أخوض الأمر السعيد بأكمله على نظام الطيَّار الآلي، ثمَّ التحرُّر الحلو مرةً أخرى، الوهج اللاحِق للعضلات السائِبة بعد أن تمَّ فك كُل التشنُّجات والعُقد، والسقوط السعيد في نومي الكامِل الأول منذ فترة طويلة للغاية، وفي الصباح.. سأكون مرتاحًا وهانئًا، وسأخبِر ديبرا أن..

أوه، ديبرا، ها هي ذي، أليس كذلك؟

سأخبر ديبرا أنني قد انتهزت الفُرصة المُفاجئة لعدم وجود دوكس وذهبت لأندفِع في الظلام بحاجةٍ مُلِّحةٍ وسكين بينما آخر بضع أصابع من يد حبيبها تُلقى بعيدًا في كومة قمامة؟ بطريقةٍ ما.. على الرغم من إصرار المُشجِّعين الداخليين على أن كُل شيء سيكون على ما يُرام، فإنني لم أعتقِد أنها ستتفهَّم الأمر، انتابني شعور أن هذا سيكون المسمار الأخير في نعش علاقتي مع أختي، ربما ستكون هناك زلة صغيرة في الحُكم، لكنها ستجد صعوبةً بالغةً في الغُفران، وعلى الرغم من أنني لست قادِرًا

على الشعور بالحُب الحقيقي، فإنني كُنت أرغَب في الحفاظ على ديبس سعيدة نسبيًا معي.

وهكذا.. تُركِت مرةً أخرى بصبرٍ فاضل ومُعاناةٍ طويلةٍ مع الشعور بالاستقامة، ديكستر الدؤوب المُطيع، **ستأتي الفُرصة**، هكذا أخبرت نفسي الأخرى، **آجلًا أم عاجلًا، ستأتي، يجب أن تأتي، لن تنتظِر إلى الأبد، لكن يجب أن يأتي هذا أولًا**، وكان هناك بعض التذمُّر بالطبع، لأنه لم يصل إلى هذا الحد منذ وقت طويل، لكنني هدأت الزئير، تزعزعت القُضبان بتهليلٍ جيدٍ زائفٍ واحد، قبل أن أخرِج هاتفي المحمول.

اتصلت بالرقم الذي أعطاني إياه دوكس، وبعد لحظة سمعت الرنَّة، ثم لا شيء، مُجرَّد هسيس خافِت، أدخلت رمز الاتصال الطويل، سمعت تكَّة، ثُم قال صوت نسائي مُحايِد: «الرقم».

أعطيت صاحبة الصوت رقم هاتِف دوكس المحمول، كان هناك صمت، قبل أن تقرأ لي بعض الإحداثيات، كتبتها على عجلٍ على الدفتر، صمت الصوت، قبل أن تُضيف: «يتحرَّك غربًا، بسُرعة 65 ميلًا في الساعة».

وانتهت المُكالمة.

لم أزعَم يومًا أنني خبير في الملاحة، لكن لديّ وحدة تحديد مواقِع (GPS) أستخدمها في قاربي، تُساعدني في وضع علامات على مواقِع الصيد الجيدة، لذلك تمكَّنت من وضع الإحداثيات دون أن أصدِم رأسي أو أتسبَّب في انفجارٍ، كان الجهاز الذي أعطاني دوكس إياه يفوق إمكانيات جهازي وتظهر خريطة على شاشته، تُرجِمت الإحداثيات الموجودة على الخريطة إلى الطريق السريع رقم (75)، مُتجِهة نحو طريق آليجيتور، في الرواق المؤدي إلى ساحِل فلوريدا الغربي.

شعرت بقليلٍ من الدهشة، مُعظَم الأراضي الواقِعة بين ميامي ونيبلز يحتلها إيفرجلادز، مُستنقع تقسّمه بقع صغيرة من الأراضي شبه الجافة، مليء بالثعابين والتماسيح والكازينوهات الهندية، والتي لا تبدو على الإطلاق كمكان يصلح للاسترخاء والتمتُّع بتقطيع أوصال سلمي، لكن الـ GPS لا يكذب، ويُفترَض أن الصوت الموجود عبر الهاتِف لم يفعل بدوره، إذا ما كانت الإحداثيات خاطِئة، فهذا من عمل دوكس، وسيختفي على أي حال، لم يكُن لديّ أي خيار، شعرت بقليلٍ من الذنب بشأن مُغادرة الحفل دون شُكر مضيفي، لكنني ركبت سيارتي وتوجَّهت نحو الطريق السريع رقم (75).

كُنت على الطريق السريع في غضون بضع دقائق، قبل أن أتوجَّه شمالًا بسُرعة نحو الطريق السريع رقم (75)، وبينما تتجه غربًا في الطريق، تتضاءل المدينة تدريجيًا، ثُم يحدُث تدفُّق غاضِب أخير لمراكِز التسوُّق والمنازِل قبل كشك تحصيل الرسوم من أجل دخول طريق آليجيتور، توقَّفت قبل عبور الكشك واتصلت بالرقم مرةً أخرى، أعطاني نفس الصوت الأنثوي المُحايِد مجموعة من الإحداثيات قبل أن تنتهي المُكالمة، اعتبرت أنها تعني بذلك أنهم توقَّفوا عن الحركة الآن.

وفقًا للخريطة.. فالرقيب دوكس والدكتور دانكو يستقران الآن بشكلٍ مُريحٍ في وسط منطقة بريّة مائيّة غير معلومة تقع أمامي على بُعد أربعين ميلًا، لا أعرف بشأن دانكو، لكنني لا أعتقِد أن دوكس سيطفو بشكلٍ جيدٍ للغاية، ربما يُمكِن لـ GPS أن يكذِب في النهاية، ورغم ذلك.. تحتَّم عليّ أن أفعل شيئًا، لذا عبرت الكُشك، دفعت رسوم التحصيل، وواصلت السير غربًا.

في بُقعة موازية للموقع على جهاز تحديد المواقِع (GPS)، يتفرَّع طريق صغير إلى اليمين، يكاد يكون غير مرئي في الظلام تقريبًا، خصوصًا وأنا أسير على سُرعة سبعين ميلًا في الساعة، لكنني رأيته بعدما عبرته، لذلك ضغطت على المكابِح حتى وقفت على جانب الطريق وعُدت لإلقاء نظرة عليه، كان طريقًا تُرابيًا مؤلفًا من مسارٍ واحدٍ يقود إلى لا شيء، يعبر جسرًا مُتهالكًا ثم ينطلِق مُباشرةً كالسهم نحو ظلام إيفرجلادز، وعلى ضوء المصابيح الأمامية للسيارات المارَّة، لم يكُن بإمكاني سوى رؤية حوالي خمسين ياردة على طول الطريق، ثم لم يعُد بإمكاني رؤية أي شيء، نمت مجموعة من الحشائِش التي يصل طولها إلى مستوى الركبة في وسط الطريق بين مسارين لإطاراتٍ مُتعرِّجةٍ بشدة، وكانت هناك مجموعة من الأشجار القصيرة مُصطَّفة على جانب الطريق عند حافّة الظلام، وكان هذا هو كُل شيء.

فكَّرت في الخروج والبحث عن أي نوع من الأدلة، قبل أن أدرك كم كان هذا سخيفًا، هل اعتقدت أنني تونتو، الدليل الهندي المُخلِص؟ لا أستطيع النظر إلى غصن مُنحنٍ لأقول كم عدد الرجال البيض الذين مرَّوا خلال الساعة الماضية، ربما كوَّن دماغ ديكستر المُطيع وغير المُلهِم عنه صورة على أنه شيرلوك هولمز، القادِر على فحص الأخدود الناتِج عن الإطار، واستنتاج أن أحدب أعسَر بشعرٍ أحمر وعرجٍ قد مرَّ على الطريق حاملًا سيجارًا كوبيًا وآلة أُكلال موسيقية، لن أجِد أي أدلة، وليس لأن هذا يهم، فالحقيقة الحزينة كانت.. إما أن يكون هذا صحيحًا أو أن كُل شيء سينتهي الليلة، وسيكون قد تمَّ الانتهاء من الرقيب دوكس منذ وقت طويل للغاية.

وفقط كي أكون مُتأكِّدًا تمامًا -أو كيلا أشعر بالذنب على أي حال- اتصلت برقم هاتف دوكس السري للغاية مرةً أخرى، أعطاني الصوت نفس الإحداثيات وأنهى المُكالمة، أينما كانوا.. فلا يزالون هناك، في نهاية هذا الطريق الصغير القذر المُظلِم.

على ما يبدو.. لم أكُن أملك أية خيارات، الواجِب يُنادي، وعلى ديكستر أن يُلبّي النداء، أدرت عجلة القيادة بشدة، وبدأت في السير على الطريق.

وفقًا لنظام تحديد المواقِع (GPS).. كان عليّ أن أسير لخمسة أميال ونصف قبل أن أصِل إلى أيًا ما كان ينتظرني هناك، فتحت مصابيحي الأماميّة قليلًا وأنا أقود ببطءٍ، أراقِب الطريق بحرصٍ، منحني هذا مُتسعًا من الوقت للتفكير، وهو ليس بالأمر الجيد دائِمًا، فكَّرت فيما قد يكون هناك في نهاية الطريق، وفيما سأفعل عندما أصل إلى هناك، وعلى الرغم من كونه وقتًا سيئًا بالنسبة لي، فإنني أدركت أنه حتى لو وجدت الدكتور دانكو في نهاية الطريق، فلم يكُن لديّ أي فكرة عمّا سأفعله حيال ذلك.

«تعالَ وخُذني».

قالها دوكس، وبدا الأمر بسيطًا بما يكفي حتى وجدت نفسك تقود سيارتك في ليلةٍ مُظلمةٍ في إيفرجلادز دون سلاح أخطر من الدفتر الملولَب، وعلى ما يبدو.. فالدكتور دانكو لم يواجِه أي متاعِب مع هؤلاء الذين سبق أن اختطفهم، على الرغم من حقيقة أنهم عملاء قساة مُسلحون جيدًا، فكيف يُمكِن لديكستر الطيِّع العاجِز أن يأمل في التصدي له بينما سَقَط دوكس العظيم بسُرعةٍ كبيرةٍ؟

وماذا سأفعل لو قبض عليّ؟ لم أكُن أعتقِد أنني أصلُح للتحوُّل لحبة بطاطس تصرخ جيدًا، لم أكُن مُتأكِّدًا إذا ما كان بإمكاني الإصابة بالجنون، لأن مُعظَم السُلطات ستقول على الأرجَح أنني كُنت مجنونًا بالفعل، هل سأفعل على أي حال وسأصاب بالجنون وصولًا إلى أرض الصرخة الأبدية؟ أم بسبب ما أنا عليه.. سأظل واعيًا لما يحدُث لي؟ لنفسي، نفسي الغالية، مربوط إلى طاولةٍ وأنتقِد تقنية التقطيع؟ بالتأكيد ستُخبرني الإجابة بكثيرٍ عما كُنت عليه، لكنني قرَّرت أنني لا أريد حقًا معرفة الإجابة بشدةٍ، كانت هذه الفكرة كافيةً تقريبًا لتجعلني أشعر بعاطفةٍ حقيقيةٍ، وليست من النوع الذي سأشعُر بالامتنان له.

كانت الليلة تزداد سوادًا، وليست بطريقةٍ جيدةٍ، ديكستر من فتيان المدينة، مُعتاد على الأضواء الساطِعة التي تترك ظلالًا قاتمةً، وكلما تقدمت على طول هذا الطريق.. بدا أكثر إعتامًا، وكلما زاد إعتامًا.. بدأ هذا الأمر برمته يبدو وكأنه رحلة انتحارية ميؤوس منها، من الواضِح أنه يجب استدعاء فصيلة من مُشاة البحرية من أجل هذه الحالة، وليس شخصًا مُعقَّدًا من مُختبر الطب الشرعي، من كُنت أظن نفسي حقًا؟ السيد ديكستر الشُجاع المُسرِع للإنقاذ؟ ما الذي آمُل حقًا أن أفعله؟ وفي هذا الصدد تحديدًا.. ما الذي يُمكِن لأي شخص فعله إلا الصلاة؟

وبالطبع أنا لا أصلي، من الذي يجب أن يُصلي شيء مثلي من أجله، ولماذا سيجب عليه أن يسمعني؟ وإذا ما وجدت شيئًا ما -أيًا ما كان- كيف يُمكنني منعه من السُخرية مني، أو إصابتي بصاعقة برق في حلقي؟ كان من المُريح للغاية أن أكون قادرًا على أن أتطلَّع إلى نوعٍ من القوة العُليا، لكن بالطبع.. أنا لا أعرِف سوى قوة عليا واحدة، وعلى الرغم من أنه كان قويًا وسريعًا وذكيًا وجيدًا للغاية في المُطاردة بصمتٍ أثناء الليل، فهل سيكون الراكِب المُظلِم كافيًا؟

وفقًا لـ GPS فأنا كُنت على بُعد ربع ميل من الرقيب دوكس، أو على الأقل من هاتفه المحمول، عندما وصلت إلى البوابة، كانت واحدة من تلك البوابات العريضة المصنوعة من الألومنيوم والتي يستخدمونها في مزارِع الألبان من أجل إبقاء البقر بالداخل، لكن هذه لم تكُن مزرعة ألبان، عُلِّقَت فوق البوابة لافتة تقول:

«مزرعة تماسيح بلالوك جاتور
سـيؤكَـــــل المُتسـلـلـــون».

بدا هذا كأنه مكان جيد جدًّا لمزرعة تماسيح، مما لم يجعله بالضرورة المكان الذي أردت أن أتواجَد فيه، أشعُر بالخجل من الاعتراف بأنني على الرغم من أني عشت حياتي كُلها في ميامي، فإنني أعرف أقل القليل عن مزارع التماسيح، هل تتجوَّل الحيوانات بحريةٍ في المراعي المائية، أم أنها محبوسة بطريقةٍ ما؟ بدا هذا كأنه سؤال مهم للغاية في الوقت الحالي، هل تستطيع التماسيح الرؤية في الظلام؟ وما مدى جوعها بشكلٍ عامٍ؟ كُلها أسئلة جيدة، وكُلها ذات صلة بالأمر.

أطفأت المصابيح الأمامية، أوقفت السيارة، ونزلت، وفي الصمت المُفاجئ.. كان بإمكاني سماع صوت دقَّات المُحرِّك، صوت طنين البعوض، ومن بعيد.. كانت الموسيقى تُعزَف عبر مُكبِّر صوت، بدت كموسيقى كوبية، على الأرجح كان تيتو بوينتي[1].

كان الدكتور بالداخل.

---

(1) تيتو بوينتي: إرنست أنتوني بوينتي جونيور، المعروف باسم تيتو بوينتي، موسيقي أمريكي وكاتب أغانٍ وقائد فرقة موسيقية ومنتج أسطوانات من أصل بورتوريكي، مشهور بتأليف المامبو للرقص، وموسيقى الجاز اللاتينية لفترة استمرت إلى 50 عامًا، أغنيته الأكثر شهرة هي «Oye Como Va».

اقتربت من البوابة، لا يزال الطريق يمضي في خطٍ مُستقيم بالداخل، نحو جسر خشبي قديم، وصولًا إلى بستان من الأشجار، كان بإمكاني رؤية ضوء يتسلل من بين الفروع، لكنني لم أرَ أي تماسيح تسترخي في ضوء القمر.

حسنًا يا ديكستر، ها نحن ذا، ماذا تُريد أن تفعل الليلة؟ لم تبدُ أريكة ريتا مكانًا سيئًا في هذه اللحظة، خصوصًا بالمُقارنة مع وقوفي هنا في الليل البهيم، وعلى الجانب الآخر من هذه البوابة.. هناك شخص مهووس بالتشريح، وجحافِل من الزواحِف المُفترسة، ورجل كان من المُفترض أن أنقِذه على الرغم من أنه أراد قتلي، وفي هذا الجانب.. يقف ديكستر العظيم يرتدي سروالًا داكنًا.

من المؤكَّد أنني كُنت أطرح هذا السؤال كثيرًا مؤخَّرًا، لكن لماذا أنا دائمًا؟ أعني.. أنا أخوض كُل هذا لإنقاذ الرقيب دوكس من بين باقي البشر حقًا؟ مرحبًا؟ ألا يوجد خطأ ما في هذه الصورة؟ مثل حقيقة أنني كُنت موجودًا بها؟

ومع ذلك.. كُنت هنا، وبإمكاني أيضًا المضي قدمًا في هذا، تسلَّقت البوابة وتوجَّهت نحو الضوء، بدأت أصوات الليل الطبيعي في العودة بالتدريج مع كُل خطوة.

على الأقل افترضت أنها كانت أصواتًا طبيعية هنا في الغابة البدائية الموحشة، كانت هنالك نقرات وطنين وأزيز من أصدقائنا الحشرات، ونوع من الصراخ الحزين الذي آملت بشدةٍ أن يكون لمُجرَّد نوع من البوم، أرجو أن تكون بومة صغيرة، هزَّ شيء ما الشُجيرات عن يميني قبل أن يهدأ تمامًا، ولحُسن حظي.. بدلًا من أن أشعُر بالتوتُّر أو الخوف مثل إنسان طبيعي، وجدت نفسي أنزلِق إلى وضع المُطارِد الليلي، تغيَّرت

الأصوات، وتباطأت الحركة من حولي، وبدا أن كُل حواسي أصبحت أكثر حيويةً، تغيَّر لون الظلام ليُصبِح أفتَح قليلًا، وظهرت تفاصيل الليل من حولي في بؤرة التركيز، وبدأت ضحكةً مكتومةً، صامتة، بارِدة وحذِرة تنمو من تحت سطح وعيي، هل وجد ديكستر المسكين سيئ الفهم نفسه متورِطًا في مشكلة مُعقَّدة وموقِف لا يستطيع التعامُل معه؟ إذًا لندع الراكِب المُظلِم يتولى عجلة القيادة، فهو يعرف ماذا سيفعل، وسيفعله.

ولِمَ لا؟ فبعد كُل شيء.. ينتظرنا الدكتور دانكو في نهاية هذا الممر وذلك الجسر، لطالما انتظرت مُقابلته، والآن.. سأفعل ذلك، سيوافِق هاري على أي شيء سأفعله به، حتى دوكس.. عليه أن يعترِف بأن دانكو يستحِق ذلك، وربما يشكرني على ذلك، هذه المرة كان لديّ إذن؛ وكان هذا مُذهلًا، بل والأفضل من ذلك.. كان لديّ إحساس شاعري به، أبقى دوكس الجني الخاص بي مُحاصرًا في زجاجته لوقتٍ طويلٍ، فستكون هناك عدالة مُعيَّنة إذا ما سمح إنقاذه بخروجه منها ثانيةً، وبالتأكيد سأقوم بإنقاذه، بالطبع سأفعل، وبعد ذلك..

لكن أولًا..

عبرت الجسر الخشبي، في مُنتصف الطريق.. أصدر لوح خشبي صوت صرير، وتجمَّدت للحظةٍ، لكن أصوات الليل لم تتغيَّر، سمعت صوت تيتو بوينتي يصدح في الغناء على اللحن، وتقدَّمت.

اتسَع الطريق على الجانب الآخر من الجسر ليقود إلى منطقة وقوف سيارات، إلى اليسار كان هناك سياج معدني، وفي الأمام مُباشرةً مبنى صغير مكوَّن من طابقٍ واحدٍ والضوء يسطع من نافذته، كان قديمًا، مُهدَّمًا، ويحتاج للطلاء، لكن ربما لم يهتَم الدكتور دانكو بالمظهر كما يجب

أن يفعل، وإلى اليمين كوخ يرتفِع على أعمدةٍ، يقف بهدوءٍ بجوار قناة مائية، تتدلى أجزاء من سقفه المصنوع من سعف النخيل مثل ملابس قديمة مُمزَّقة، وزورق هوائي تم ربطه في رصيفٍ مُتداعٍ يخترِق القناة.

انزلقت في الظلال الناتِجة عن صف الأشجار، وشعرت أن حيوانًا مُفترِسًا مُتّزنًا وهادئًا يتحكَّم في حواسي، دُرت بحذرٍ حول منطقة وقوف السيارات، مُتجِهًا إلى اليسار، بمُحاذاة السياج المعدني، نخر شيء ما نحوي ثُم اختفى في المياه فتناثرت، لكنه كان على الجانب الآخر من السياج، لذلك تجاهلته وواصلت، كان الراكِب المُظلِم هو الذي يتولى عجلة القيادة، وهو لا يتوقَّف لمثل تلك الأشياء.

انتهى السياج بزاويةٍ نحو اليمين بعيدًا عن المنزل، كان هناك امتداد أخير نحو الفراغ، لا يزيد على خمسين قدمًا، وصف آخر من الأشجار، انتقلت إلى الشجرة الأخيرة لإلقاء نظرة جيدة على المنزل، لكن عندما توقَّفت، ووضعت يدي على الجذع، تهشَّم شيء ما ورفرف في الأغصان من فوقي، وهو يصرخ بصوتٍ عالٍ مُرعِبٍ يشُق صمت الليل، قفزت إلى الخلف بينما سَقَط أيًا ما كان في الأعلى عبر أوراق الشجرة إلى الأرض.

استمرَّ في إصدار صوت بدا مثل بوق مجنون مُفرِط في الضخامة، واجهني ذلك الشيء، كان طائرًا ضخمًا، أضخم من الديك الرومي، وبدا واضحًا من طريقته في الهسهسة والنعيق أنه كان غاضبًا مني، تقدَّم خطوةً للأمام، يجر ذيلًا ضخمًا على الأرض، أدركت أنه طاووس، الحيوانات لا تحبني، لكن يبدو أن هذا الحيوان يملك كراهيةً شديدةً وعنيفةً ضدي، أفترض أنه لم يفهم أنني كُنت أخطر وأكبر منه بكثيرٍ، بدا عازمًا على أكلي أو إبعادي، وبما أنني كُنت في حاجةٍ لإيقاف صوت الضجيج البشع في أسرع وقت مُمكِن، أجبرته على التكرُّم بالانسحاب،

وهرعت للخلف على طول السياج نحو ظلال الجسر، بمُجرَّد أن وصلت بأمانٍ إلى بقعة هادِئة من الظلام، استدرت لألقي نظرةً على المنزل.

توقَّفت الموسيقى، وانطفأ الضوء.

وقفت مُتجمدًا في ظلي لعدة دقائق، لكن شيئًا لم يحدُث، باستثناء توقُّف الطاووس عن الصياح، قبل أن يُطلِق صوتًا مكتومًا تجاهي، وهو يرفرف عائدًا إلى شجرته، ثم عادت أصوات الليل مرةً أخرى، طنين وأزيز الحشرات، ونخير وتناثُر مياه من التماسيح، لكن صوت تيتو بوينتي توقَّف، كُنت أعلَم أن الدكتور دانكو يُراقِب وينصت السمع مثلما أفعل، كُل منا كان ينتظِر قيام الآخر بحركةٍ ما، لكن يُمكنني الانتظار لفترةٍ أطول، لم يكُن لديه أي فكرة عمّا يُمكِن أن يكون موجودًا في الظلام، من المُمكِن أن يكون إما فريق قوّات خاصَّة أو فريقًا نسائيًّا غنائيًّا، بينما أنا أعلم أنه لا يوجد سواه، وأعلم أين هو، أما هو فلم يكُن يعلَم إذا ما كان هناك شخص موجود على السطح أو حتى إن كان مُحاصرًا، لذلك كان عليه أن يُبادِر بحركته أولًا، وكان هناك خياران فحسب، إما أن يبدأ بالهجوم، أو..

ومن الطرف البعيد من المنزل، أتاني هدير المُحرِّك المُفاجئ، وبينما شعرت بالتوتُّر.. قفز الزورق الهوائي بعيدًا عن الرصيف، تصاعَد صوت المُحرِّك والزورق يبتعِد عبر القناة، وفي أقل من دقيقة.. كان قد اختفى، دار حول مُنعطف واختفى في ظلام الليل، واختفى معه الدكتور دانكو.

الفصل الخامس والعشرون

وقفت أراقِب المنزل فحسب لبضع دقائق، لأنني كُنت حذرًا بعض الشيء، في الواقِع.. لم أرَ قائد الزورق الهوائي، ومن المُمكِن أن يكون الدكتور لا يزال مُختبِئًا بالداخل، ينتظِر لمعرفة ماذا سيحدُث، وكي أكون صادقًا.. لم أكُن أرغَب في التعرُّض لوحشية أي دجاجة وحشية حسنة المظهَر كذلك.

ولكن بعد عدة دقائق من عدم حدوث أي شيء على الإطلاق، عَلِمت أنه كان عليّ الذهاب إلى المنزل لإلقاء نظرة، وهكذا.. دُرت حول الشجرة التي يجثم بها الطائِر الشرير، مُقترِبًا من المنزل.

كان مُظلمًا بالداخل، لكنه لم يكُن هادِئًا، لذا وقفت بالخارج بجوار الباب المُهشَّم الذي يواجِه منطقة وقوف السيارات، سمعت ما يُشبِه الضربات الهادِئة قادمةً من مكان ما بالداخل، متبوعًا بعد دقيقة بنخيرٍ مُتتابع وأنينٍ مُتقطِّع، لم يبدُ وكأنه نوع الضجيج الذي يُحدِثه شخص ما في حال كان يختبئ في كمينٍ قاتلٍ، بدلًا من ذلك.. بدا كالصوت الذي قد يُصدره شخص ما في حال كان مُقيَّدًا ويحاول الفرار، هل كان فرار الدكتور دانكو سريعًا لدرجة أنه تَرَك الرقيب دوكس خلفه؟

ومرةً أخرى.. وجدت قبو عقلي بأكمله مليئًا بإغراءاتٍ مليئةٍ بالنشوة، الرقيب دوكس، عدوي اللدود، مُقيَّد بالداخل، مُغلَّف كهدية تم توصيلها لي في وضعٍ مثالي، كُل الأدوات والإمدادات التي يُمكِن أن

أحتاجها، لا يوجد أحد في الجوار لأميالٍ، وعندما سأنتهي.. كُل ما عليّ فعله هو قول: «آسف، لقد أتيت مُتأخِّرًا للغاية، انظر ماذا فعل الدكتور دانكو الشرير في الرقيب دوكس المسكين».

كانت الفكرة مُسكِرة، وأظن أنني في الواقِع قد ترنَّحت قليلًا وأنا أتذوقها، بالطبع كانت مُجرَّد فكرة، وبالقطع لن أفعل أي شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟ أعني.. هل سأفعل ذلك حقًا؟ ديكستر؟ مرحبًا؟ لماذا يسيل لعابك أيها الفتى العزيز؟

بالتأكيد لا، ليس أنا، لماذا، كُنت منارةً أخلاقيةً في رحلة البحث عن الله بجنوبِ فلوريدا، كُنت مستيقظًا أغلب الوقت، نظيفًا للغاية، وموضوعًا على الشاحِن المُظلِم، فليذهَب السيد ديكستر العفيف إلى الإنقاذ، أو على أي حال.. ربما سيذهَب إلى الإنقاذ، أعني بعد وضع كُل الأمور في الاعتبار، فتحت الباب ودخلت.

ومُباشرةً بعد دخولي من الباب، بدأت بتحسُّس الحائِط، فقط لأتوخى الحذر، وجدت مفتاح الضوء، وجدت واحدًا في مكانه الصحيح وقُمت بالضغط عليه.

كان قليل التأثيث، مثل عرين دانكو الأول للخطايا، ومرةً أخرى.. كانت السمة الرئيسية للمكان هي طاولة كبيرة في مُنتصف الغُرفة، ومرآة مُعلَّقة على الحائِط المُقابِل، على اليمين.. يوجد مدخل بدون باب يقود إلى ما يُشبه المطبخ، وعلى اليسار.. باب مُغلَق، ربما كانت غُرفة نوم أو دورة مياه، ومُباشرةً على الجانب المُقابل من المكان الذي وقفت فيه كان هناك باب آخر يقود إلى الخارج، من المُفترض أن هذا هو الطريق الذي نَجَحَ الدكتور دانكو في الفرار منه.

وعلى الجانب الآخر من الطاولة، الذي كان يتصاعَد منه صوت الضرب أقوى من ذي قبل، كان هناك شيء يرتدي معطفًا برتقاليًا شاحِبًا، بدا بشريًا بطريقةٍ ما، حتى من مكاني عبر الغُرفة، قال: «هنا، أرجوك، ساعدني، ساعدني».

عبرت الغُرفة وانحنيت بجواره، كان قد تمَّ ربط ذراعيه وساقيه بشريطٍ لاصقٍ، كان هذا بطبيعة الحال هو اختيار كُل وحش مُتميِّز ومُتمرِّس، فحصته بينما كُنت أقطع الشريط اللاصِق، أستمِع دون تركيز إلى صوت نحيبه المُستمِر: «حمدًا لله، أرجوك، حررني يا صديقي، أسرع.. أسرِع من أجل الله، يا للمسيح، لماذا استغرقك الأمر وقتًا طويلًا، يا إلهي، شكرًا لك، عَلِمت أنك ستأتي».

أو شيء من هذا القبيل، كان رأسه حليقًا تمامًا، حتى حاجباه، لكن لم يكُن هناك أي سبيل للخطأ في تمييز الذقن الرجولي والندوب التي تُزيِّن وجهه، كان كايل تشوتسكي.

أو مُعظَمه على أي حال.

وعندما انتُزِعَ الشريط اللاصِق وأصبح تشوتسكي قادرًا على التحوُّل إلى وضع الجلوس، أصبح من الواضِح أنه فقد ذراعه اليُسرى حتى الكوع، وساقه اليُمنى حتى الركبة، كانت الجذوع ملفوفةً بشاشٍ أبيض نظيفٍ، لا يتسرَّب أي شيء من خلاله، ومرةً أخرى.. كان هذا عملًا جيدًا للغاية، على الرغم من أنني لم أكُن أعتقِد أن تشوتسكي سيُقدِّر الرعاية التي منحها له دانكو أثناء بتر ذراعه وقدمه، ولم يتضِح بعد مقدار ما تم فقده من عقل تشوتسكي، على الرغم من أن نحيبه المُستمِر المُبلَّل بالدموع لم يفعل شيئًا لإقناعي أنه مُستعد للجلوس أمام أجهزة التحكُّم في طائرة ركَّاب.

قال: «يا إلهي يا صديقي، يا للمسيح، لقد أتيت الحمد لله».

ودفن رأسه في كتفي وبكى، وبما أنه كانت لديّ بعض الخبرة الحديثة في هذا الأمر، كُنت أعرِف ما يجب فعله، ربتُّ على ظهره وأنا أقول: «رويدكِ قليلًا».

كان الأمر مُحرِجًا أكثر مما كان عليه عندما فعلت هذا مع ديبرا، نظرًا لأن جذع ذراعه اليسرى ظلَّ يصطدِم بي، مما جعل التظاهر بالتعاطُف أكثر صعوبةً.

لكن نهنهة بُكاء تشوتسكي استمرَّت لبضع دقائق فحسب، وعندما ابتعَد عني أخيرًا، وهو يُكافِح من أجل البقاء في وضعٍ مُستقيم، كان قميصي الجميل مُبتلًا بالدموع، شَهق بقوةٍ، لكن كان انتهى أمر قميصي، سألني: «أين ديبي؟».

قُلت له: «لقد كسرت عظمة الترقوة، وهي في المُستشفى».

قال وهو يشهَق مرةً أخرى: «أوه».

بدا الصوت الرطِب وكأنه يتردَّد من مكانٍ ما بداخله، نَظَر خلفه بسُرعة وهو يُكافِح واقفًا على قدمه، قال: «من الأفضل أن نخرُج من هنا، ربما يعود».

لم يخطُر ببالي أن دانكو قد يعود، لكنه كان مُحقًا، إنها خدعة مُفترِس مُتمرِّس، أن يفر ثُم يستدير عائدًا لمعرفة الشخص الذي يقتفي آثاره، وإذا ما فَعَل الدكتور دانكو، فسيجِد بضعة أهداف سهلة إلى حدٍ ما، قُلت لتشوتسكي: «حسنًا، دعني ألقي نظرةً سريعةً على المكان».

رفع يده -اليُمنى بالطبع- وأمسَكَ بذراعي وهو يقول: «أرجوك.. لا تتركني وحدي».

قُلت وأنا أحاول الابتعاد: «سأستغرِق ثانيةً واحدةً».

لكنه شدَّد قبضته، لا يزال قويًا بشكلٍ مُدهشٍ بالنظر إلى ما مرَّ به.

كرَّر قوله: «أرجوك.. على الأقل اتركَ لي سلاحك».

قُلت: «ليس لديَّ سلاح».

واتسعت عيناه بشدةٍ وهو يقول: «يا إلهي، ما الذي كُنت تُفكِّر فيه بحق الجحيم؟ يا للمسيح.. يجب أن نخرُج من هنا».

بدا قريبًا من الإصابة بالذُعر، وكأنه سيبدأ بالبُكاء مرةً أخرى في أي لحظة.

قُلت: «حسنًا، قِف على قدمي.. على قدمك».

آمل ألا يكون قد انتبَه لخطئي، لم أقصِد أن أبدو مُتبلِّد الشعور، لكن أمر تلك الأطراف المبتورة سيتطلَّب الكثير من إعادة التجهيز في مجال المُرادِفات، لكن تشوتسكي لم يقُل شيئًا، مدَّ ذراعه فحسب، ساعدته، اتكأ على الطاولة، قُلت: «فقط أعطني بضع ثوانٍ لتفقُّد الغُرف الأخرى».

نظر لي بعيونٍ مليئة بالدموع والرجاء، لكنه لم يقُل أي شيء، هرعت عبر المنزل الصغير.

في الغُرفة الرئيسية، حيث قبع تشوتسكي، لم يكُن هناك شيء يُمكِن رؤيته بخلاف مُعدَّات عمل الدكتور دانكو، كان لديه بعض أدوات القطع اللطيفة للغاية، وبعد التفكير مليًا في العواقِب الأخلاقية، أخذت معي واحدةً من الشفرات الجميلة، شفرة جميلة مُصمَّمة لقطع أصعب أنواع اللحم، كانت هناك عدة صفوف من المُخدرات؛ لم تعن لي أسماؤها الكثير، باستثناء بضع عبوات من الباربتيورات[1]، لم أجد أي أدلة على

---

(1) الباربتيورات: عبارة عن أدوية مُثبطة للجهاز العصبي بالكامِل، ويتراوح مفعولها بين خفيف المفعول إلى مُخدِرٍ كاملٍ.

الإطلاق، لا أغلِفة لدفاتِر أعواد ثقاب مُجعَّدة مكتوب عليها رقم هاتِف، لا قسائِم تنظيف جاف، لا شيء.

كان المطبخ نسخة طبق الأصل من مطبخ المنزل الأول، كانت هناك ثلاجة صغيرة مُهترئة، فرن كهربائي، وطاولة بها كُرسي قابِل للطي، وكان هذا هو كُل شيء، قبعت نصف علبة من الكعك المحلى على المنضدة، وانهمك صرصور كبير للغاية في قضم واحدة منهم، نظر لي كما لو كان على استعدادٍ للقتال من أجل الكعك المحلى، لذا تركتها له.

عُدت للغُرفة الرئيسية لأجِد تشوتسكي لا يزال مُتكئًا على الطاولة، قال: «أسرِع، دعنا نذهَب بحق المسيح».

قُلت: «غُرفة أخرى فحسب».

عبرت الغُرفة وفتحت الباب المُقابِل للمطبخ، وكانت غُرفة نوم كما توقَّعت، كان هناك سرير أطفال في أحد الأركان، وفوق السرير كانت هناك كومة ملابِس وهاتِف محمول، بدا القميص مألوفًا، ففكَّرت في مصدره المُحتمَل، أخرجَت هاتفي المحمول وطلبت رقم الرقيب دوكس، وبدأ الهاتِف الموجود أعلى كومة الملابس يرن.

ضغطت على زر إنهاء الاتصال وأنا أذهَب إلى تشوتسكي قائلًا: «حسنًا».

كان حيث تركته تمامًا، على الرغم من أنه بدا كأنه كان سيهرَب إذا ما كان بإمكانه القيام بذلك، قال: «هيا بحق المسيح، أسرِع، يا إلهي، بإمكاني أن أشعُر بأنفاسه على رقبتي».

نَظَر إلى الباب الخلفي، ثُم إلى المطبخ، وبينما وصلت للإمساك به، استدار رأسه وثبَّت عينيه على المرآة المُعلَّقة على الحائِط.

حدَّق في انعكاسه لبرهةٍ طويلةٍ، ثُم سقط وكأن كُل عظامه قد انتُزِعَت منه، قال وهو يبدأ بالبُكاء مرةً أخرى: «يا إلهي، يا الله».

قُلت: «هيا بنا، لنتحرَّك».

ارتجَف تشوتسكي وهزَّ رأسه وهو يقول: «لم أستطِع التحرُّك حتى، استلقيت هناك مُستمِعًا إلى ما كان يفعله في فرانك، بدا سعيدًا للغاية، كان يقول: ما هو تخمينك؟ لا، حسنًا.. إنه ذراع إذًا، ثُم صوت المنشار، و...».

قُلت: «تشوتسكي».

«وعندما أمسَك بي هنا، قال: سبعة، وما هو تخمينك؟ ثُم...».

بالطبع من المُثير للاهتمام دائمًا السماع عن أسلوب شخص آخر، لكن تشوتسكي بدا كأنه على وشك أن يفقِد ما تبقى له من السيطرة على نفسه، ولم يكُن بمقدوري السماح له بالبكاء على الجانب الآخر من قميصي، لذا اقتربت منه وأمسكت بذراعه السليمة وأنا أقول: «تشوتسكي، هيا بنا، دعنا نخرج من هنا».

نظر إليّ كما لو أنه لا يعرِف أين هو، عيناه مُتسعتان للغاية، ثُم عاد بناظريه إلى المرآة، وهو يقول: «يا إلهي».

قبل أن يأخُذ نفسًا خشنًا عميقًا وينتصِب كما لو كان يستجيب لبوقٍ خيالي وهو يقول: «ليس بهذا القدر من السوء، فأنا على قيد الحياة».

قُلت: «أجل، أنت كذلك، وإذا ما بدأنا بالتحرُّك.. فلربما نبقى على هذا النحو».

قال: «حسنًا، لنذهَب».

أدار رأسه بعيدًا عن المرآة بشكلٍ حاسمٍ ووضع ذراعه السليمة حول كتفي.

كان من الواضِح أن تشوتسكي لا يمتلك الكثير من الخبرة في مجال المشي بساقٍ واحدةٍ فقط، كان ينفُخ وهو يستجمِع قواه، مُتكئًا عليّ بشدةٍ بين كُل خطوة قافزة وأخرى، وحتى مع كُل الأجزاء المبتورة.. كان لا يزال رجلًا كبيرًا، وكان هذا عملًا شاقًا بالنسبة لي، توقَّف للحظةٍ قبل الجسر بقليلٍ، ونظر عبر السياج المعدني وهو يقول: «ألقى بساقي هناك، إلى التماسيح، تأكَّد من أنني قادِر على المُشاهدة، أمسكها عاليًا لأتمكَّن من رؤيتها، ثُم ألقى بها في الماء، الذي بدأ يغلي وكأنه..».

كان بإمكاني سماع نغمة هيستيريا مُتصاعِدة في صوته، لكنه سمعها بدوره، وتوقَّف، تنفَّس مُرتجفًا، وقال بقسوةٍ إلى حدٍ ما: «حسنًا، لنخرج من هنا».

وصلنا إلى البوابة دون القيام بمزيد من الرحلات الجانبية إلى جادة الذاكرة، اتكأ تشوتسكي على عمود السياج بينما فتحت البوابة، ساعدته على الجلوس في مقعد الراكِب، جلست خلف عجلة القيادة، وبدأت تشغيل السيارة، وعندما أضيئت المصابيح الأمامية، استرخى تشوتسكي على مقعده وأغلَق عينيه وهو يقول: «شكرًا يا صديقي، أنا مدين لك بشدةٍ، شكرًا لك».

قُلت: «العفو».

استدرت بالسيارة وتوجَّهت إلى طريق آليجيتور، اعتقدت أن تشوتسكي غارق في النوم، لكنه بدأ بالتحدُّث في مُنتصف الطريق التُرابي الصغير، قال: «أنا سعيد أن أختك لم تكُن هنا، لرؤيتي هكذا، إنه.. اسمع، عليّ أن أستجمِع شتات نفسي أولًا قبل أن..».

صمت فجأة، ولم يقُل أي شيء آخر لنصف دقيقة، تخبَّطنا عبر الطريق المُظلِم في صمت، كان الهدوء تغييرًا لطيفًا، تساءلت أين كان

دوكس وماذا كان يفعل، أو ربما.. ماذا كان يحدُث له، وفي هذا الصدد.. تساءلت أين كان ريكير ومتى يُمكنني أخذه إلى مكانٍ آخر، مكان هادئ، حيث يُمكنني التفكير والعمل بهدوء، تساءلت عن قيمة إيجار مزرعة تماسيح بلالوك جاتور.

قال تشوتسكي فجأة: «لربما كانت فكرةً جيدةً إذا لم أزعجها ثانيةً».

استغرقني الأمر بعض الوقت لأدرِك أنه لا يزال يتحدَّث عن ديبرا، استمرَّ قائلًا: «لن تُريد أن يكون لها أي علاقة بي وأنا في هذه الحال، ولست بحاجةٍ لشفقة أي شخص».

قُلت: «لا داعي للقلق، لا تشعر ديبرا بالشفقة أبدًا».

قال: «أخبرها أنني بخير، وأنني عُدت إلى واشنطن، إن الأمر أفضل بهذه الطريقة».

قُلت: «ربما كان أفضل بالنسبة لك، لكنها ستقتلني».

قال: «أنت لا تفهم».

«لا، بل أنت الذي لا تفهم، لقد أخبرتني أن أعيدك، لقد اتخذت قرارها ولا أجرؤ على عصيانها، إنها تضرب بقوةٍ».

ظلَّ صامتًا لوهلةٍ، قبل أن يتنهَّد بشدةٍ وهو يقول: «لا أعرِف إذا ما كان بإمكاني القيام بذلك».

قُلت بمرحٍ: «بإمكاني العودة بكَ إلى مزرعة التماسيح مرة أخرى».

لم يقُل أي شيء بعد ذلك، انطلقت عبر طريق آليجيتور، واستدرت مع أول تقاطُع، توجَّهت عائِدًا إلى الضوء البرتقالي الذي يتوهَّج في الأفق، والذي كان ميامي.

الفصل السادس والعشرون

سافرنا في صمتٍ على طول الطريق عائِدين إلى أول تجمُّع حقيقي للحضارة، مشروع تطوير سكني وصف من مراكِز التسوُّق على اليمين، بعد عدة أميال قليلة من كُشك تحصيل الرسوم، اعتدَل تشوتسكي وحدَّق في الأضواء والمباني قبل أن يقول: «أحتاج لاستخدام الهاتِف».

أجبته قائلًا: «بإمكانِك أن تستخدِم هاتفي، إذا كُنت ستدفَع رسوم التجوال».

قال: «أريد خطًا أرضيًّا، هاتفًا عموميًّا».

قُلت: «فات أوان ذلك، من الصعب قليلًا أن نجد هاتفًا عموميًّا، لم يعُد أحد يستعمله بعد الآن».

قال: «اسلك هذا المخرج هنا».

وعلى الرغم من أن هذا لم يُقرِّبني أكثر من نومي الهانئ الذي أستحِقه ليلًا، فإنني قُدت السيارة على المُنحدر، وبعد أقل من ميلٍ واحدٍ وجدنا متجرًا صغيرًا لا يزال به هاتف عمومي مُعلَّق على الحائط خلف الباب الأمامي، ساعدت تشوتسكي على القفز نحو الهاتف، استنَد على الدرع المُحيط به، رفع السمَّاعة، نظر نحوي وقال: «انتظرني هناك».

وهو الأمر الذي بدا مُتسلِّطًا بعض الشيء بالنسبة لشخصٍ لا يستطيع المشي دون مُساعدة، لكنني عُدت إلى سيارتي وجلست على غطاء المُحرِّك بينما انهمَك تشوتسكي في الحديث.

توقَّفت سيارة بويك قديمة في مكان وقوف السيارات المجاوِر لي، هبط منها مجموعة من الرجال قِصار القامة، وذوي البشرة السمراء، يرتدون ملابس قذرة وساروا نحو المتجر، حدَّقوا في تشوتسكي الواقِف على قدمٍ واحدةٍ ورأسٍ حليقٍ تمامًا، لكنهم كانوا مُهذَّبين للغاية لقول أي شيء، دخلوا إلى المتجر وأغلقوا الباب الزجاجي من خلفهم، وشعرت باليوم الطويل يحوم حولي؛ كُنت مُتعبًا، عضلات عنقي مُتيبِّسة، ولم أتمكَّن من قتل أي شيء، شعرت بنزقٍ شديدٍ، وأردت العودة إلى المنزل والخلود إلى النوم.

تساءلت إلى أين أخذ الدكتور دانكو دوكس، لم يبدُ الأمر مُهِمًا حقًا، مُجرَّد فضول لا طائِل منه، لكن عندما فكَّرت في حقيقة أنه قد اصطحبه بالفعل لمكانٍ ما وسيبدأ قريبًا في فعل أشياء دائِمة في الرقيب، أدركت أن هذا كان أول خبر سار لي منذ فترة طويلة، وشعرت بوهجٍ دافئٍ ينتشِر في جسدي، كُنت حرًّا، ذهب دوكس، غادَر حياتي كقطعة صغيرة واحدة في كُل مرة، حرَّرني من العبودية الإلزامية لأريكة ريتا، بإمكاني أن أعيش ثانيةً.

صاح تشوتسكي: «مرحبًا يا صديقي».

لوَّح لي بجذع يده اليُسرى، وقفت ومشيت نحوه، قال: «حسنًا، لنذهب».

قُلت: «بالطبع، إلى أين؟».

نظر بعيدًا ورأيت عضلات جانب فكه مشدودة، سقطت أضواء موقف سيارات المتجر الصغير على معطفه وانعكَست عن رأسه، من

المُذهِل كيف يبدو الوجه مُختلِفًا إذا ما حلقت الحاجبين، هناك شيء غريب في ذلك، مثل مكياج فيلم خيال علمي قليل التكلفة، وعلى الرغم من أن تشوتسكي كان يجب أن يبدو صارمًا وحاسمًا عندما ينظُر نحو الأفق ويشد عضلات فكه، فإنه بدا وكأنه ينتظِر أمرًا يُجمِّد الدماء في العروق من مينج عديم الرحمة[1]، قال بهدوء: «أعِدني إلى الفُندق، لديّ عمل لأقوم به».

سألته: «ماذا عن المُستشفى؟».

مُعتقِدًا أنه لا يظن أن بإمكانه قطع عصا من جذع شجرة قوية ليستنِد عليها ويستخدِمها في المشي، لكنه هزَّ رأسه قائِلًا: «أنا بخير، سأكون بخير».

أحكَمت النظر إلى قطعتي الشاش الأبيض في المكان الذي كان فيه ذراعه وساقه، ورفعت حاجبًا في دهشةٍ، ففي النهاية.. لا تزال الجروح حديثة بما يكفي لتضميدها، وعلى الأقل يجب أن يشعُر تشوتسكي بالضعف إلى حدٍ ما.

نظر للأسفل نحو جذعيه المبتورين، وبدا كأنه تراجَع قليلًا وأصبح أصغر حجمًا بعض الشيء، وهو يقول: «سأكون بخير».

انتصَب قليلًا وهو يُضيف: «لنذهَب».

بدا مُتعبًا وحزينًا لدرجة أنني لم أمتلِك الجرأة لأقول أي شيء سوى: «حسنًا».

قفز عائدًا إلى باب مقعد الراكِب في سيارتي، مُستندًا إلى كتفي، وبينما كُنت أساعده على الجلوس في المقعد، خَرَج رُكّاب السيارة البويك

(1) مينج عديم الرحمة: طاغية شرير ظهر في عدة أفلام أشهرها فلاش جوردن.

حاملين الجعة وشرائح لحم الخنزير، ابتسَم السائِق وأومأ إليّ، بادلته الابتسام وأنا أغلِق الباب، قُلت وأنا أومئ نحو تشوتسكي: «التماسيح».

أجابني السائق: «آسف».

جلس خلف عجلة قيادة سيارته، ودُرت حول سيارتي لأدخلها.

لم يكُن لدى تشوتسكي ما يقوله على الإطلاق مُعظَم الرحلة، فقط عندما وصلنا لتقاطُع الطريق السريع رقم (95)، بدأ في الارتجاف بشدة وهو يقول: «اللعنة».

نظرت إليه فقال: «المُسكِّنات، ينقشِع أثرها».

بدأت أسنانه تصطَك وهو يحاول إغلاق فمه، ارتَفَع صوت أنفاسه، واستطعت أن أرى العرق البارِد يتجمَّع على رأسه الأصلع.

سألته: «هل ترغَب في إعادة النظر في أمر الذهاب للمُستشفى؟».

سألني: «هل لديك شيء لأشربه؟».

فكَّرت أن هذا تغيير مُفاجئ إلى حدٍ ما للموضوع، قُلت في محاولةٍ للمُساعدة: «أعتقِد أن لديّ زجاجة مياه في المقعد الخلفي».

كرَّر قوله: «مشروب، بعض الفودكا أو الويسكي».

قُلت: «عادةً لا أحتفِظ بأي شيء من هذا القبيل في السيارة».

قال: «اللعنة، فقط خُذني إلى الفندق».

وهكذا فعلت، ولأسبابٍ لا يعلمها سوى تشوتسكي، كان يُقيم في فندق ميوتيني في كوكونوت جروف، الذي كان أحد أول الفنادق الشاهقة الفاخِرة في المنطقة، وعادةً ما يتردَّد عليه عارضات الأزياء، المُخرجون، تُجَّار المُخدرات، وغيرهم من المشاهير، كان لا يزال لطيفًا للغاية، لكنه فقد الكثير من طابعه بينما امتلأ حي جروف الذي كان ريفيًا

يومًا ما بالمباني الشاهِقة الفاخِرة، ربما عَرِفه تشوتسكي عندما كان في أوج شهرته، وأقام فيه الآن لأسبابٍ عاطفيةٍ، كان عليك أن تشُك بشدةٍ في عاطفة رجل ارتدى يومًا خاتمًا في خنصره.

نزلنا من الطريق رقم (95) إلى طريق ديكسي السريع، انعطفت يسارًا وصولًا إلى منطقة باي شور، كان الفندق في الأمام قليلًا على اليمين، وقفت أمام الفندق فقال تشوتسكي: «سأنزل هنا».

نظرت إليه، ربما أثَّرت المُسكِّنات على عقله، سألته: «ألا تُريدني أن أساعِدك في الوصول إلى غُرفتك؟».

قال: «سأكون بخير».

ربما كان هذا شعاره الجديد، لكنه لم يبدُ بخير، كان يتصبَّب عرقًا بشدةٍ الآن ولم أستطِع أن أتخيَّل كيف يظن أنه سيصل إلى غُرفته، لكنني لست من النوع الذي يتطفَّل بمُساعدةٍ غير مرغوب بها على الإطلاق، لذا قُلت ببساطةٍ: «حسنًا».

وشاهدته وهو يفتح الباب ويخرُج من السيارة، تمسَّك بسقفها وهو يقف بغير ثبات على قدمه الوحيدة لدقيقةٍ قبل أن يراه رئيس الخدم وهو يترنَّح هناك، حدَّق رئيس الخدم في هذا المعطف البرتقالي والرأس الحليق قبل أن يقول تشوتسكي: «مرحبًا يا بني، ساعدني يا صديقي».

قال بعدم ثقة: «سيد تشوتسكي؟».

قبل أن يفغر فاه وهو يُلاحِظ الأطراف المبتورة قائلًا: «يا إلهي».

صفَّق بيده ثلاث مرَّات فخرج أحد الخدم سريعًا، نظر تشوتسكي نحوي وهو يقول: «سأكون بخير».

عندما يكون غير مرغوب بك، لا تملك الكثير لتفعله في الواقِع باستثناء المُغادرة، وهو ما فعلته، آخر مرة رأيت فيها تشوتسكي كان يستنِد إلى رئيس الخدم والخادِم يدفع كرسيًا مُتحركًا نحوهما عبر باب الفندق الأمامي.

كُنا لا نزال في بداية مُنتصف الليل بينما قُدت سيارتي على الطريق السريع الرئيسي متوجِّهًا إلى المنزل، وهو الأمر الذي كان من الصعب تصديقه بالنظر إلى كُل ما حدث الليلة، بدت حفلة فينس كما لو كانت قبل عدة أسابيع، ومع ذلك.. فمن المُحتمَل أن نافورة الشراب الكحولي المُمتزِج بكوكتيل الفاكِهة لا تزال تعمَل حتى الآن، وبين تجربتي لمُتعريَّة وإنقاذي لتشوتسكي من مزرعة التماسيح، كُنت أستحِق أن أحظى بقليلٍ من الراحة الليلة، وأعترِف أنني لم أكُن أفكِّر في شيءٍ آخر سوى الزحف إلى فراشي وسحب الأغطية فوق رأسي.

لكن بالطبع.. ليس هناك راحة للأشرار، وأنا كذلك بالتأكيد، رنَّ هاتفي المحمول بينما كُنت أنعطِف يسارًا إلى شارِع دوجلاس، قلة قليلة من الناس هُم من يتصلون بي، خصوصًا في مثل هذا الوقت المُتأخِّر من الليل، نظرت إلى الهاتِف؛ كانت ديبرا، قُلت: «تحية طيبة يا أختي العزيزة».

قالت: «لقد قُلت أنك ستتصل أيها الأحمق!».

أجبتها قائلًا: «بدا الوقت مُتأخِّرًا بعض الشيء».

صاحت بي بصوتٍ عالٍ للدرجة التي سببت الألم للناس الموجودين في السيارات المجاوِرة: «هل تعتقِد حقًا أن بإمكاني النوم؟ ماذا حدث؟».

قُلت: «استعدت تشوتسكي، لكن الدكتور دانكو فرَّ هاربًا، ومعه دوكس».

مكتبة
t.me/soramnqraa

«أين هو؟».

«لا أعلم يا ديبس، لقد فرَّ هاربًا في زورق هوائي و...».

«كايل أيها الأحمق، أين كايل؟ هل هو بخير؟».

«وصلته إلى الفندق، وهو.. إنه على ما يُرام تقريبًا».

صرخت فيّ، مما اضطرني لوضع الهاتِف على أذني الأخرى: «ماذا يعني هذا بحق اللعنة؟!».

قُلت: «ديبرا، سيكون بخير، إنه فقط.. لقد خَسِر نصف ذراعه اليُسرى، ونصف قدمه اليُمنى، وشعره بالكامِل».

ظلَّت صامِتة لبضع ثوانٍ قبل أن تقول في النهاية: «أحضر لي بعض الملابِس».

«إنه يشعُر بالتردُّد يا ديبس، لا أعتقِد أنه يُريد...».

قالت قبل أن تُنهي المُكالمة: «ملابس يا ديكستر، الآن».

كما قُلت.. لا راحة للأشرار، تنهَّدت بشدةٍ تجاه الظُلم الذي أتعرَّض له من كُل شيء، لكنني أطَعت، عُدت للتو إلى شقتي، تركَت ديبرا بعض الأشياء هناك، لذا هرعت للداخل، وعلى الرغم من أنني توقَّفت لأنظر إلى فراشي بشوقٍ، فإنني جمعت لها بعض قطع الملابِس المُختلِفة، وتوجَّهت إلى المُستشفى.

كانت ديبرا تجلس على حافة فراشها تهز ساقها بنفاد صبر حينما دخلت إلى الغُرفة، تُمسِك بأطراف زي المُستشفى بيدها الخارجة من الجبيرة، وتُمسِك بمُسدّسها وشارتها باليد الأخرى، بدت مثل المُنتقِم الغاضِب[1] بعد وقوع حادِث.

(1) المُنتقِم الغاضِب: رواية من تأليف جون فاريس، صدرت عام 2008.

قالت: «يا للمسيح، أين كُنت بحق الجحيم؟ ساعدني في ارتداء ملابسي».

أسقطت رداء المُستشفى وهي تقف.

قُمت بوضع تيشيرت بولو فوق رأسها، عدَّلت من وضعه بصعوبةٍ حول جبيرتها، بالكاد تمكَّنت من وضع التيشيرت في مكانه عندما دلفت إلى الغُرفة امرأة سمينة ترتدي زي مُمرِضة، قالت بلكنة باهامية ثقيلة: «ماذا تعتقدين أنكِ فاعلة؟».

قالت ديبرا: «مُغادِرة».

أمرتها المُمرضة: «عودي إلى ذلك الفراش وإلا استدعيت الطبيب».

قالت ديبرا وهي تقفز على قدمٍ واحدةٍ في محاولةٍ لارتداء بنطالها: «استدعيه».

قالت المُمرِضة: «لا لن تُغادري، عودي إلى ذلك الفراش».

رفعت ديبرا شارتها وهي تقول: «هذه حالة طوارئ للشُرطة، إذا أعقتني.. فأنا مخوَّلة للقبض عليكِ بتُهمة إعاقة سير العدالة».

اعتقدت المُمرِضة أنها ستقول شيئًا شديد الخطورة، لذا فغرت فمها وهي تنظر للشارة، وتنظر إلى ديبرا، قبل أن تُغيِّر رأيها لتقول: «سأضطَر إلى إخبار الطبيب».

قالت ديبرا: «مهما يكُن، ديكستر.. ساعدني في إغلاق بنطالي».

راقبتها المُمرضة باستنكار لبضع ثوانٍ، قبل أن تستدير وترحَل بعيدًا إلى نهاية الممر، قُلت: «إعاقة سير العدالة؟ حقًا يا ديبس؟».

قالت وهي تنطلِق نحو الباب: «لنذهَب».

ومشيت خلفها بخنوعٍ.

كانت ديبرا متوتِّرة وغاضِبة طوال الطريق نحو الفندق، استمرَّت في مضغ شفتها السُفلى، قبل أن تصرُخ في وجهي للإسراع، وبعد ذلك عندما اقتربنا من الفُندق، هدأت للغاية، نظرت نحو نافذتها في النهاية وقالت: «كيف يبدو يا ديكس؟ ما مدى سوء الأمر؟».

«إنها قصَّة شعر سيئة للغاية يا ديبس، تجعله يبدو غريبًا للغاية، لكن بالنسبة لبقية الأشياء.. فيبدو أنه يتكيَّف مع الوضع، هو فقط لا يُريدكِ أن تشعُري بالشفقة نحوه».

نظرت لي وهي تمضغ شفتها السُفلى مرةً أخرى، فقُلت: «هذا ما قاله، أراد العودة إلى واشنطن مرةً أخرى بدلًا من تحمُّل شفقتكِ».

قالت: «لا يُريد أن يكون عبئًا، أنا أعرِفه، يُريد أن يستمِر بطريقته الخاصّة».

نظرت عبر النافذة مرةً أخرى وهي تقول: «لا أستطيع أن أتخيَّل الأمر حتى، أن يرقُد رجل مثل كايل هناك عاجزًا بهذه الطريقة مثل..».

هزَّت رأسها ببطءٍ، وسقطت دمعة وحيدة على وجنتها.

يُمكِنني أن أتخيَّل الأمر حقًا، ولقد فعلت ذلك عدة مرات بالفعل، لكن ما كُنت أواجِه صعوبةً فيه هو التعامُل مع هذا الجانب الجديد من ديبرا، كانت قد بكت في جنازة والدتها، وفي جنازة والدها، لكنها على حد علمي لم تبكِ منذ ذلك الحين، والآن ها هي تغمر السيارة بما كُنت أعتبره افتتانًا بشخصٍ ما الذي تحوَّل إلى بعض الشغف، وهو ما يجب أن يعني أن الشخص الذي يميل إلى المنطِق سوف يمضي قدمًا ليجد شخصًا آخر كُل أطرافه سليمة وموصولة بجسده، لكن ديبرا التي بدت مُهتمَّة أكثر بتشوتسكي الآن بعد تعرُّضه لأضرارٍ دائمةٍ، فهل يُمكِن أن يكون هذا حُبًّا بعد كُل شيء؟ هل ديبرا غارقة في الحُب؟ لم يبد هذا مُمكِنًا،

كُنت أعلم أنها بالطبع قادرة على ذلك بشكلٍ نظري، لكن.. أنا أعني.. فهي شقيقتي في النهاية.

كان من غير المُجدي أن نتساءل، فأنا لم أكُن أعرِف أي شيء عن الحُب على الإطلاق، ولن أفعل ذلك أبدًا، لكن هذا لم يبد مثل نقص فظيع أعاني منه، على الرغم من أنه يجعل فَهم الموسيقى الرائِجة صعبًا.

وبما أنه لم يكُن هناك أي شيء آخر يُمكِن أن يُقال عن الأمر، غيَّرت الموضوع، قُلت: «هل يجب أن أتصل بالنقيب ماثيوس وإخباره أن دوكس اختفى؟».

مسحت ديبرا دمعة عن وجنتها بطرف أصبعها وهي تهز رأسها قائلةً: «على كايل أن يُقرِّر ذلك».

«أجل، بالطبع، لكن يا ديبرا.. في ظل تلك الظروف..».

ضربت ساقها بقبضتها، وهو ما بدا مؤلِمًا بقدر ما كان عديم الجدوى وهي تقول: «اللعنة يا ديكستر، لن أفقده!».

أشعر بين الحين والآخر أنني لا أتلقى سوى أغنية واحدة من استوديو التسجيل، وكانت هذه إحدى تلك المرات، لم يكُن لديّ أي فكرة عن.. حسنًا، لأكون صادقًا، لم يكُن لديّ فكرة عما يجب أن يكون لديّ فكرة عنه، ماذا تقصد؟ ما علاقة ذلك بما قُلته، ولماذا ردَّت بهذا العُنف؟ وكيف يُمكِن أن تعتقِد الكثير من النساء البدينات أنهن يبدون جيدات في القُمصان القصيرة التي تُظهِر البطن؟

أعتقِد أن الكثير من علامات الارتباك ظهرت على وجهي، لأن ديبرا أرخَت قبضتها وأخذت نفسًا عميقًا وهي تقول: «سيحتاج كايل للاستمرار في التركيز، ومواصلة العمل، يجب أن يكون مسؤولًا، أو سيقضي عليه ذلك».

«كيف يُمكنكِ أن تعرفي ذلك؟».

هزَّت رأسها وهي تقول: «لطالما كان الأفضل فيما يفعله، هذا هو كُل ما لديه، هذه هي شخصيته، إذا ما تسنى له التفكير فيما فعله به دانكو..».

عضَّت شفتها السُفلى ودمعة أخرى تسقط على وجنتها وهي تُضيف: «عليه أن يبقى كما هو يا ديكستر، وإلا سأفقده».

قُلت: «حسنًا».

قالت مرةً أخرى: «لا أريد أن أفقده يا ديكستر».

كان هناك خادم آخر يعمل الآن في الفُندق، لكن بدا عليه أنه تعرَّف على ديبرا، أومأ لها ببساطة وهو يفتح الباب لنا، مشينا بصمتٍ إلى المصعَد وصعدنا إلى الطابق الثاني عشر.

عشت في كوكونوت طوال حياتي، لذا كُنت أعرِف جيدًا من روايات الصُحف المتواتِرة أن غُرفة تشوتسكي قد تمّ بناؤها على طراز المُستعمرات البريطانية، لم أفهَم السبب أبدًا، لكن الفندق قرَّر أن طراز المُستعمرات البريطانية هو الطراز الأمثل لنقل أجواء كوكونوت جروف، على الرغم من أنه لم تكُن هناك أي مُستعمرات بريطانية هنا أبدًا على حد علمي، ورغم ذلك تمَّ بناء الفندق بأكمله على طراز المُستعمرات البريطانية، لكنني أجِد صعوبةً في تصديق أنه لا مُصمِّم الديكور الداخلي للفُندق ولا أي مُستعمرة بريطانية قد تصوَّروا شيئًا مثل نوم تشوتسكي على الفراش الضخم في جناح السقيفة الذي قادتني إليه ديبرا.

لم يكُن شعره قد نما خلال الساعة الماضية، لكنه على الأقل كان قد بدَّل المعطف البرتقالي إلى رداء من القماش الأبيض، ورقد هناك في مُنتصف الفراش وهو حليق الرأس، يرتعِد، ويتصبَّب عرقًا وبجواره نصف زجاجة فودكا سكاي، لم تُبطئ ديبرا وهي تعبُر الباب، هرعت نحو الفراش وجلست بجواره، أمسكت يده السليمة بيدها السليمة، حُب بين الأنقاض.

قال بصوت رجل عجوز مُرتعِد: «ديبي؟».

قالت: «أنا هنا الآن، اخلد للنوم».

قال: «أعتقِد أنني لست جيدًا كما كُنت أعتقِد».

قالت وهي تُمسِك يده وتستقِر بجانبه: «اخلد للنوم».

وتركتهما على هذا النحو.

الفصل السابع والعشرون

نمت حتى وقت مُتأخِّر من اليوم التالي، ألم أستحِق ذلك بعد كُل شيء؟ وعلى الرغم من وصولي للعمل في حوالي الساعة العاشِرة صباحًا، فإنني كُنت قد وصلت إلى هناك قبل فينس، كاميلا، وأنجيل «لست قريبه» اللذين على ما يبدو سقطا فريسةً لمرضٍ مُميت، بعد ساعة وخمسة وأربعين دقيقة جاء فينس أخيرًا، بدا مريضًا وعجوزًا للغاية، قُلت ببهجةٍ كبيرةٍ: «فينس! أريد أن أشكرك على الحفلة الملحميّة».

أجفَل وهو ينحني على الحائِط بعينين مُغلَقتين، تذمَّر قائِلًا: «اشكرني بهدوء».

همست: «شكرًا لك».

أجابني هامسًا وهو يترنَّح بهدوء مُبتعدًا نحو مكتبه: «على الرحب والسعة».

كان يومًا هادئًا بشكلٍ غير مُعتادٍ، وأعني بذلك أنه إلى جانب عدم وجود قضايا جديدة، كان قسم الطب الشرعي صامتًا كقبر، مع شبح مريض يطوف بين الحين والآخر ويُعاني بصمتٍ، ولحُسن الحظ.. كان هناك القليل جدًّا من العمل للقيام به، وبحلول الساعة الخامسة.. كُنت قد انتهيت من أعمالي الورقية ورتَّبت كُل أقلامي الرصاص، اتصَلت ريتا بي في استراحة الغداء لتطلُب مني الذهاب لتناوُل العشاء، أعتقِد أنها أرادت التأكُّد من أنني لم أُختطَف من قِبَل مُتعريّة، لذا وافَقت على

الذهاب بعد العمل، لم أسمع من ديبس، لكنني لم أكُن بحاجةٍ لذلك حقًا، كُنت مُتأكِّدًا تمامًا من أنها مع تشوتسكي في الجناح الخاص به، لكنني كُنت قَلِقًا بعض الشيء، بما أن دكتور دانكو يعرِف أين يجدهما وقد يأتي بحثًا عن مشروعه المفقود، على صعيدٍ آخر.. لديه الرقيب دوكس ليلعَب معه، وهو الأمر الذي يجب أن يُبقيه مشغولًا وسعيدًا لعدة أيام.

ورغم ذلك.. فقط كي أكون في أمانٍ، اتصلت برقم هاتِف ديبرا المحمول.

أجابتني بعد الرنَّة الرابِعة، قالَت: «ماذا؟».

قُلت: «أنتِ تتذكرين أن الدكتور دانكو لم يكُن لديه مُشكلة في الدخول إلى هناك في المرة الأولى».

قالت: «لم أكُن هنا في المرةِ الأولى».

وبَدَت شرِسة للغاية لدرجة أنني آملت ألا تُطلِق النار على شخصٍ ما من خدمة الغُرف، قُلت: «حسنًا، أبقي عينيكِ مفتوحتين فحسب».

قالت: «لا تقلَق».

وسَمِعت تشوتسكي يتمتِم بشيءٍ متوتِّرٍ ما في الخلفيّة، فقالت ديبرا: «يجب أن أذهَب، سأتصِل بك لاحقًا».

وأنهت المُكالمَة.

كانَت ساعة الذروة على أوجها بينما كُنت أتوجَّه جنوبًا نحو منزل ريتا، ووجدت نفسي أدندن بسعادةٍ عندما قَطَع رجل بوجهٍ أحمر طريقي بشاحنةٍ صغيرةٍ وهو يشير لي بأصبعه بإشارةٍ مُشينةٍ، لم يكُن السبب هو الشعور الطبيعي بالانتماء الذي شعرت به عندما حاصرني زحام ميامي المروري القاتِل، لكنني شعرت وكأن عبئًا ثقيلًا قد أزيح عن كتفيّ، وبالطبع كان الأمر كذلك، بإمكاني الذهاب إلى ريتا دون أن أجد سيارة تورس كستنائية اللون تقِف عبر الشارِع، بإمكاني العودة إلى شقتي،

مُتحرِّرًا من ظلي المُتشبِّث، والأهم من ذلك.. بإمكاني اصطحاب الراكِب المُظلِم في جولةٍ بالخارج، وسنكون بمُفردنا لبعض الوقت الذي كُنا في أمس الحاجة له، لقد رحل الرقيب دوكس، من حياتي، وسُرعان ما سيخرُج من حياته أيضًا.

شعرت بالطيشِ التام وأنا أتوجَّه جنوبًا على طريق ديكسي نحو منزل ريتا، كُنت حرًا، وخاليًا من الالتزامات كذلك، نظرًا لأنه كان على المرء أن يعتقِد أن تشوتسكي وديبرا سيبقيان في وضع التعافي لفترةٍ من الوقت، وبالنسبةِ للدكتور دانكو.. فمن الصحيح أنني شعرت بوخزٍ مُعيَّن من الاهتمام بمُقابلته، وحتى الآن.. بإمكاني أن آخُذ بضع دقائق من جدولِي المُزدحِم لقضاء وقت مُمتِع للترابُط مع شخص مثله، لكنني كُنت مُتأكِّدًا تمامًا أن وكالة تشوتسكي السريّة في واشنطن سترسِل شخصًا آخر للتعامُل معه، وبالتأكيد لن يريدوا مني التجوُّل وتقديم المشورة، فمع استبعاد ذلك، وخروج دوكس من الصورة، عُدت للخطّة (أ) وكُنت حُرًا لمُساعدة ريكير في التقاعُد المُبكِّر، وأيًا من كان سيضطَر الآن للتعامُل مع مُشكلة الدكتور دانكو، فلن يكون من دواعي سروره التفرُّغ لديكستر.

كُنت سعيدًا للغاية لدرجة أنني قبَّلت ريتا عندما فتحت الباب، على الرغم من عدم وجود أحد يُراقِب، وبعد العشاء، وبينما كانت ريتا تُنظِّف، خرجت للباحة الخلفيّة مرةً أخرى، لألعَب الغُميضة مع أطفال الحي، وعلى الرغم من ذلك.. فهذه المرة كانت هناك مزيّة خاصّة لها مع كودي واستور، أضاف سرنا الصغير لمسة أكثر حماسةً، كان من المُمتِع للغاية مُراقبتهما وهما يُطاردان الأطفال الآخرين، المُفترسان الصغيران الخاصّان بي تحت التدريب.

لكن بعد نصف ساعة من المُطاردة والانقضاض، أصبَح من الواضِح أننا كُنّا أقل عددًا من المُفترسين السريين -البعوض- عدّة مليارات من مصاصي الدماء الصِغار المُقزّزين، الجائِعين بشراهةٍ، وهكذا.. بعد شعورهما بالضعف من فقدان الدماء، عُدت أنا وكودي واستور مُترنِّحين إلى المنزِل واجتمعنا مُجدَّدًا حول طاولة الطعام في جولة من لعبة الرجل المشنوق.

قالت استور مُعلِّنةً: «سأبدأ أولًا، إنه دوري على أي حال».

قال كودي عابِسًا: «إنه دوري».

أجابته: «لا، لديّ كلمة على أي حال، من خمسة حروف».

قال كودي: «حرف السين؟».

صاحت بانتصارٍ وهي ترسم رأسًا مُستديرًا صغيرًا: «لا! الرأس!».

قُلت لكودي: «يجب أن تسأل عن حروف العلَّة أولًا».

قال بصوتٍ خافتٍ: «ماذا؟».

قالت له استور: «حروف الألف والياء وكذلك حرف الواو، يعرِف الجميع بهذا».

سألتها: «هل هناك حرف ياء؟».

تنهَّدت بقوةٍ وهي تقول بعبوسٍ: «أجل».

قبل أن تكتب حرف الياء على السطر الفارِغ الموجود في المُنتصف.

قال كودي: «عجبًا!».

لعبنا لحوالي ساعة قبل موعِد نومهم، اقتربت أمسيتي السحريّة للغاية من نهايتها، وعدت مرةً أخرى على الأريكة بصُحبة ريتا، لكن هذه المرة.. بعد أن تحرَّرت من الأعيُن المُتلصِّصة، كان من السهل بالنسبةِ لي أن أنتزِع نفسي من مخالِبها لأذهَب إلى المنزل، وإلى فراشي الصغير،

باعتذارٍ حَسِن النيّة عن مُشاركتي بقوةٍ في حفل فينس، ويوم عمل كبير بالغد، وبعد ذلك.. كُنت بالخارج، وحيدًا في الليل، فقط أنا وظلي وصداي، لا تزال هناك ليلتان على اكتمال القمر، وأود أن أجعل هذا يستحِق انتظاري، لم أكُن لأقضي ليلة اكتمال القمر تلك مع بيرة ميلر لايت، لكن مع ريكير للتصوير الفوتوغرافي، في غضون ليلتين سأُحرِّر قيود الراكِب أخيرًا، سأنزلِق إلى ذاتي الحقيقية، وسأُلقي برداء ديكستر المُتفاني بإخلاص المُلطَّخ بالعرق في كومة القمامة، بالطبع كُنت بحاجةٍ للعثور على دليلٍ أولًا، لكنني كُنت واثِقًا أنني سأفعل ذلك بطريقةٍ ما، فبعد كُل شيء.. كان لديّ يوم كامل للقيام بذلك، وعندما نعمل أنا والراكِب المُظلِم معًا، يبدو كُل شيء وكأنه في مكانه الصحيح.

وبمثل هذه الأفكار المُبهِجة عن المسرّات المُظلِمة، عُدت بالسيارة إلى شقتي المُريحة، خلدت إلى فراشي بحثًا عن نوم عميق خالٍ من الأحلام تمامًا.

استمرَّ مزاج البهجة العدوانيّة في الصباح التالي، وعندما توقّفت لشراء كعك محلى في طريقي للعمل، استسلمت للاندفاع وابتعت دزينةً كاملة، بها العديد من الكعك المحشو بالكريمة والمُغطى بالشوكولاتة، كانت لفتةً باهظةً وهو الأمر الذي لم يفُت على فينس، الذي كان قد تعافى أخيرًا، فقال بحاجبين مرفوعين: «يا إلهي، أحسنت صنعًا أيها الصيَّاد العظيم».

قُلت: «لقد ابتسمَت لنا آلهة الغابة، محشو بالكريمة أم بمربى التوت؟».

قال: «محشو بالكريمة طبعًا».

مرَّ اليوم سريعًا، برحلةٍ واحدةٍ إلى مسرح جريمة قتل، تقطيع روتيني باستخدام أدوات حديقة، كان عملًا للهواة بشكلٍ واضح تمامًا، حاول

الأحمق استخدام مقص كهربائي يُستخدَم لتقطيع السياج، ولم ينجَح في القيام بشيء سوى بإضافة الكثير من العمل الإضافي بالنسبة لي، قبل أن يقطع زوجته في النهاية بمقص التقليم، تسبَّب في فوضى سيئة حقًا، وقد قدموا له خدمةً أن قبضوا عليه في المطار، التقطيع الجيد أمر أنيق، أو هكذا أقول دومًا قبل كُل شيء، فلا تعني برك الدماء وأجزاء اللحم المُتراكِمة على الجدران أي شيء على الإطلاق، سوى نقص حقيقي في المستوى، انتهيت من مسرح الجريمة في الوقت المُناسِب للعودة إلى جحري الصغير خارج معمل الطب الشرعي لأترك ملحوظاتي على مكتبي، سأطبعها وأستكمل التقرير يوم الاثنين، لست في عجلةٍ من أمري، فلن يذهَب القاتِل أو الضحية إلى أي مكان.

وهكذا خرجت، عبر باب ساحة وقوف السيارات ونحو سيارتي، حُر في التجوُّل في الأرض كما يحلو لي، لا يتبعني أحد، أو يسقيني البيرة، أو يجبرني على القيام بأشياءٍ أُفضِّل تجنُّبها، لا أحد يُسلِّط الضوء غير المرغوب فيه على ظلال ديكستر، بإمكاني أن أكون نفسي مرةً أخرى، ديكستر غير المُقيَّد، كانت تلك الفكرة أكثر إشباعًا من كُل بيرة ريتا وتعاطُفها، مرَّ وقت طويل منذ أن شعرت بهذه الطريقة، ووعدت نفسي أنني لن أعتبِر هذا الأمر مفروغًا منه مرةً أخرى.

كانت هناك سيارة تحترِق عند ناصية دوجلاس وجراند، وتجمَّع حشد صغير لكنه كان مُتحمِّسًا للمُشاهدة، شاركتهم فرحتهم الحارَّة عندما عبرت الزحام المروري الذي سبَّبته سيارات الطوارئ متوجِّهًا نحو المنزل.

طلبت البيتزا عندما كُنت في المنزل، وقُمت بتدوين بعض المُلاحظات الدقيقة عن ريكير؛ أين سأبحث عن دليل، أي نوع من الأشياء سيكون كافيًا.. زوج من أحذية رعاة البقر سيكون بالتأكيد بدايةً جيدةً، كُنت على

يقينٍ تام أنه الشخص المطلوب؛ يميل المُتحرِّشون جنسيًا بالأطفال إلى إيجاد طرق للجمع بين العمل والمُتعَة، وكان تصوير الأطفال مثالًا مُمتازًا على ذلك، لكن كلمة يقين تام لم تكُن مؤكَّدة بما فيه الكفاية، ولذلك.. نظَّمت أفكاري في ملفٍ صغيرٍ أنيقٍ، لا شيء يُدينني بالطبع، وسأكون حريصًا للغاية على تدميره قبل بدء العرض، وبحلول يوم الاثنين.. لن يكون هناك أي تلميح على الإطلاق لما قُمت به باستثناء شريحة زجاجية جديدة ستُضاف إلى الصندوق الموجود على الرف الخاص بي، أمضيت ساعةً سعيدةً في التخطيط وأكل بيتزا كبيرة بالأنشوجة، وبعد ذلك.. عندما بدأ القمر المُكتمِل في الدندنة عبر النافذة، شعرت بالاضطراب، شعرت بالأصابع الثلجية لضوء القمر تُداعبني، تُدغدِغ عمودي الفقري، يحثني على تمطيط عضلات المُفترِس التي سكنت لوقتٍ طويلٍ للغاية في الليل.

ولمَ لا؟ لن يضر الانزلاق عبر الليلة الضاحِكة لاختلاس نظرة أو اثنتين، للتلصُّص، للمُراقبة سرًا، للعبة السير على خطوات ريكير وتنشُّق الرياح، سيكون هذا حكيمًا ومرحًا على حدٍ سواء، يجب تحضير ديكستر الكشّاف المُظلِم، بالإضافة لكونها ليلة الجُمعة، فقد يُغادِر ريكير المنزل للقيام ببضع النشاطات الاجتماعية، كزيارة إلى متجر الألعاب على سبيل المثال، وإذا ما كان بالخارج، فبإمكاني التسلُّل إلى منزله والبحث في الأرجاء.

لذا ارتديت أفضل ملابسي الداكِنة الخاصة بالتسلُّل الليلي، وقُدت سيارتي لمسافةٍ صغيرةٍ من شقتي، عبر الطريق الرئيسي السريع وعبر منطقة جروف إلى جادة تايجرتيل، وصولًا إلى المنزل المتواضِع الذي يعيش به ريكير، الذي كان يقع في حي من المنازِل الصغيرة المصنوعة من الخرسانة، لم يبدُ منزله مُختلِفًا عن بقية المنازِل الأخرى، ابتعَد عن الطريق الرئيسي

قليلًا بما يكفي لصُنع ممر قصير، كانت سيارته متوقِّفة هناك، سيارة كيا حمراء صغيرة، وهو الأمر الذي أعطاني دفقة من الأمل، حمراء.. مثل الحذاء؛ كان لونه المُفضَّل، علامة على أنني كُنت على الطريق الصحيح.

دُرت حول المنزل مرَّتين، كان الضوء الداخلي لسيارته مُضاءً في دورتي الثانية، وكُنت موجودًا في الوقت المُناسِب لألقي بنظرةٍ على وجهه وهو يركَب سيارته، لم يكُن وجهًا مُثيرًا للإعجاب: كان نحيفًا، بلا ذقن تقريبًا، مخفيًا جزئيًا بفعل خصلات شعره الطويل ونظارة ذات إطار ضخم، لم أتمكَّن من رؤية ما كان يرتديه في قدميه، لكن من خلال ما استطعت رؤيته منه لربما كان يرتدي حذاء رعاة بقر ليجعل نفسه يبدو أطول قليلًا، صَعَد إلى السيارة وأغلَق الباب، قبل أن أستكمِل دورتي حول المنزل.

وعندما عُدت مرةً أخرى، كانت سيارته قد اختفَت، أوقفت سيارتي على بُعد عدة مبانٍ في شارعٍ جانبي صغير وعُدت سيرًا على الأقدام، انزلقت ببطءٍ في قشرتي الليلية بينما كُنت أسير، كانت أضواء منزل الجيران مُغلقة تمامًا وأنا أخترِق الفناء، كان هناك بيت ضيافة صغير خلف منزل ريكير، همَسَ الراكِب المُظلِم في أذني الداخلية: ستوديو، كان مكانًا مثاليًا للغاية لإقامة مصوِّر، وكان الاستوديو هو المكان المُناسِب تمامًا للعثور على صور فوتوغرافيَّة مُجرَّمة، ولأن الراكِب المُظلِم نادرًا ما يُخطئ بشأن تلك الأشياء، فَتَحت القفل ودخلت.

كانت النوافِذ كُلها مُغطَّاة بألواحٍ خشبيةٍ من الداخل، لكن كان بإمكاني رؤية الخطوط العريضة لمُعدَّات غُرفة التحميض رغم العتمة التي بدَّدها الباب الأمامي، كان الراكِب مُحقًا، أغلقت الباب وضغطت زر الإضاءة، غَمَر الغُرفة بأكملها ضوء أحمر داكِن، يكفي لرؤية القليل فحسب، كانت هناك صوانٍ وزجاجات مواد كيميائية مُعتادة فوق

حوض صغير، وعلى يسار ذلك يوجَد جهاز حاسِب آلي لطيف للغاية مزوَّد بمُعدَّات رقميَّة، ووقَفَت خزانة بأربعة أدراج مُقابِل الحائِط البعيد، قرَّرت أن أبدأ من هناك.

بعد عشر دقائق من البحث في الصور والأفلام، لم أجِد أي شيء أكثر إدانةً من بضع عشرات من الصور لأطفالٍ رضع عُراة على بساط من الفرو الأبيض، صور يُمكِن اعتبارها (لطيفة) بشكلٍ عام حتى من قِبَل الأشخاص الذين يعتقدون أن بات روبرتسون ليبرالي للغاية، لم يكُن هناك أي أدراج خفيّة في الخزانة على حد علمي، ولا يوجَد أي مكان آخر واضِح يصلح لإخفاء الصور.

كان الوقت قصيرًا؛ لم أستطِع أن أغتنِم فُرصة أن ريكير قد ذهب إلى المتجَر ببساطةٍ لشراء ربع جالون من الحليب، وقد يعود في أي لحظة ويُقرِّر أن يدخُل ليبحَث عن شيء بين ملفَّاته أو أن ينظُر باعتزازٍ في العشرات من صوره العزيزة التي التقطها على أحد الأفلام، تحرَّكت إلى منطقة الحاسب الآلي.

كان هناك حامِل أقراص مضغوطة طويل بجوار الشاشة، قُمت بالمرور عبر الأقراص واحدًا تلو الآخر، بعد حفنة من أقراص البرامِج وغيرها من الأقراص التي كُتِب عليها جرينفيلد أو لوبيز بخط اليد، وجدتها.

كانت علبة مجوهرات وردية زاهية، كُتِبَ على الجهة الأماميّة من العلبة بحروفٍ أنيقةٍ للغاية كلمة (نامبلا 9/ 04).

قد يكون نامبلا اسمًا إسبانيًا نادِرًا، لكنه يعني أيضًا جمعية حُب الرجل/ الفتى في أمريكا الشماليّة، مجموعة دعم شهوانيّة غامِضة تُساعِد المُتحرّشين بالأطفال على الحفاظ على صورةٍ ذاتيةٍ إيجابيةٍ من خلال طمأنتهم أن ما يفعلونه طبيعي تمامًا، حسنًا.. بالطبع هو كذلك، مثل

أكل لحوم البشر والاغتصاب، لكن في الحقيقة.. لا يجب على المرء أن يفعل ذلك حقًا.

أخذت القُرص المضغوط معي، أغلَقت الضوء، وانزلقت عائِدًا في الليل.

استغرقني الأمر بضع دقائق بعدما عُدت إلى شقتي لأكتشِف أن القُرص لم يكُن سوى أداة للمبيعات، ومن المُفترض أنه تمَّ نقله إلى تجمُّع من نوعٍ ما لنامبلا، وتمَّ عرضه على مجموعة مُختارة من البشعين المُتميّزين، تمَّ ترتيب الصور الموجودة عليه فيما يُسمى (معارِض الصور المُصغَّرة) وهي سلسلة مُصغَّرة من اللقطات التي تبدو تقريبًا مثل صور اللوحات التي اعتاد كِبار السن القذرون من العصر الفيكتوري على النظر إليها، حيث يتم تعتيم كُل صورة بشكلٍ استراتيجي بحيث يُمكِن تخيُّل التفاصيل دون أن يُمكِن رؤيتها بشكلٍ واضح.

وأجل.. تمَّ قص العديد من الصور وتحريرها بشكلٍ احترافي من تلك الصور التي اكتشفتها على متن قارِب ماكجريجور، لذلك.. وبينما لم أجد حذاء رعاة البقر الأحمر حقًا، إلا أنني وجدت ما يكفي لإرضاء قانون هاري، كان ريكير ضمن قائِمة الأكثر امتيازًا في الجمعية، وبأغنيةٍ في قلبي وابتسامةٍ على شفتي، دلفت إلى الفراش، مُفكِّرًا في أفكارٍ سعيدةٍ فيما سأفعله أنا وريكير ليلة غد.

في صباح اليوم التالي، السبت، استيقظت مُتأخِّرًا بعض الشيء وذهبت لأجري في الحي الذي أسكُنه، بعد الاستحمام وتناوُل فطور شهي، ذهبت للتسوُّق لشراء بعض الضروريات، لفافة جديدة من الشريط اللاصِق، وسكين تقطيع لحم بنصلٍ حادٍ، الضروريات الأساسيّة فحسب، قبل أن أتوقَّف في مطعم ستيك هاوس لتناوُل وجبة الغداء، لأن الراكِب المُظلِم كان يتمدَّد ويخرُج إلى اليقظة، تناولت شريحة

لحم على طريقة نيويورك ستريب بوزن 16 أونصة، كانت مطهيَّة جيدًا بطبيعة الحال، لذا لم يكُن بها أي دماء على الإطلاق، ثُم قُدت سيارتي بجوار منزل ريكير مرة أخرى لرؤية المكان مرةً أخرى في وضح النهار، كان ريكير يقص العشب بنفسه، تباطأت لإلقاء نظرة عابرة؛ وللأسف.. كان يرتدي حذاء رياضيًّا قديمًا، وليس حذاء أحمر، كان عاري الصدر ويبدو هزيلًا، بدا واهنًا شاحبًا، لا يهم: سأضيف قليلًا من اللون إليه في القريب العاجِل.

كان يومًا مُرضيًا ومُثمِرًا للغاية، كُنت جالسًا بهدوءٍ في شقتي مُحاطًا بأفكاري الفاضِلة عندما رنَّ جرس هاتفي.

أجبت الهاتف قائِلًا: «مساء الخير».

قالت ديبرا: «هل يُمكِنك أن تأتي إلى هنا؟ لدينا عمل لنُنهيه».

«أي عمل؟».

قالت: «لا تكُن أحمَق، وتعالَ إلى هنا».

قبل أن تُغلِق الخط، كان هذا أمرًا مُزعِجًا للغاية، ففي المقام الأول.. لا أعرِف ما هو نوع العمل غير المُنتهي، وثانيًا.. لم أكُن أعلَم أنني أحمق، وحش؟ أجل.. بالطبع، لكن بشكلٍ عام أنا وحش لطيف ومُهذَّب للغاية، وفوق كُل ذلك.. الطريقة التي أنهَت بها المُكالمة بهذه البساطة، على افتراض أنني سَمِعت وعلى الأرجَح سأرتجِف وأُطيع، يا لوقاحتها، سواء كانت شقيقتي أم لا، تلكم ذراعي بقوةٍ أو لا، أنا لا أخشى أحدًا.

ورغم ذلك.. أطَعت الأمر، استغرَقت الرحلة القصيرة إلى الفُندق وقتًا أطوَل من المُعتاد، وذلك لأننا بعد ظُهر يوم السبت، الوقت الذي تمتلئ فيه شوارِع منطقة جروف ببشر يسيرون بلا هدف، تحرَّكت ببطءٍ بين الحشود، تمنيت ولو لمرةٍ واحدةٍ كان باستطاعتي أن أدعَس دواسة

البنزين إلى الأسفل وأن أصطدِم بالحشد المتجوِّل، لقد أفسدت ديبرا مزاجي المثالي.

ولم تجعَل الأمر أفضل عندما طرقت على باب جناح السقيفة في الفندق، وفتحت الباب وعلى وجهها تعبير (العمل-وقت-الأزمة)، التعبير الذي يجعَلها تبدو كسمكة سيئة المزاج، قالت: «ادخُل إلى هنا».

قُلت: «حسنًا يا سيدي».

كان تشوتسكي جالسًا على الأريكة، لا يزال لا يبدو كمُستعمر بريطاني -على الأرجح بسبب عدم وجود حاجبيه- لكنه بدا كأنه قرَّر أن يحيا على الأقل، لذا كان من الواضح أن مشروع إعادة التأهيل الخاص بديبرا يسير على ما يُرام، كان هناك عكاز معدني يستنِد إلى الحائِط بجواره، وكان يشرب القهوة، وفي نهاية المنضدة الموجودة بجواره قَبع طبق من الدنش، صاح وهو يلوِّح بجذع ذراعه: «مرحبًا يا صديقي، أحضر مقعدًا».

جذبت مقعدًا على طراز المُستعمرات البريطانية وجلست، نظر لي تشوتسكي وكأنه على وشك الاعتراض وأنا أتناول قطعتين من الدنش، لكن في الحقيقة.. كان هذا أقل ما يستطيعان فعله من أجلي، ففي النهاية.. كُنت قد شققت طريقي بين التماسيح المُفترسة وطاووس شرس لإنقاذه، وها أنا الآن أتخلى عن يوم السبت الخاص بي من أجل نوع من الأعمال الروتينية الرهيبة التي لا يعلم كُنهها سوى الله، كُنت أستحِق كعكةً كاملةً.

قال تشوتسكي: «حسنًا، علينا أن نكتشِف أين يختبئ هينيكر، وعلينا أن نفعل ذلك بسُرعة».

سألته: «من؟ هل تقصد دكتور دانكو؟».

قال: «أجل، هذا هو اسمه، هينيكر، مارتين هينيكر».

سألته وأنا أشعر بالتشاؤم يملأني: «وعلينا أن نجده؟».

لماذا ينظرون إليّ ويقولون (علينا)؟.

أصدر تشوتسكي شخيرًا صغيرًا كما لو كان يعتقِد أنني أمزَح وأنه فَهِم الأمر، وقال: «أجل، هذا صحيح، إذا أين تعتقِد أنه قد يكون يا صديقي؟».

قُلت: «في الواقِع.. لم أُفكّر في الأمر على الإطلاق».

قالت ديبرا بنبرةٍ تحذيريةٍ في صوتها: «ديكستر».

عَبَس تشوتسكي، وهو التعبير الذي كان غريبًا دون حاجبين، وهو يقول: «ماذا تقصد؟».

«أقصد أنني لا أرى لماذا يُعتبر الأمر مُشكلتي بعد الآن، لا أرى لماذا أو حتى سبب البحث عنه، لقد حَصَل على ما يُريد.. ألن ينتهي من الأمر ويعود إلى المنزل؟».

سأل تشوتسكي ديبرا: «هل يمزَح؟».

لو كان لديه حاجبان لكانا مرفوعين الآن، قالت ديبرا: «إنه لا يُحِب دوكس».

قال لي تشوتسكي: «أجل، لكن اسمع.. دوكس هو أحد رجالنا».

قُلت: «ليس أحد رجالي».

هزَّ تشوتسكي رأسه وهو يقول: «حسنًا، هذه مُشكلتك، لكن لا يزال علينا أن نجد هذا الرجل، هناك جانب سياسي لهذا الأمر برمته، وهو أمر سيئ إذا لم نقبِض عليه».

قُلت: «حسنًا، لكن لماذا هي مُشكلتي؟».

بالنسبة لي.. بدا كأنه سؤال معقول للغاية، على الرغم من أن رد فعله بدا كأنني أريد تفجير مدرسة إعدادية.

هزَّ رأسه وهو يقول بإعجابٍ ساخرٍ: «يا إلهي، أنت غريب الأطوار حقًا يا صديقي».

قالت ديبرا: «ديكستر، انظر إلينا».

وهكذا فعلت، ديبرا في جبيرتها وتشوتسكي بجذعيه المبتورين، وبصراحةٍ.. لم يبدوا رهيبين للغاية، قالت: «نحتاج لُمساعدتك».

«لكن يا ديبس، حقًا».

قالت: «أرجوك يا ديكستر».

كانت تعلَم جيدًا أنني أجد صعوبةً في رفض طلباتها عندما تستخدم هذه الكلمة.

قُلت: «بحقك يا ديبس، أنتِ بحاجةٍ لبطل أفلام حركة، شخص ما بإمكانه أن يركل الباب ويدخُل ليُطلِق النيران بسلاحه، لكنني مُجرَّد مهووس لطيف بالطب الشرعي».

عبرت الغُرفة لتقِف أمامي، على بُعد عدة بوصات مني، قالت بهدوءٍ: «أعرف ما أنت عليه يا ديكستر، هل تتذكَّر؟ وأعرِف أنه يُمكِنك القيام بذلك».

وضعت يدها على كتفي، وخفضت صوتها إلى أقصى حد، بالكاد همست: «يحتاج كايل هذا يا ديكس، يحتاج للقبض على دانكو، أو لن يشعُر أنه رجل مرة أخرى، وهذا مُهِم بالنسبة لي، أرجوك يا ديكستر».

وفي النهاية.. ماذا يُمكِنك أن تفعل عندما تُستخدَم ضدك أعتى الأسلحة؟ باستثناء استدعاء دعم من النوايا الحسنة والتلويح بالعلم الأبيض باستسلام.

قُلت: «حسنًا يا ديبس».

الحُرية أمر هش، أمر مُقرِف، أليس كذلك؟

الفصل الثامن والعشرون

بغض النظر عن مُعارضتي للأمر، فإنني كُنت قد وعدت بالمُساعدة، وهكذا هاجَم ديكستر المُطيع المسكين المُشكلة على الفور بكُل ما أوتي عقله القوي من حيلة، لكن الحقيقة المُحزِنة كانت.. أن عقلي بدا كأنه متوقِّف عن العمل، وبغض النظر عن مدى اجتهادي في تنميط الأدلَّة، لكن شيئًا لم يسقُط في الصندوق الخارجي.

بالطبع كان من المُمكِن أن أكون بحاجةٍ لمزيدٍ من الوقود لأعمَل بأقصى جهد مُمكِن، لذا حَثَثت ديبرا على طلب المزيد من الدنش، وبينما كانَت على الهاتِف مع خدمة الغُرف، ابتسَم لي تشوتسكي مُتعرِّقًا بابتسامةٍ مُشرِقة بعض الشيء وقال: «لنبدأ بالأمر يا صديقي، حسنًا؟».

وبما أنه سأل بلُطفٍ، ولأنني كان عليّ أن أفعل شيئًا بينما أنتظِر الدنش على أي حال، وافقت.

أدى فقدانه لطرفيه إلى إزالة نوعٍ من الأقفال النفسيَّة عن تشوتسكي، وعلى الرغم من كونه متوعِّكًا قليلًا، لكنه كان أكثر ودًا وانفتاحًا، وفي الواقِع.. بدا حريصًا على مُشاركة المعلومات لم يكُن المرء ليتخيَّل أن يفعلها تشوتسكي بأطرافه الأربعة الكامِلة ونظارته الشمسية باهظة الثمن، وبالتالي.. ومن مُنطلَق لم يكُن أكثر من الحاجة للتنظيم ومعرفة أكبر قدر مُمكِن من التفاصيل، استفدت من ابتهاجِه الجديد الجيد لمعرفة أسماء فريق السلفادور منه.

جَلَس ودفتر مُلاحظات أصفر يستقِر بشكلٍ غير متوازِن على ركبتيه، يُثبِّته بمعصمه بينما يكتب الأسماء على عُجالةٍ بيده اليُمنى، يده الوحيدة، قال: «أنت تعرِف بشأن ماني بورخيس».

قُلت: «الضحية الأولى».

أجابني تشوتسكي دون أن يرفع نظره للأعلى: «أجل».

كتب الاسم ثُم شَطَبَه، قال: «ثُم كان هناك فرانك أوبري؟».

عَبَس وأخرَج طرف لسانه من زاوية فمه وهو يكتب الاسم ثُم يشطبه، قال: «لم يلحق بأوسكار أكوستا، والله أعلم أين هو الآن».

كَتَب الاسم على أية حال قبل أن يضع علامة استفهام بجواره، قال: «ويندل إنجرام، يعيش في نورث شور درايف، على شاطئ ميامي».

انزلق الدفتر وسَقَط أرضًا وهو يكتب الاسم، حاول أن يُمسِك به وهو يسقُط، لكنه أخفَقَ بشدةٍ، حدَّق في المكان الذي استقرَّ فيه الدفتر للحظةٍ، قبل أن ينحني ويستعيده، تدحرجت قطرة عرق عبر رأسه الأصلَع وسقطت أرضًا، قال: «المُسكِّنات اللعينة، جعلتني أشعُر بالدوار قليلًا».

قُلت: «ويندل إنجرام».

كتب بقية الاسم على عجالةٍ واستمرَّ دون أن يتوقَّف عنده: «أجل، أجل، وآندي لايل، يبيع السيارات في ديفي الآن».

استمرَّ يكتُب تحت تأثير دفقة من الغضب، كَتَب الاسم الأخير باندفاعٍ: «هناك رجلان ميتان، ولا يزال هناك رجل في الميدان، هذا كُل شيء، هذا هو الفريق بأكمله».

«ألا يعرف أي من هؤلاء الرجال أن دانكو في المدينة؟».

هزَّ رأسه، طارَت قطرة أخرى من العرق في الهواء وكادت تصيبني وهو يقول: «نحافِظ على غطاءٍ مُحكَمٍ من السريَّة حول ذلك الأمر، لا نقول سوى ما هُم بحاجةٍ لمعرفته فحسب».

«ألا يحتاجون لمعرفة أن هناك من يُريد أن يحوِّلهم إلى وسائد صراخ؟».

قال: «لا، ليسوا بحاجةٍ لذلك».

قالها وأطبَق فمه، بدا كأنه أوشَك أن يقول شيئًا قاسيًا مرةً أخرى؛ ربما كان سيقترِح أن يطرَدوا مع مياه المرحاض، قبل أن ينظُر لي ويُفكِّر في الأمر بشكلٍ أفضل.

سألته دون أي أمل حقيقي: «هل يُمكِننا على الأقل أن نتحقَّق لنرى أيهما مفقودًا؟».

بدأ تشوتسكي يهز رأسه قبل حتى أن أنتهي من حديثي، طارت نقطتان أخريان من العرق، يمينًا، ويسارًا، قال: «لا، أبدًا، مستحيل، دائمًا يبحث هؤلاء الرجال عن أي معلومات جديدة، إذا ما بدأ شخص ما بالسؤال عنهما، فسيعلمان، ولا يُمكنني المُجازفة بهروبهما، مثلما فعل أوسكار».

«إذا كيف سنجِد دكتور دانكو؟».

قال: «هذا ما ستقوم أنت باكتشافه».

سألته متفائِلًا: «ماذا عن المنزل المجاوِر لجبل تراشمور، البيت الذي قُمت بتفحصه حينما أمسكت بلوح الكتابة؟».

قال: «عيَّنَت ديبي سيارة دورية لتمُر بجواره، انتقلت عائلة لتسكنه، لا، نحن نعتمِد عليكَ كُليًا يا صديقي، ستجد شيئًا ما».

انضمَّت إلينا ديبس مرةً أخرى قبل أن أفكِّر في أي شيء ذي معنى لأقوله، لكن في الحقيقة.. كُنت مُندهِشًا من موقف تشوتسكي الرسمي تجاه رفاقه السابقين، ألن يكون من اللطيف أن يمنَح أصدقاءه القدامى تحذيرًا أو على الأقل تنبيهًا؟ بالتأكيد لا أتظاهَر بأنني نموذَج الفضيلة المُتحضِّرة، لكن على سبيل المثال.. إذا ما طارَد الجرَّاح المُختَل فينس ماسوكا، فسأحُب أن أعتقِد أنني سأجِد طريقةً لأُلمِّح له في مُحادثةٍ عارضةٍ بجوار آلة صُنع القهوة، مرَّر لي هذا السُكَّر من فضلك، بالمُناسبة.. هناك طبيب مجنون يُطارِدك ويُريد بَتر جميع أطرافك، هل تُريد القشدة؟

لكن من الواضِح أن هذه لم تكُن الطريقة التي يُدير بها الرجال ذوو الذقون الرجاليَّة الضخمة اللعبة، أو على الأقل ليس من قِبَل مُمثِّلَهم كايل تشوتسكي، لا يهم؛ فعلى الأقل.. لديّ قائمة بالأسماء، وهي ما تصلح كنقطة للبدء، على الرغم من أنه لم يكُن هناك شيء آخر، ولم يكُن لديّ أي فكرة من أين سأبدأ في تحويل نقُطة البدء تلك إلى نوعٍ من المعلومات الفعليَّة المُفيدة، ويبدو أن كايل لا يُبلي بلاءً حسنًا مع الإبداع مثلما يفعل مع المُشاركة، وديبرا لا تُمثِّل سوى قليل من المُساعدة فحسب، كانت غارقة حتى النُخاع في التربيت على وسائد كايل، مسح حاجبه المحموم، والتأكُّد من تناوله لدوائه، وهو نوع من السلوك الوقور الذي كُنت أعتقِد أنه مُستحيل تمامًا بالنسبة لها، لكن ها هي ذي.

أصبَح من الواضح أنه سيتم إنجاز القليل من العمل الحقيقي هنا في جناح الفُندق، الشيء الوحيد الذي يُمكِن أن أقترِحه هو أن أعود إلى جهاز الكومبيوتر الخاص بي وأرى ما يُمكنني أن أفعله، وهكذا بعد أن انتزعت قطعتين أخيرتين من الدنش من يد كايل المُتبقيّة، توجَّهت إلى المنزل وإلى جهاز الكومبيوتر الخاص بي، لم يكُن هناك أي ضمانات

أنني سأصل إلى أي شيء، لكنني كُنت ملتزمًا بالمحاولة، سأبذل قصارى جهدي، أبحث في المُشكلة لبعض ساعات، وأتمنى أن يلف أحدهم رسالةً سريةً بحجرٍ ويلقيها عبر نافذتي، وربما إذا اصطدمت الصخرة برأسي، ستحل وثاق بعض الأفكار.

كانت شقتي كما تركتها، وهو ما كان مطمئِنًا، بل وحتى الفراش كان مُرتبًا، بما أن ديبرا لم تعُد مقيمةً هنا، سُرعان ما بدأ الكومبيوتر الخاص بي في العمل وبدأت في البحث، راجَعت قاعدة بيانات العقارات أولًا، لكن لم تكُن هناك أي مُشتريات جديدة على غرار عمليات الشراء الأخرى، ومع ذلك.. كان من الواضِح أنه يجب على دكتور دانكو أن يكون في مكانٍ ما، لقد طردناه من مكان اختبائه المُعَد سلفًا، ورغم ذلك.. كُنت مُتأكِّدًا تمامًا أنه لن يطيق صبرًا للبدء مع دوكس وأي شخص آخر من قائمة تشوتسكي ربما قد لَفَت انتباهه.

كيف يُقرِّر ترتيب ضحاياه على أي حال؟ بالأقدميَّة؟ بكم مرّة استفزُّوه؟ أم بعشوائيةٍ؟ وإذا ما تبيَّنت ذلك، فعلى الأقل.. من المُمكِن أن أجِدَه، كان عليه أن يذهَب إلى مكانٍ ما، ولم تكُن عملياته من النوع الذي يُمكِن للمرء أن يفعله في غُرفة فندق، إذن.. إلى أين سيذهَب؟

لم تكُن بسبب صخرة هشَّمت النافذة وصدمت رأسي بعد كُل شيء، لكن فكرة صغيرة بدأت تتسرَّب من قاع عقل ديكستر، من الواضِح أنه كان على دانكو أن يذهَب إلى مكانٍ ما ليعمَل على دوكس، وليس بوسعَه الانتظار حتى يُقيم منزلًا آمنًا آخر، وأينما ذَهَب.. فعليه أن يكون في منطقة ميامي، قريبًا من ضحاياه، كما أنه ليس قادرًا على المُجازفة بكُل متغيِّرات الاستيلاء على مكانٍ ما بشكلٍ عشوائي، فقد يتم اقتحام المنزِل الذي يبدو فارِغًا فجأة من قِبَل مُشترين مُحتَملين، وإذا احتلَّ مكانًا

مأهولًا.. فلن يعرِف متى قد يأتي ابن العم إنريكو للزيارة، إذن.. لماذا لا يستخدِم منزل ضحيته التالية؟ كان يعتقِد أن تشوتسكي.. الوحيد الذي يعرِف القائِمة حتى الآن، عاطلًا عن العمل لفترةٍ ولن يُطارِده، وعن طريق الانتقال للاسم التالي في القائمة، سيُمكِنه بتر طرفين بمشرطٍ واحدٍ، فسيُمكِنه أن يستخدِم منزل ضحيته التالية ليقضي على دوكس، ثُم يبدأ على مهل مع صاحب المنزل السعيد.

سيكون هذا معقولًا لدرجةٍ كبيرةٍ وسيكون نقطة بدء مُحدَّدة أكثر من قائمة الأسماء، لكن.. حتى لو كُنت مُحقًا، فأي هؤلاء الرجال سيكون التالي؟

دوى هزيم الرعد بالخارج، نظرت مرةً أخرى إلى قائمة الأسماء وتنهَّدت، لماذا لم أكُن في مكانٍ آخر؟ حتى لَعِب الرجل المشنوق مع كودي واستور سيكون بمثابة تحسُّن كبير مُقارنةً بهذا النوعِ من الكَدح المُحبط، سيتعيَّن عليّ دفع كودي للبدء بحروف العلة، ثُم ستبدأ في التركيز على بقية الكلمة، وعندما سيُتقِن ذلك.. سيُمكنني البدء في تعليمه أشياء أخرى أكثر إثارةً للأهمية، من الغريب جدًا أن يكون لديّ طفل أتطلَّع إلى توجيهه، من المؤسِف أنه قام باتخاذ اللازِم مع كلب الجيران بالفعل، كان من المُمكِن أن يكون هذا مكانًا مثاليًا لبدء تعلُّمِ قواعد الأمان بالتوازي مع التقنيَّة، كان أمام النذل الصغير الكثير ليتعلَّمه، ستنتقِل جميع دروس هاري القديمة إلى جيلٍ جديدٍ.

وبينما كُنت أفكِّر في مُساعدة كودي، أدركت أن عقلي الباطِن كان يقبَل خطوبتي على ريتا، هل سيُمكنني المضي قدمًا في ذلك؟ التخلُّص من طُرق العزوبيّة الخاليّة من الهموم للاستقرار في حياةٍ من النعيم المنزلي؟ والغريب في الأمر.. أنني اعتقدت أنني قد أكون قادرًا على القيام بذلك،

من المؤكَّد أن الأطفال كانوا يستحقون القليل من التضحية، وبوجود ريتا كتمويه دائم سيُقَلِّل من فُرص ملاحظتي، من غير المُرجَّح أن يقوم الرجال الذين يتمتعون بزواجٍ سعيدٍ بهذا النوع من الأشياء التي أحيا من أجلها.

ربما يُمكنني الاستمرار في ذلك، سنرى، لكن بالطبع كانت تلك مُماطلة، لا يُقرِّبني الأمر من أمسيتي مع ريكير، كما لم أقترِب من العثور على دانكو، استجمعت حواسي المُبعثَرة ونظرت ثانيةً إلى قائمة الأسماء: انتهى أمر كل من بورخيس وأوبري، ولا يزال أكوستا، إنجرام، ولايل، غير مُدركين أن لديهم موعدًا مع الدكتور دانكو، سقط اثنان، ولا يزال هناك ثلاثة، بغض النظر عن دوكس، الذي على الأرجَح يشعُر بالنصل الحاد الآن، وموسيقى تيتو بوينتي الراقِصة تعمل في الخلفية، بينما ينحني الدكتور بمشرطه اللامِع ليقود الرقيب خلال رقصة البتر الخاصَّة به، ارقص معي يا دوكس، ارقص معي يا صديقي، كما سيصيغها تيتو بوينتي بالإسبانية، من الصعب قليلًا أن ترقص دون أقدام بالطبع، لكن الأمر يستحِق الجهد المبذول.

وفي غضون ذلك.. ها أنا ذا أرقص في دوائر كما لو أن الطبيب الجيد قد بتر إحدى قدميّ.

حسنًا.. لنفترض أن الدكتور دانكو في منزل ضحيته الحالية، دون أن نحتسِب دوكس بالطبع، لم أكُن أعرِف من قد يكون، إذا إلى أين يقودني ذلك؟ عندما تستبعِد أسس التحقيق العلمي، لا يظل هناك سوى التخمينات، ديكستر العزيز البسيط، حادي بادي.. كُرنب زبادي..

هبط أصبعي فوق دفتر الملاحظات على اسم إنجرام، حسنًا.. كان هذا مُحدَّدًا.. أليس كذلك؟ بالتأكيد كان كذلك، وكُنت أولاف.. ملك النرويج.

نهضت وسرت حتى النافذة حيث كُنت أطل مرَّات عديدة على سيارة الرقيب دوكس التورس الكستنائية المتوقِّفة عبر الشارع، لم يكُن هناك، وسُرعان ما لن يكون في أي مكان ما لم أجده، أرادني ميتًا أو في السجن، وسأكون أكثر سعادةً لو اختفى ببساطةٍ.. سواء كقطعة واحدة في المرَّة، أو كُله على مرةٍ واحدةٍ، لا يُحدِث هذا فارِقًا، ومع ذلك.. ها أنا ذا أعمل لوقتٍ إضافي، أدفع آلية عقل ديكستر القويَّة خلال مسارات رائعة، من أجل إنقاذه.. ليتمكَّن من قتلي أو زجي في السجن، فهل من المُستغرَب أن أجد فكرة الحياة برمَّتها أمرًا مُبالغًا فيه؟

صَهَل القمر شبه المُكتمِل عبر الأشجار، ربما بدافِع السُخرية، وكلّما حدَّقت لفترةٍ أطول.. شعرت بثِقَل ذلك القمر القديم الشرير، الذي كان يتلألأ بهدوءٍ تحت الأفق مُباشرةً، وينفُث البرودة والحرارة على عمودي الفقري، يدفعني لاتخاذ قرار، إلى أن وجدت نفسي ألتقِط مفاتيح سيارتي وأتوجَّه نحو الباب، لماذا لا أذهَب للتحقُّق من الأمر بعد كُل شيء؟ لن يستغرِق الأمر أكثر من ساعةٍ، ولن أضطَر لشرحِ أفكاري لديبس وتشوتسكي.

أدرَكت أن الفكرة بدت جذَّابة بالنسبة لي بشكلٍ جزئي لأنها كانت سريعة وسهلة، وإذا أتت ثمارها فسوف تُعيدني إلى حريتي التي كسبتها بشق الأنفُس في الوقت المُناسِب لموعد لعب ليلة الغد مع ريكير، بل وأكثر من ذلك، كنت قد بدأت في تطوير رغبة صغيرة في تناول مُقبِّلات، لماذا لا يتم الإحماء قليلًا على الدكتور دانكو؟ من الذي من

المُمكِن أن يلومني لأنني أفعل به ما فعله بالآخرين؟ وإذا ما اضطررت لإنقاذ دوكس من أجل الوصول إلى دانكو، فحسنًا.. لم يقُل أحد أبدًا أن الحياة عادلة.

وها أنا ذا.. متوجِّه شمالًا على طريق ديكسي السريع، ثم إلى الطريق السريع رقم (95)، قبل أن أسلك طريقي نحو الطريق رقم (79)، ومنه مُباشرةً إلى منطقة نورماندي شورز في ميامي بيتش، حيث يعيش إنجرام، كان الليل قد حل في الوقت الذي انعطَفت فيه إلى الشارع وسرت ببطءٍ، وقفت شاحنة خضراء داكِنة في الممر، تُشبِه إلى حدٍ بعيدٍ شاحنة دانكو البيضاء التي تحطَّمت قبل أيام قليلة، كانت تقِف بجوار سيارة مرسيدس حديثة، بدا هذا في غير محلَّه في هذا الحي المُترَف، فكَّرت: حسنًا إذا، بدأ الراكِب المُظلِم يُغمغِم بكلماتٍ تشجيعيةٍ لكنني واصلت المرور عبر المُنعطَف في الطريق المجاوِر للمنزل، ومنه إلى مكانٍ شاغرٍ قبل أن أتوقَّف، توقَّفت عبر المنعطف مُباشرةً.

لم تكُن الشاحنة الخضراء تنتمي إلى هنا، بناءً على مستوى هذا الحي، بالطبع قد يكون إنجرام يقوم ببعض أعمال التجصيص، وقرَّر العُمّال البقاء هناك حتى ينتهوا من العمل، لكنني لا أظن ذلك، ولا الراكِب المُظلِم كذلك، أخرجت هاتفي المحمول لأتصل بديبرا.

أخبرتها حين ردَّت: «ربما وجدت شيئًا ما».

قالت: «ما الذي أخَّرك هكذا؟».

قُلت: «أعتقِد أن الدكتور دانكو يعمل في منزل إنجرام في ميامي بيتش».

صمتت قليلًا، كان باستطاعتي أن أشعر بعبوسها قبل أن تقول: «لماذا تعتقِد ذلك؟».

فكرة شرح أن دافعي الوحيد هو تخمين فقط لم تبد جذَّابة للغاية، لذا قُلت: «إنها قصة طويلة يا أختي، لكنني أعتقد أنني على حق».

قالت: «أنت تعتقِد، لكنك لست مُتأكِّدًا».

قُلت: «سأتأكَّد في غضون دقائق، لقد أوقفت سيارتي بالقُرب من المنزل، وهناك شاحنة تقف أمامه تبدو غير لائِقة أبدًا مع هذا الحي».

قالت: «ابقَ مكانك، سأتصل بك ثانيةً».

أنهت المُكالمة وتركتني أنظر إلى المنزل، كانت زاوية حادة للمراقبة ولم يُمكِنني أن أنظر للمنزل حقًا دون أن أصاب بتشنُّج شديد في عنقي، لذا لففت السيارة وواجهت الشارِع باتجاه المُنعطَف حيث قبع المنزل ساخرًا مني، وعندما فعلت ذلك.. كان هنا، يطل برأسه المُنتفِخ من بين الأشجار، لتتدفَّق أشعة الضوء الغائِمة على المناظِر الطبيعية الفاسِدة، هذا القمر، منارة القمر دائمة الضحك، كانت هناك.

كان بإمكاني أن أشعر بأصابع ضوء القمر البارِدة وهي تنكزني، تحَثني وتغيظني وتدفعني للقيام بشيءٍ أحمق ورائع، وكان وقتًا طويلًا للغاية قد مرَّ منذ أن أنصتُّ إلى تلك الأصوات التي كانت أعلى مرتين من ذي قبل، تغمُر رأسي وعمودي الفقري، وفي الحقيقة.. ما الضرر الذي يُمكِن أن يحدُث إذا ما تأكَّدت تمامًا قبل أن تتصل بي ديبرا مرةً أخرى؟ لن أفعل أي شيء غبي بالطبع، سأخرج من السيارة بلُطف وأمر في الشارع بجوار المنزل فحسب، مُجرَّد نزهة عادية في ضوء القمر على طول شارع هادئ مليء بالمنازل، وإذا سَنَحت لي الفُرصة لألعب بعض الألعاب الصغيرة مع الدكتور.

كان مُزعِجًا إلى حدٍ ما أن ألاحِظ أن أنفاسي كانت مُهتزَّة قليلًا بينما خرجت من السيارة، عار عليك يا ديكستر، أين ذلك التحكُّم الجليدي الشهير؟ ربما أكون قد فقدته بسبب كونه ظلَّ ملفوفًا لوقتٍ طويلٍ للغاية، وربما كانت نفس الثغرة التي جعلتني متشوِّقًا للغاية، لكن هذا لن ينجَح أبدًا، أخذت نفسًا طويلًا عميقًا لأهدئ من روعي ثم توجَّهت إلى الشارِع، مُجرَّد وحش عادي يخرُج في نزهة ليلية أمام عيادة مُرتجلة لتشريح الأحياء، مرحبًا يا جاري، أمسية جيدة لبتر ساق، أليس كذلك؟

شعرت أن هناك شيئًا ما يزداد طولًا وصلابةً بداخلي، مع كُل خطوة اقتربتها من المنزل، وفي الوقت ذاته.. كانت الأصابع الباردة القديمة تقوم بتضييق الخِناق عليّ لتُثبِّتني في مكاني، كُنت بين النار والثلج، على قيد الحياة مع ضوء القمر والموت، وعندما وصلت إلى المنزل.. بدأت الهمسات الداخليّة تتعافى عندما سمعت أصواتًا خافتةً من المنزل، جوقة من الإيقاع والساكسفون التي بَدَت تُشبِه إلى حدٍ كبيرٍ تيتو بوينتي، ولم أكُن بحاجة للهمسات المُتصاعِدة لتُخبرني أنني كُنت مُحقًا، وكان هذا بالفعل هو المكان الذي أقام فيه الدكتور عيادته.

كان هنا، وكان يعمل.

والآن.. ماذا سأفعل حيال ذلك؟ بالطبع كان الشيء الحكيم الذي يجب فعله هو العودة إلى السيارة وانتظار مُكالمة ديبس، لكن هل كانت هذه حقًا هي ليلة الحكمة، بينما كان ذلك القمر الداكِن مُنخفِضًا جدًا في السماء والجليد يتدفَّق في عروقي، ويحثني على المضي قدمًا؟

وهكذا.. عندما مررت بجوار المنزل، انزلقت في ظلال المنزل المجاوِر، وتسلَّلت بحذرٍ عبر الفناء الخلفي، إلى أن تمكَّنت من رؤية الجزء الخلفي من منزل إنجرام، كان هناك ضوء ساطع للغاية يظهر عبر

النافذة الخلفية، دخلت إلى الفناء في ظل شجرة، اقتربت أكثر فأكثر، بضع خطوات قليلة وسيُصبِح بإمكاني رؤية النافذة، اقتربت قليلًا، خارج الخط الذي يُلقيه الضوء على الأرض.

تمكَّنت أخيرًا من رؤية النافذة من حيث أقف في الوقت الحالي، من الأعلى وبزاويةٍ طفيفةٍ، من الداخل وحتى سقف الغُرفة، وها هي المرآة التي يبدو أن دانكو مُغرم للغاية باستخدامها، تُظهِر لي نصف المنضدة..

وأكثر بقليلٍ من نصف الرقيب دوكس.

تم ربطه بإحكامٍ في مكانه، دون حِراك، حتى رأسه المحلوق حديثًا كان مُثبَّتًا بإحكامٍ إلى المنضدة، لم أستطِع رؤية الكثير من التفاصيل، لكن مما استطعت رؤيته.. فكلتا يديه كانت مقطوعة من عند الرسغ، اليدان أولًا؟ مُثير للاهتمام للغاية، نهج مُختلِف تمامًا عن النهج الذي استخدمه مع تشوتسكي، كيف يُقرِّر الدكتور دانكو ما هو المُناسِب لكُل مريض على حدة؟

وجدت نفسي مفتونًا للغاية بالرجل وعمله، كان هناك إحساس غريب بالفكاهة يتصاعَد هنا، وبقدر ما يبدو الأمر سخيفًا.. لكنني أردت أن أعرِف المزيد عن كيفية عمله، اقتربت نصف خطوة للأمام.

توقفت الموسيقى فتوقَّفت معها، وبعد ذلك.. عندما تصاعَد الإيقاع مرةً أخرى، سمعت سعالًا جافًا من خلفي وشعرت بشيء ما على كتفي، شعرت بلدغةٍ ووخزٍ خفيف، استدرت لأرى رجلًا صغيرًا بنظاراتٍ سميكةٍ ينظر لي، كان يُمسِك بيده ما يُشبه مُسدَّس كُرات الطلاء، كان لديّ من الوقت ما يكفي كي أشعر بالسخط لأنه كان مصوَّبًا نحوي، قبل أن يزيل شخص ما العظام من ساقي لأتهاوى نحو العُشب المُبلَّل بالندى حيث كان كُل شيء مُظلِمًا ومليئًا بالأحلام.

الفصل التاسع والعشرون

كُنت أقوم بتقطيع رجل سيئ للغاية بسعادةٍ، وكُنت قد قُمت بربطه بإحكامٍ وتثبيته إلى الطاولة، لكن بطريقةٍ ما.. كان السكين مصنوعًا من المطَّاط وأخذ يتأرجَح من جانبٍ إلى جانب، مددت يدي وأمسكت بمنشار تقطيع عظام عملاق بدلًا منه، وحرَّكته نحو التمساح الموجود على الطاولة، لكنني لم أشعر بالسعادة الحقيقية، وبدلًا منها.. شعرت بألمٍ ورأيت أنني أقطع ذراعيّ بنفسي، احترَق معصماي وآلماني، لكنني لم أستطِع التوقُّف عن التقطيع، ثم قطعت شريانًا.. وانفجَر اللون الأحمر المروِّع في كُل مكان، وأعماني بضبابٍ قرمزي، ثُم بدأت أسقُط، أسقُط للأبد عبر ظلام ذاتي المُعتِمة الفارِغة، حيث أخذت الأشكال الفظيعة تتلوى وتنتحِب وتجذبني، إلى أن سقطت واصطدمت ببركةٍ حمراء فظيعة على الأرض، حيث كان بجوارها قمران مجوَّفان يحدِّقان في وجهي، ويأمرانني: افتح عينيك، أنت مُستيقِظ..

عُدت إلى تركيزي لأتبيَّن أن القمرين المجوَّفين ما هُما إلا زوج من العدسات السميكة الموضوعة في إطارات سوداء مُثبَّتة على وجه رجل صغير نحيف له شارِب، كان ينحني فوقي مُمسِكًا بحُقنةٍ في يده.

أفترض أنه دكتور دانكو؟

لم أعتقِد أنني قُلت هذا بصوتٍ عالٍ، لكنه أومأ وهو يقول: «أجل، هكذا أطلقوا عليّ، وأنت.. من تكون؟».

كانت لكنته متوتِّرة قليلًا، كما لو كان عليه أن يُفكِّر بعض الشيء في كُل كلمة، وكانت مُطعَّمة بقليلٍ من الكوبية، لكن ليس وكأن اللغة الإسبانية هي لغته الأم، ولسببٍ ما.. جعلني صوته أشعر بأنني غير سعيد للغاية، كما لو أن له رائحة طاردة لديكستر، لكن بالداخل.. في أعماق عقلي، رفع ديناصور قديم رأسه وزأر مرةً أخرى، لذا لم أبتعِد عنه كما أردت أن أفعل منذ البداية، حاولت أن أهز رأسي، لكنني وجدت ذلك صعبًا للغاية لسببٍ ما.

قال: «لا تحاوِل التحرُّك بعد، لن تفلَح، لكن لا تقلق، ستكون قادرًا على رؤية كُل ما سأفعله في صديقك الموجود على الطاولة، وقريبًا بما فيه الكفاية.. سيأتي دورك، وسيُمكِنك أن ترى نفسك، في المرآة».

رَمَش في وجهي، وسمِعت قليلًا من النزوة تتسلَّل إلى صوته وهو يُضيف: «المرايا شيء رائع حقًا، هل تعلَم أنه إذا كان هناك شخص يقف خارج المنزل وينظُر إلى المرآة، فسيُمكِنك أن تراه من داخل المنزل؟».

بدا كمُدرس في مدرسة ابتدائية يشرَح مزحة لطالب مُغرَم به، لكنه غبي لدرجة أنه لن يفهمها، وشعرت بأنني غبي للغاية لأن هذا كان منطقيًا، لأنني سقطت في هذا الفخ دون أن أفكِّر بهذا العُمق، يا إلهي، هذا مُثير للاهتمام، لقد جعلني نفاد صبري وفضولي بسبب القمر مُهملًا، مما جعله يراني وأنا أختلِس النظر، ورغم ذلك.. كان يسخر مني، وكان هذا مُزعِجًا، لذا شعرت أنني مُضطر لقول شيء ما، مهما كان ضعيفًا.

قُلت: «أجل، بالطبع، كُنت أعرِف ذلك، هل تعلم أنت أن لهذا المنزل بابًا أماميًا، وأنه لا توجد طواويس للحراسة هذه المرة».

رَمَش وهو يقول: «هل يجب أن أشعُر بالذعر؟».

«حسنًا، لن تعلَم أبدًا من قد يأتي ليقتحِم المكان دون إذن».

حرَّك دانكو الزاوية اليُسرى من فمه للأعلى حوالي ربع بوصة وهو يقول: «حسنًا، إذا كانوا مثل صديقك الموجود على منضدة العمليات، فأعتقِد أنني سأكون بخير، أليس كذلك؟».

كان عليّ أن أعترِف أنه كان على حق، لم يكُن لاعبو الفريق الأول مُبهرين؛ فلماذا عليه أن يخاف من مقاعِد البُدلاء؟ ربما كُنت لا أزال غبيًا قليلًا من أثر أي مُخدِّر قد استخدمه معي، وأنا مُتأكِّد تمامًا من أنني كُنت سأقول شيئًا أكثر ذكاءً، لكن في الحقيقة.. كُنت لا أزال في ضبابٍ كيميائي بعض الشيء.

قال: «آمل ألا يتحتَّم عليّ أن أصدِّق أن المُساعدة قادمةً في الطريق؟».

كُنت أتساءل عن نفس الشيء، لكن لم يبد من الذكاء أن أصرِّح بذلك، لذا قُلت بدلًا من هذا: «صدِّق ما تُحب أن تُصدِّق».

على أمل أن يكون ذلك غامضًا بما فيه الكفاية ليُعطِّله قليلًا، لينقشِع البُطء عن قواي العقليَّة السريعة.

قال: «حسنًا إذًا، أعتقد أنك أتيت إلى هنا بمُفردك، على الرغم من أنني أشعر بالفضول لمعرفة السبب».

قُلت: «أردت دراسة أسلوبك».

قال: «هذا جيد، سأكون سعيدًا لأريك الأمر، في البداية.. الأيدي».

ابتسم لي ابتسامته الصغيرة وهو يُضيف: «ثُم الأقدام».

انتظر للحظةٍ، على الأرجح ليرى إن كُنت سأضحَك لتلاعبه بالألفاظ، شعرت للأسف الشديد لإحباطه، لكن ربما يبدو الأمر أكثر مرحًا فيما بعد، إذا ما خرجت من هذا الموقِف على قيد الحياة.

رَبَتَ دانكو على ذراعي وانحنى قليلًا وهو يقول: «علينا أن نعرِفْ اسمك، فكما تعرِف.. الأمر ليس مُمتعًا دون معرفته».

تخيَّلته يُخاطبني بالاسم وأنا مُستلقٍ مربوطًا إلى المنضدة، ولم تكُن صورةً مُبهجةً.

سألني: «هل ستُخبرني باسمك؟».

أجبته: «رامبليستيلتسكين[1]».

حدَّق فيّ، ظهرت عيناه ضخمتين من خلف العدسات السميكة، مدَّ يده إلى جيب بنطالي وأخرج محفظتي، فتحها ووَجَدَ رخصة القيادة، قال: «إذا أنت ديكستر، مبروك على الخطوبة».

تَرَكَ محفظتي بجواري ورَبَتَ على خدي وهو يقول: «راقِب وتعلَّم، لأنني سأفعل نفس الأشياء بك في القريب العاجِل».

قُلت: «هذا رائع بالنسبة لك».

عَبَس دانكو وهو يقول: «تحتَّم عليك أن تكون أكثر خوفًا، فلماذا لست كذلك؟».

زمَّ شفتيه وهو يقول: «مُثير للاهتمام، سأزيد الجُرعة في المرةِ القادمة».

وقف وابتعَد، قبعت في ركنٍ مُظلمٍ بجوار دلو ومكنسة، وشاهدته مُتحمسًا في المطبخ، صنع لنفسه كوبًا من القهوة الكوبيّة سريعة التحضير وأضاف كميةً كبيرةً من السُكَّر، ثُم عاد إلى وسط الغُرفة ووقف بجوار المنضدة، يرشفها على مهلٍ.

قال الشيء الموجود على المنضدة الذي كان يومًا ما الرقيب دوكس: «ناهما، ناهما.. ناهما».

(1) رامبليستيلتسكين: هي خُرافة ألمانية شهيرة تم ذكرها في قصص الأخوين جريم، وبطلها عفريت يحوِّل القش إلى ذهب.

بالطبع كان لسانه مقطوعًا، إسقاطًا واضحًا صنعه دانكو على الشخص الذي ظنَّ أنه وشى به.

قال الدكتور دانكو: «أجل، أعرِف، لكنك لم تُخمِّن أي واحدة حتى الآن».

بدا كأنه يبتسِم وهو يقول ذلك، على الرغم من أنه لم يظهَر أي تعبير بخلاف الاهتمام العميق على وجهه، لكن ذلك كان كافيًا لإدخال دوكس في نوبة من التلوي في محاولةٍ لشق طريقه للهروب من قيوده، لم ينجَح الأمر بشكلٍ جيدٍ، لم يبد أن هذا أثار قلق الدكتور دانكو، الذي ابتعَد وهو يحتسي قهوته ويدندن بلحنٍ لتيتو بوينتي.

وبينما كان دوكس يتلوى.. استطعت أن أرى أن قدمه اليُمنى قد اختفت، تمامًا مثل يديه ولسانه، قال تشوتسكي أن ساقه بالكامِل قد بُترَت على مرةٍ واحدةٍ، من الواضِح أن الدكتور أراد أن يُطيل الأمر قليلًا هذه المرّة، وعندما سيحين دوري.. كيف ومتى سيُقرِّر ما سيأخُذه؟

كان عقلي ينتزِع نفسه من الضباب جزءًا تلو الآخر، تساءلت كم من الوقت كُنت فاقدًا للوعي، لا يبدو أنه يُمكِن مُناقشة هذا النوع من الأشياء مع الدكتور.

سَبق أن قال: الجُرعة، وكان يُمسِك بيده حقنة عندما استيقظت، وفوجئ أنني لم أكُن أكثر خوفًا بالطبع، يا لها من فكرةٍ رائعةٍ، أن يحقِن مرضاه بنوعٍ من المُخدِّرات التي تؤثِّر على العقل ليُزيد من إحساسهم بالرُعب والعجز، تمنَّيت لو عَرِفت كيف أفعل ذلك، لماذا لم أحصُل على تدريبٍ طبي؟ لكن بالطبع.. كان الوقت مُتأخِّرًا بعض الشيء للقلق بهذا الشأن، وعلى أي حال.. بدا الأمر كأنه قد تمَّ تعديل الجُرعة بشكلٍ مُناسبٍ تمامًا من أجل دوكس.

«حسنًا يا ألبرت».

قالها الدكتور للرقيب بصوتٍ لطيفٍ للغاية ونبرةٍ مُشجِّعة وهو يرشف قهوته: «ما هو تخمينك؟».

«ناهانا! ناه!».

قال الدكتور: «لا أعتقِد أن هذا صحيح، على الرغم من أنه ربما إذا كان لديك لسان، فقد يكون صحيحًا، حسنًا.. على أي حال».

انحنى نحو حافة المنضدة وهو يضع علامةً صغيرةً على قطعةٍ من الورق، كما لو كان يشطُب شيئًا ما، وهو يقول: «إنها كلمة طويلة بالمُناسبة، من ثمانية حروف، ومع ذلك.. عليك أن تأخُذ الشيء السيئ مع الصالِح، أليس كذلك؟».

وَضَعَ قلمه الرُصاص وأمسك بمنشار، وبينما أخذ دوكس يتلوى مقاوِمًا قيوده، كان الدكتور يبتر قدمه اليُسرى، من فوق الكاحِل مُباشرةً، فعلها بسُرعةٍ كبيرةٍ ودقةٍ، وَضَع القدم المقطوعة بجانب رأس دوكس وهو يمد يده إلى مجموعة أدواته ويُمسِك بما يُشبِه مكواة اللحام الكبيرة، قام بوضعها على الجرح الجديد، ليتصاعَد صوت هسيس البخار الرطِب أثناء قيامه بكي الجذع للحَد من تدفُّق الدماء، قال: «رويدك».

أحدَث دوكس صوت ضوضاء مُختنِقة قبل أن يسكُن ورائِحة اللحم المشوي تنتشِر عبر الغُرفة، لو كان محظوظًا على الإطلاق فسيكون فاقدًا للوعي لفترةٍ.

أما أنا.. فلُحسن الحظ كُنت أزداد وعيًا بعض الشيء بمرور الوقت، بينما تنقشِع المواد الكيميائية التي وضعها بي مُسدَّس أسهم الدكتور عن عقلي، وبدأ نوع من الضوء المُتعكِّر في التسلُّل.

أوليست الذاكرة شيئًا جميلًا؟ حتى عندما نعلِق في وسط أسوأ الأوقات، نجد ذكرياتنا تُشجِّعنا، فها أنا ذا -على سبيل المثال- مُستلقٍ هنا بلا حول ولا قوة، غير قادر سوى على مُشاهدة الأشياء المروِّعة التي حدثت للرقيب دوكس فحسب، عالمًا بأن دوري سيأتي قريبًا، لكن رغم ذلك.. كانت لديّ ذكرياتي.

وما تذكَّرته الآن هو شيء قاله تشوتسكي عندما أنقذته، قال: «عندما أتى بي إلى هنا، قال: سبعة، وما هو تخمينك؟».

في ذلك الوقت اعتقدت أن هذا شيء غريب ليُقال، وتساءلت ما إذا كان تشوتسكي قد تخيَّل الأمر كأثر جانبي للمُخدِّر.

لكنني سمعت لتوي الدكتور وهو يقول نفس الأشياء لدوكس: «ما هو تخمينك؟».

قبل أن يقول: «ثمانية حروف».

ثُم وضع علامة على قطعة من الورق تمَّ لصقها على الطاولة.

مثلما كانت هناك قطعة من الورق مُلصقة بجوار كُل ضحيةَ وجدناها، وفي كُل مرة كانت بها كلمة واحدة، حروفها مشطوبة واحدًا تلو الآخر، (شَرَف)، (وفاء)، والمُفارقة بالطبع: أن الدكتور دانكو يُذكِّر رفاقه السابقين بالفضائِل التي تخلُّوا عنها بتسليمه للكوبيين، وبورديت المسكين.. رجل واشنطن الذي وجدناه في ميامي شورز، لم يكُن يستحِق أي جُهد عقلي حقيقي، خمسة حروف سريعة فحسب، (POUGE) وسُرعان ما اختفت ذراعاه، ساقاه، ورأسه بعيدًا عن جسده، ذراع، قدم، قدم، ذراع، رأس.

هل كان هذا مُمكِنًا فعلًا؟ أعلم أن راكبي المُظلِم لديه حس فكاهي، لكنه كان أكثر قتامةً من هذا بقليل، كان هذا مرحًا، غريب الأطوار، وحتى سخيفًا.

يُشبِه إلى حدٍ كبيرٍ لوحة ترخيص: اختر الحياة التي امتلكها، ومثل أي شيء آخر لاحظته في سلوك الدكتور.

بدا الأمر غير مُحتَمَل لحدٍ كبيرٍ، لكن..

كان الدكتور دانكو يلعب لعبةً صغيرةً وهو يُقطِّع ويُشرِّح، وربما لعِبها مع آخرين في تلك السنين الطويلة التي قضاها داخل السجن الكوبي الموجود في جزيرة باينز، وربما بدا الأمر أنه الشيء الصحيح لخدمة انتقامه غريب الأطوار، لأنه يبدو بالتأكيد وكأنه يلعبها الآن، مع تشوتسكي، ومع دوكس والآخرين، كان ذلك سخيفًا للغاية، لكنه كان الشيء الوحيد المنطقي.

كان الدكتور دانكو يلعب الرجل المشنوق.

قال وهو يجلس القُرفصاء بجواري مرةً أخرى: «حسنًا، ما هو رأيك فيما يُبلي صديقك؟».

قُلت: «أعتقِد أنه في حيرةٍ من أمره».

مال برأسه جانبًا، ولسانه الصغير يلعق شفتيه وهو يُحدِّق بي، ظهرت عيناه الكبيرتان اللتان لا ترمشان عبر نظارته السميكة، وهو يقول: «برافو».

رَبَت على ذراعي مرةً أخرى وهو يقول: «لا أظنك تعتقِد حقًا أن هذا سيحدُث لك، ربما تُقنِعك كلمة من عشرة حروف».

سألته: «هل بها حرف الألف؟».

تراجَع للخلف قليلًا كما لو كان شم رائحةً كريهةً من جواربي.

قال دون أن يرمش: «حسنًا».

ثم تحرَّك فمه إلى شيءٍ ما أشبه بالابتسامة، قال: «أجل، هناك ثلاثة حروف ألف، لكن بالطبع.. خمَّنت وهو ليس دورك، لذا..».

هزَّ كتفيه في إيماءة صغيرة، اقترحت بطريقةٍ مُفيدةٍ للغاية كما آملت: «بإمكانك أن تحتسبها تخمينًا خاطِئًا للرقيب دوكس».

أومأ قائِلًا: «أنت لا تحبه، أفهم ذلك».

عبس قليلًا قبل أن يقول: «حتى رغم ذلك.. كان يجب أن تكون خائفًا أكثر من ذلك».

قُلت: «خائفًا من ماذا؟».

كان هذا تبجّحًا مني بالطبع، لكن كم مرة تُتاح للمرء فرصة المزاح مع شرير حقيقي؟ وبدا أن المزحة قد أتت ثمارها؛ حدَّق بي دانكو لدقيقةٍ طويلةٍ قبل يهز رأسه أخيرًا.

قال: «حسنًا يا ديكستر، أرى أننا سنقوم بقطع أعمالنا من أجل وقت خاص بنا».

ابتسم ابتسامةً صغيرةً غير مرئية تقريبًا وهو يُضيف: «من بين أشياء أخرى».

ظَهَر خلفه ظل أسود مُبتهج وهو يتحدَّث، مما شكَّل تحديًا سعيدًا لراكبي المُظلِم، الذي تقدَّم للأمام وهو يزأر، وللحظة.. تواجهنا بهذه الطريقة، ثم رَمَش مرةً واحدةً، ووقف، وعاد للطاولة التي يستلقي عليها دوكس بسلامٍ شديدٍ، وغَرِقتُ مرةً أخرى في الركن المنزلي الصغير، وتساءلت عن نوع المُعجزة التي قد يأتي بها ديكستريني العظيم للهروب من هذا، هروبه العظيم.

بالطبع كُنت أعلم أن تشوتسكي وديبرا في طريقهما إلى هنا، لكنني وجدت هذا مُقلِقًا أكثر من أي شيء آخر، لربما أصرَّ تشوتسكي على استعادة رجولته المُتضرِّرة عن طريق الاستناد إلى عكازه والتلويح بمُسدسه بيده الوحيدة، وحتى لو سَمَح لديبرا بتقديم الدعم له، فهي ترتدي جبيرةً ضخمةً تجعل حركتها صعبة، بالكاد كان فريق إنقاذ يبعث على الثقة، لا، كان عليّ أن أظن أن ركني الصغير في المطبَخ سيُصبِح مِزدحمًا، ومع وجود ثلاثتنا مُقيَّدين ومُخدَّرين هنا، لن تأتي أي مُساعدة لإنقاذ أي منا.

وصدقًا.. على الرغم من تناثُر الحوارات البطولية القصيرة، لكنني كُنت لا أزال أشعُر بالدوار إلى حدٍ ما بسبب المُخدِّر الذي كان في سهم دانكو المُنوِّم، لذلك كُنت مُخدَّرًا، مُقيَّدًا بإحكام، ووحيدًا تمامًا، لكن هناك دائمًا بعض الإيجابية في أي موقِف، إذا ما أمعنت النظر بما يكفي، وبعد محاولة التفكير بهدوءٍ للحظةٍ، أدركت أنه كان عليّ أن أعترِف أنني لم أتعرَّض لهجوم الفئران المسعورة حتى الآن.

انتقل تيتو بوينتي إلى لحنٍ جديدٍ، شيء أكثر نعومة، وأصبحت أكثر فلسفةً، سنموت جميعًا في وقتٍ ما، ومع ذلك.. لم تكُن هذه الميتة لتشُق طريقها إلى قائمة أفضل عشر ميتات مُفضَّلة، النوم وعدم الاستيقاظ كان رقم واحد في قائمتي، وبعد ذلك.. فالبقية أكثر بغضًا.

ماذا سأرى عندما سأموت؟ لا أستطيع أن أجبِر نفسي على الإيمان بالروح، أو الجنة، أو النار، أو أي من هذا الهراء الروحاني، ففي النهاية.. إذا ما كان للبشر أرواح، ألن أمتلك واحدةً بدوري؟ وبإمكاني أن أؤكِّد لكم، أنني لا أمتلكها، كيف يُمكنني أن أمتلك روحًا.. على الرغم من كوني ما أنا عليه؟ أمر غير معقول، من الصعب بما يكفي أن أكون أنا

فحسب، أما أن أكون أنا بروحٍ وضميرٍ وتهديدٍ بنوع الحياة في العالم الآخر، فهذا مُستحيل.

لكن بالتفكير في نفسي الرائعة المُتفرِّدة وهي تذهب بلا رجعة.. كان مُحزِنًا للغاية، أمر مأسوي حقًا، ربما ينبغي عليّ الإيمان بتناسُخ الأرواح، أنا لا أتحكَّم بالأمر هنا بالطبع، ربما أعود كخنفساء روث، أو حتى أسوأ من ذلك، أن أعود كوحش آخر مثلي، بالتأكيد لم يكُن هناك من يحزَن عليّ، خصوصًا إذا ما ماتت ديبرا معي في نفس الوقت، بأنانيةٍ.. كُنت آمل أن أموت أولًا، أن يحدث الأمر فحسب، لقد استمرَّت هذه المسرحية بأكملها بما فيه الكفاية، وحان وقت إنهائها، ربما كان الأمر على ما يُرام.

بدأ تيتو بأغنيةٍ جديدةٍ، رومانسية للغاية، كان يُغني شيئًا على غرار (أنا أحبّك)، والآن.. بعد أن فكَّرت في الأمر، فربما هناك فرصة كبيرة أن تحزَن ريتا عليّ، الحمقاء، واستور وكودي، بطريقتهما المُتضرِّرة، سيفتقدانني، وبطريقةٍ ما.. كُنت أمسِك بسلسلةٍ كاملةٍ من الارتباطات العاطفية مؤخرًا، كيف يُمكِن أن يستمِر ذلك في أن يحدُث لي؟ ألم أفكِّر في نفس تلك الأفكار مؤخَّرًا بما فيه الكفاية، بينما كُنت مُعلقًا رأسًا على عقب تحت الماء في سيارة ديبرا المقلوبة؟ لماذا كُنت أقضي الكثير من الوقت مع الموت في الآونة الأخيرة، دون أن أفهم ذلك بشكلٍ صحيحٍ؟ دون أن يوجد الكثير لأفهمه حقًا.

سمعت دانكو يبحث في صينية الأدوات فأدرت رأسي لأنظُر، كان لا يزال من الصعب جدًّا التحرُّك، لكن بدا الأمر قد أصبح أسهل قليلًا واستطعت أن أضعه في مجال تركيزي، كان يُمسِك بحُقنةٍ كبيرةٍ في

يده، ويقترِب من الرقيب دوكس بأداةٍ مرفوعةٍ وكأنه يريده أن يراه وأن يُعجَب به، قال بمرحٍ: «حان وقت الاستيقاظ يا ألبرت».

غرز الإبرة في ذراع دوكس، ولدقيقةٍ.. لم يحدُث أي شيء؛ ثُم استيقظ دوكس مُرتعِدًا وهو يُصدِر سلسلةً من الآهات والصيحات التي تُثلِج الصدور، وقف الدكتور دانكو هناك يراقبه مُستمتِعًا باللحظة، والحُقنة مرفوعة عاليًا مرةً أخرى.

كان هناك صخب من نوع ما أمام المنزل، استدار دانكو وأمسك مسدَّس الطلاء الخاص به، في نفس اللحظة التي ظَهَر فيها هيكل تشوتسكي الأصلع الضخم ليملأ باب الغُرفة، وكما كُنت أخشى.. كان مُستندًا على عُكازه ويُمسِك مُسدَّسًا بيده المُتعرِّقة غير الثابِتة، قال: «يا ابن العاهِرة».

قام الدكتور دانكو بإطلاق النار عليه مرة، ومرة أخرى، حدَّق به تشوتسكي، فاغِر الفاه، وخَفَضَ دانكو سلاحه في نفس الوقت الذي بدأ تشوتسكي يسقُط فيه أرضًا.

وخلف تشوتسكي مُباشرةً، كانت شقيقتي العزيزة.. ديبرا، التي ظلَّت غير مرئية حتى سقط تشوتسكي أرضًا، كانت أجمل شيء رأيته في حياتي، بالإضافة لمُسدَّسها الجلوك التي رفعته عاليًا بيدها اليُمنى، لم تتوقَّف لتتعرَّق أو لتُنادي دانكو بأي أسماء، أطبقَت عضلات فمها ببساطةٍ وهي تُطلق رصاصتين سريعتين في مُنتصف صدر دكتور دانكو، أخذته الرصاصتان ورفعتاه عن الأرض ليندفِع للخلف فوق دوكس الذي كان يئن بشكلٍ محمومٍ.

مكتبة
t.me/soramnqraa

كان كُل شيء هادئًا وبلا حراك لوهلةٍ طويلةٍ، باستثناء تيتو بوينتي عديم الشفقة، ثُم انزلق دانكو من فوق الطاولة، انحَنت ديبس بجوار تشوتسكي وفحصته بحثًا عن نبض، عدَّلت من وضعه إلى وضعٍ أكثر راحة، قبَّلت جبهته، وأخيرًا.. استدارت لي وهي تقول: «ديكس، هل أنت بخير؟».

قُلت وأنا أشعر بالدوار نوعًا ما: «سأكون بخير يا أختي، فقط إذا ما قُمتِ بإغلاق تلك الموسيقى الرهيبة».

سارت نحو مُشغِّل الموسيقى المحمول وانتزعَت المقبس من الحائِط، نظرت للأسفل نحو الرقيب دوكس في صمتٍ هائلٍ مُفاجئ، وهي تحاول ألا يبدو منه الكثير على وجهها، قالت: «سنُخرِجك من هنا يا دوكس، سيكون كُل شيء على ما يُرام».

وضعت يدها على كتفه وهو ينتحِب، ثُم استدارت فجأة واقتربت مني والدموع تملأ وجهها، همست لي بينما تحل وثاقي: «يا إلهي، دوكس في حالةٍ يُرثى لها».

لكن عندما حلَّت آخر شريط لاصِق عن يدي، كان من الصعب أن أشعُر بأي تعاطُف حول دوكس، لأنني تحرَّرت أخيرًا، من شريط الدكتور اللاصِق، ومن تقديم الخدمات، وأجل.. بدا الأمر كأنني تحرَّرت من الرقيب دوكس كذلك.

وقفت، ولم يكُن الأمر سهلًا كما يبدو، وقُمت بمد أطرافي المُتيبِسة بينما أخرجت ديبس جهاز اللا سلكي الخاص بي لتستدعي أصدقاءنا من قسم شُرطة ميامي بيتش، سرت نحو منضدة العمليات، كان شيئًا صغيرًا، لكن فضولي كان أقوى مني، مددت يدي وأمسكت بقطعة الورق الصغيرة المُلصَقة إلى حافة الطاولة.

بنفس الخط الرديء، والأحرُف المألوفة، كَتَبَ دانكو: (الاحتيال)، وشَطَب على خمسة حروف من الكلمة.

نظرت إلى دوكس، بادلني النظر، بعينين مُتسعتين مليئتين بالكراهية لأنه لن يتمكَّن من الحديث مرةً أخرى.

كما ترون.. أحيانًا تكون هناك نهايات سعيدة بالفعل.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الخاتمة

إنه لشيءٍ جميلٍ حقًا أن تُشاهِد شروق الشمس فوق الماء في سكون صباح جنوب فلوريدا شبه الاستوائي، ويكون الأمر أكثر جمالًا عندما يتدلى هذا البدر الأصفَر العظيم على مستوى مُنخفِض جدًّا في الأفق المُقابِل، يتحوَّل ببطءٍ إلى اللون الفضي قبل أن ينزلِق تحت أمواج المُحيط الواسِع ليسمح للشمس بالسيطرة على السماء، والأجمل من ذلك أن تُشاهِد كُل هذا في منأى عن أي أرض، من على ظهر مركِب طوله ستة وعشرون قدمًا، وأنت تتخلَّص من التشنُّج الأخير في رقبتك وذراعيك، مُتعَب.. لكنك مُمتلئ وسعيد للغاية في النهاية، بعد ليلة من العمل انتظرت لوقتٍ طويلٍ للغاية.

سُرعان ما سأركَب قاربي الصغير، الذي أقطره خلفي في الوقت الحالي، وأنطلِق مُبتعدًا عن خط السُحب، ومُتجهًا نحو الاتجاه الذي اختفى فيه القمر، لأبتعِد بحياتي بهدوءٍ نحو حياة جديدة تمامًا لرجلٍ على وشك الزواج، والعقاب.. القارِب ذو الكابينة الذي يبلغ طوله ستة وعشرون قدمًا، سينطلِق مُبتعدًا في الاتجاه المُعاكِس، باتجاه بيميني، نحو تيار الخليج، النهر الأزرق العظيم الذي لا قاع له والذي يمُر عبر المُحيط بالقُرب من ميامي، لن يصل العقاب إلى بيميني، بل ولن يصل حتى لتيار الخليج، قبل وقت طويل من إغلاقي لعينيّ بسعادةٍ في فراشي الصغير، ستتوقَّف مُحركاته، وستغمره المياه، وسيمتلئ بالمياه ببطءٍ، وسيتأرجَح بهدوءٍ مع

الأمواج قبل أن ينزلِق تحتها، نحو أعماق الخليج الواضحة وضوح الشمس والتي لا نهاية لها.

وربما في مكانٍ ما بعيدًا عن السطح، سيستقِر أخيرًا في القاعِ بين الصخور والأسماك العملاقة والسُفن الغارِقة، كان من الرائع حقًا أن نعتقِد أنه في مكانٍ ما قريب.. هناك طرد مقيَّد بإحكام يتأرجَح برفقٍ مع التيار بينما كانت سرطانات البحر تقضمه وصولًا للعظام، كُنت قد استخدمت أربع مراسٍ على ريكير بعد أن لففت القطع بحبلٍ وسلسلةٍ، والطرد الأنيق الخالي من الدماء ذو الحذاء الأحمر الفظيع والمُقيَّد بالسلاسِل يهوي سريعًا إلى القاع بعيدًا عن الأنظار، كُله ما عدا قطرة صغيرة واحدة من الدماء سريعة الجفاف موضوعة على شريحةٍ زجاجيةٍ في جيبي، وستذهَب إلى الصندوق الموجود على الرف الخاص بي، خلف شريحة ماكجريجور مُباشرةً، وستأكل سرطانات البحر ريكير لتستمِر الحياة مرةً أخرى، بإيقاعها السريع المُتمثِّل في الكر والفر.

وبعد بضع سنوات من الآن، سأحضر كودي معي وسأريه كُل العجائِب التي من المُمكِن أن يكشفها حد السكين أثناء الليل، كان صغيرًا للغاية في الوقت الحالي، لكنه سيبدأ صغيرًا، وسيتعلَّم التخطيط، والتقدُّم ببطءٍ، علَّمني هاري ذلك، والآن.. سأعمله لكودي، وربما يتبع خطاي الغامضة في يومٍ من الأيام ليُصبِح مُنتقِمًا مُظلِمًا جديدًا، ليحمل خطة هاري للأمام ضد جيل جديد من الوحوش، فكما قُلت.. الحياة تستمِر.

تنهَّدت بسعادةٍ وارتياح، كُنت جاهزًا لكُل هذا، أمر جميل للغاية، اختفى القمر الآن، وبدأت الشمس تحرق برودة الصباح، كان الوقت قد حان للذهاب إلى المنزل.

صعدت إلى قاربي، شغَّلت المُحرِّك، وسرت نحو خط السُحب، ثُم أدرت قاربي.. وتبعت القمر إلى المنزل لأنام.مكتبة .. سُر مَن قرأ

كيان للنشر والتوزيع

أفضل دار نشر مصرية ٢٠٢١

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زوروا موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01000405450 /01001872290

وللاطلاع على كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كتّابنا الثقافية، يمكنكم متابعتنا على حسابات التواصل الاجتماعي التالية:

KayanPublishing

telegram @soramnqraa

DEXTER
دكستر
المُتفاني بإخلاص

وحش ساحِر، بطل رهيب، القاتِل المُتسلسِل الذي لا يقتُل سوى الأشرار قد عاد للصيد، أو على الأقل سيعود إذا ما تمكَّن من التخلُّص من ظله الذي لا يُفارِقه، منذ أن تقاطعت سبلهما للمرة الأولى.
يُلاحِق الرقيب دوكس ديكستر الوسيم، الساحِر، والمهووس بالقتل، ربما يكون ديكستر مُحلِّل بقع دم ضمن قوة شُرطةٍ ميامي، لكن دوكس لديه فكرة جيدة للغاية عن الطريقة التي يُفضِّل ديكستر قضاء وقت فراغه بها، وهو مُصمِّم على القبض عليه بالجرم المشهود.
ثُم يظهر جسد، مشوَّه للغاية وبالكاد يتنفَّس، ومن أجل القبض على الجاني.. سيتعيَّن على دوكس وديكستر أن يعملان معًا، وسيتحتَّم على أحدهما أن يكون الطُعْم.

«عمل ذكي ورائِع وصادِم، مُغامرة ديكستر هي مُتعة لهؤلاء الذين يحبّون خيالهم الإجرامي الجانِح قليلًا»
The guardian

جيف ليندسي
ترجمة محمد عصمت

9 789778 201277

KAYAN PUBLISHING